كتاب اليوم

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

محمود السعدني

حمار من الشرق

DVD4ARAB

كتاب اليوم

أسسه

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الادارة

إبراهيم سعده

العدد محرم ١٤١٢ هـ

٣٢٤ اغسطس ١٩٩١ م

أب

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٢

الاشـــتراكات

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ١٦ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى والافريقى ١٥ دولار امريكى او ما يعادله باقى دول العالم واوربا والامريكتين وآسيا واستراليا ٢٠ دولار امريكى او ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة الى الاشتراكات ٢ ش الصحافة القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

أسعار كتاب اليوم | في الخارج
المغرب	٢٠	درهم	ايطاليا	٣٠٠٠	ليرة
لبنان	٧٥٠	ليرة	هولندا	٥	فلورين
الأردن	٧٥٠	فلس	باكستان	٣٥	ليرة
العراق	٧٠٠٠	فلس	سويسرا	٤	فلورين
الكويت	٧٠٠	فلس	اليونان	١٠٠	روبية
السعودية	٧	ريالات	النمسا	٤٠	فرنك
السودان	١٥٠٠	قرش	الدنمارك	١٥	دراخمة
			السويد	١٥	شلن
			الهند	٣٥٠	كرون

تونس	١٢٥٠	مليما	سلطنة عمان	٧٠٠	بيسة	الإمارات	٨	درهم	عدا امريكا	٣٠٠	سنت
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما	غزة	١٠٠	سنت	قطر	٨	ريالات	البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
سوريا	٣٠	ل.س	ج. اليمنية	٢٢	ريال	انجلترا	١٢٥	بنى	نيوزيلندا	٣٥٠	سنتا
الحبشة	٦٠٠	سنت	موريتانيا	٨٠	بنى	فرنسا	١٠	فرنك	[illegible]	٤٠٠	سنت
البحرين	٨٥٠	فلس	السنغال	٦٠	فرنك	المانيا	٥	مارك	استراليا	٤٠٠	سنت

● الغلاف : محمد عفت

● الرسوم الداخلية : محمد عمر

سبحان الذى أعطى !

أول مرة جئت فيها الى باريس ، تصورت انى قادم الى الفردوس . الشوارع من البلور ، والأرض من الزجاج وحيطان البيوت من ذهب ، والحدائق من شجر الجنة ، وتصورت النساء من جنس آخر ، الجلد زبدة ، والدم قشطة ، والكلام نغم موسيقى ، خليط من اناشيد كاهن فرعونى ، ومزامير داود ، وتراتيل سماوية للشيخ رفعت ! وتصورت نساء باريس بلا فضلات ، لأن بطونهن بلا أمعاء ، وافواههن للهمسات والقبلات ، وليس للمضغ والطحن وازدراد الفول والكبة النية !

وتصورت انى ساجد فى باريس سوقا رائجة ، فانا شرقى ، والشرق ساحر ، وانا اسمر والسمار مطلوب ، ولابد ساعثر على حورية اخر شخلعة وآخر دعدعة ، والخدود تفاح ، والشفايف عجمية والعيون فناجيل شاى ، والخصر مخنوق ومزنوق ، والصوت مبحوح ومجروح ، نسوان سبحان الذى صور والذى كور ، وسبحان الذى خلق الناس اشكالا على الوان كاسنان العبد لله ! ياقوة الله لو التقيت ببنت من عائلة فوشية او بنت من قبيلة روشيه فلابد فى فرنسا عائلات !

وحتما ولابد البنت وارثة ، ضياع تملك ، سيارات تركب ، بلاطى فرو تلبس ، فرنكات كثيرة تحوز ، والود ودى لو تعانقنا وتناغشنا ، وياسلام لو الهوا اصبح سوا فتزوجنا وتناجبنا ، وعشنا فى التبات والنبات وخلفنا صبيان وبنات ، وربما اتحول الى كونت او فونت ، وسيعوض الله صبرنا خيرا ، وساعيد المجد الذى ولى ، فانا ايضا من قبيلة كان عددها يفوق عدد سكان اوروبا ، وجدى الاول كان له شرف الاشتراك فى بناء سد مارب ، وجدى الثانى كان رئيس طاقم النجارين الذى صنع عرش بلقيس ، وجدى الرابع سار على قدميه من جزيرة العرب الى جزيرة شندويل بالصعيد غازيا فى سبيل الله ، وكان يرحمه الله يعشق اكل الفول والبصل والمخلل ، وجاءت منيته بسبب امتلاء بطنه ، ربما لاول مرة منذ ولادته !

ومن يدرى ، ربما كانت حكمة الهية اننى اشتغلت فى الصحافة واننى سافرت الى باريس ، واننى ساصير ثريا المعيا لوذعيا يشار اليه بالحذاء ! ونذر على العبد لله ان اقيم تماثيل للعائلة فى السوربون وفى ميدان الكونكورد وفى مركز الباجور منوفية !

ولكن كيف الكلام والسلام والعبد لله يعرف من الفرنسية مقدار ما تعرفه امى من اداب اللغة اليابانية ! واول الحب كلمة ، وطريق الحب الملاغية ، وعلى راى الشاعر العربى الحب همسة ثم لمسة ثم موعد فلقاء فكلام فغرام فمأذون فزواج ثم الذى منه !

وانا فى الهمس ولا عصفور من عصافير الكناريا وفى اللمس ولا نشال فى الموسكى ، وفى اللقاء ولا عزرائيل الموت ، وانا فى الكلام اعوذ بالله فى العربى بربند فى الفرنساوى انا ابكم ، ولكن من قال ان الكلام ضرورى والحكاوى لازمة ! وعمنا شارلى شابلن مثلا ادهش العالم بلا كلام ،

واشتهر بدون حاجة الى استعمال اللسان ، وانا فى اللغة الصامتة ولا محمد على كلاى فى الوزن الثقيل ، واحد جدودى كان من مواليد قرية الصامتة محافظة اسيوط ! وانا اصلح استاذا لاداب اللغة الصامتة فى جامعة باريس .

ولكن المشكلة ، هل استعمل الصامتة الفصحى ام الصامتة العامية ؟ ولو اننى استعملت الصامتة الفصحى ، فنهار ابويا ازرق عند الدكتور لويس عوض ، ولو استعملت الصامتة العامية ، فنهار ابويا اسود عند المجمع اللغوى .

وانقذنى من حيرتى مرور بنت لهلوبة ولا ارنب برى ، شعنونة ولا قنفد فى برارى البصرة ، بنت متحركة متكركرة متشنكرة ، واتفضلى شاى ، لا متشكر ! وغمزت لها بعينى فلم تستجب ، مسحت بيدى على صلعة راسى من باب التحية والسلام ، فساقت التقل على العبد لله ، وتصنعت الدلال ، وتقصعت ذات اليمين وذات الشمال ، ثم دارت ثم لفت ، ثم افلتت ، ثم ادبرت ، ثم اقبلت اخر حلاوة واخر انسجام !

وانتهزت الفرصة فغمزت وهرشت ، واذا بالبنت الفرنساوية تطب فى غرام دباديب العبد لله ! ودنت واقتربت وسالتنى فى دلال ، هل انت مريض يامسكين ياعدمان ؟

قلت حاشا لله وما بى الا مرض حمى حبك ، وحرارة الشوق الى قربك .

قالت : ولكنك تكسر عينك وهذا دليل مرض العين ، وتهرش راسك ، وهذا دليل على وجود قملة فى شعرك !

قلت للست الغندورة الكركورة : اما الرمد ، فاعوذ بالله ، اما القمل فموجود فى الشعر وبكثرة ، وهو تراث فى العائلة منذ العصر القملى الاول ، ولكنى غمزت لك من باب الغرام ، وهرشت من باب التحية والسلام .

قالت : اذن انت عاشق ولهان ؟ قلت : وواقع لشوشتى فى بحر الغرام .

وجرتنى البنت من يدى جرة قوية ، فوقعت على الفسقية ! وصرخت : ايها الشرقى الطيب .

قلت : عفوا ياسيدتى ، انا لست من الشرقية ، بل من مركز الباجور

منوفية ومن قرية بهناس بالذات ، وهى شىء مختلف عن بهناس البلد ، وبهناس المحطة ! ثم انا لست من النوع الطيب او المكسور ، ولكنى فحل منوفى على كيفك ، فى العراك وفى الهراش انفع ، وعلى حلقات الغرام محسوبك ولا تايسون على حلقات الملاكمة !

وسحبتنى البنت الحلوة وعكمتنى كشرطى عاكم واحد صايع تحرى ، وقالت : بنا ايها الغلبان العدمان نغزو باريس ، نغزوها من اليمين ومن الشمال ، ونغزوها من الخلف ومن الامام ، وهتفت مسرورا مبسوطا ، من سعدبيس الى باريس سبحان الذى اعطى ! البنت المضروبة اللهلوبة ، اتضح للعبد لله انها تلميذة وفى السوربون تتعلم ، وتسعى للدكترة فى علم الاجناس ، وتستطيع بنظرة ان تكتشف من سحنة البنى ادم ، اذا كان اصله من العرعر ام من البربر ، والبنت رقيقة وقطقوطة وسمباتيك وتعشق الحياة والحب وتموت فى صنف الرجال .

وسحبتنى كالجاموسة الى الحى اللاتينى (كارتييه لاتان) وفى مقهى بسيط دخلنا ، وفى زاوية منعزلة جلسنا ، واكلنا صندوق بطاطس مقلى وكسرة خبز لا تصلح لسد رمق طفل من اطفال العروبة السمان .

قالت البنت الحلوة وهى تمضغ طعامها كالعصفورة الكركورة دون أن تفتح فمها ، وهى مسالة عويصة ، لاننى احيانا أرى امعاء عويس بن خالتى اذا هجم على مائدة الطعام ! ولكن هذه البنت اللهلوبة تحرك اضراسها دون أن تفتح شفتيها ، معجزة لاشك تفوق معجزة الاخوين رايت عندما انطلقا يحلقان فى السماء !

المهم ، البنت نظرت فى وجه العبد لله ، ثم حققت ثم دققت ثم حدقت ، ثم واصلت التحقيق والتدقيق والنظرات ، وخيل الى انها اكتشفت اننى لم اغسل وجهى ذلك الصباح ، فاعتذرت لها باننى من اسرة مصرية لا يغسل افرادها وجوههم الا من مياه ترعة الزمر التى تتهادى بالقرب من الاهرام ! ولهذا فان اغلب افراد عائلتى وجوههم لا يمسها الماء ، والسبب ان مياه ترعة الزمر جفت منذ الاسرة الفرعونية الرابعة ، ولم يعد فيها الا طين وضفادع وبقايا اعشاب !

وتجاوزت البنت الحلوة المضروبة تفسيرى المادى الجدلى لتاريخ الاسرة ، ثم صرخت صرخة مدوية وقالت : انت نادر ايها الانسان

قلت وانا شديد التعجب : انا نادر ؟ من قال هذا الكلام ؟ اننى من عائلة تجيد عملية النسل وبوفرة ، وستجدين فى كل بلد عربى عشرات من قبيلة السعدنى ، بعضهم فى الوظائف وبعضهم صياع ، وبعضهم عنده فلوس وبعضهم عنده برد ، وبعضهم يقيم فى الفنادق وبعضهم يقيم فى السجون ، ومن طنجة الى صنعاء ، ولهذا مدحنا الشاعر العربى الاموى بهذا البيت المشهور جدا (اكتسبتم شرفا على شرف بنو سعدان) وكان يقصد اننا بهذا الانتشار الخراق على الارض العربية ، قد حققنا الوحدة دون الانتظار لاعلانها رسميا من جانب الحكومات !

اما الشرف الثانى الذى اكتسبناه فهو هذا التنوع الكمى والكيفى لافراد العائلة ، فمنهم عساكر شرطة وموظفو ضرائب وقضاة محاكم ونشالون وقطاع طرق ، وهذا يعنى ان العائلة تمثل تحالف قوى الشعب العامل ، فالكل يعمل ويسعى على رزقه حسب التساهيل والاحوال ، ومن حق عائلتى الان ان يكون لها منبر او تنظيم او حزب ، لا شىء يهم على رأى احسان عبدالقدوس .

وصرخت البنت الحلوة وقالت : عظام وجهك ايها الرجل .

قلت : ما لها عظام وجهى ؟ اذا كانت هناك بعض الانتفاخات او بعض النتوءات فهذه من اثار المعارك الشهيرة التى خضتها دفاعا عن حرية الراى ضد بعض اصحاب المطاعم الجشعين الذين يصرون على تحصيل ثمن وجبات الطعام !

وتأوهت البنت الغندورة وقالت : انا ادرس السلالات وعلم الاجناس ، وعظام وجهك تؤكد انك ربما كنت الرجل الوحيد الباقى من العصر الحميرى !!

وطق شرار الغضب من عينى وقلت فى ثورة حقيقية ، العصر الحميرى ؟

قالت : نعم ، انت بالطبع سمعت عن العصر الجليدى والعصر الحديدى ، هناك ايضا العصر الحميرى ، حين كان الانسان والحمار سواء بسواء ، ورغم ان علماء الارض نقبوا كل شبر وفتشوا كل ركن ، وقلبوا الارض والرمل ومياه المحيطات ، الا انهم فشلوا فى العثور على جثة واحدة من العصر الحميرى ، ثم ها هى الصدفة السعيدة تسوق فى طريقى بجثة حية ونموذج متحرك من بقايا العصر الذى ضاع ...

وانفشخ فمي عن ابتسامة تهكمية عميقة ، وقلت عيبكم ايها الفرنسيون انكم تدمنون القراءة ، ولكنكم لا تنظرون في الواقع الموجود في الحياة ، الشخص منكم يتناول افطاره وعينه على سطور الجريدة ، ويده شغاله على ودنة من الطبق الى فمه ، واحيانا من الطبق الى منخاره .

وسر الابدية اننا دائمو التحديق اما تحت واما فوق ! بعضنا ينظر تحت قدميه في الطريق ليقرأ قصة الحياة مكتوبة على الاسفلت ، أو بحثا عن فرنك سقط من جيب منقوب ، أو عقب سيجارة لم تاكله النار الوالعة ، وبعضنا ينظر فوق باحثا عن القوة الاعظم طالبا مددا في ادب عظيم عشا الغلابة عليك يا رب !

وتجاوزت البنت المضروبة فلسفاتي وسكحاتي وقالت : اسنانك ايها الرجل اللقطة . قلت : ومالها اسناني هي الاخرى ؟ ! اذا كنت تقصدين السوس الذى ينخر فيها ، فهذا بسبب قفزى المستمر من صنف السجاير الى آخر ، وانا تعلمت من البداية على السجاير الهلب ، ثم قفزت فجاة الى الكنت والروثمان مما كان سببا في اضطراب اسناني وتهيج السوس عندي ، اما اذا كنت تقصدين . هبابها وسوادها ، فهذا بسبب تعصبي ضد الغرب ومصنوعات الغرب ، فانا لا استعمل فرشاة اسنان ، وايضا لانني لست من السلف الصالح ، فانا لا استعمل المسواك ولكني رجل عملي استخدم عيدان الكبريت ، ولما كانت صناعة الكبريت في العالم العربي قد تطورت كثيرا ، وبدلا من صنع العيدان من فروع الشجر صاروا يصنعونها من الجلة ، اقصد من روث البهائم ، اقصد ايتها الست الفرنساوية ، من تواليت البهائم ولا مؤاخذة !

قالت وهي تدون بعض العبارات على الورق ! انيابك بالذات تؤكد نظريتي تماما ، وانك من العصر الحميرى على وجه التحديد ، ومن اكلة البرسيم !

قلت وانا اضحك على خيبة الست الفرنسوية : وهل في ذلك شك ؟ اننى منذ ولدتني امي وانا نازل اكل في الملوخية والخبيزة والسبانخ ، كما انى ايضا من انصار الفجل والجرجير والكرات وكلها منتجات برسيمية !

قالت : اذن نظريتي صحيحة

قلت : بدون شك لولا حكاية العصر الحميرى ، فهي ليست على ما يرام ايتها الست الخوجاية .

قالت : اسمع ، انا متاكدة مما اقول ، نظرياتي في علم الاجناس صائبة ولا تخيب ، المهم الآن انتهاز الفرصة فانت موجود على قيد الحياة ، وانا ادرس عصرك واصلك وفصلك ، ولكن شكلك يوحي بانك ستموت عما قريب ، ولذلك يجب المحافظة عليك ، ولهذا ايضا ادعوك الآن الى بيتي ، فلابد من المحافظة عليك باى ثمن وباى وسيلة وبكل سبيل .

وقلت للست الغندورة : وهل في بيتك مستشفى وادوية وحكيم وفيتامينات تقوية وصودا وراوند لزوم انتظام الهضم وضبط الطبيعة ولامؤاخذة ؟

وردت البنت المضروبة : المسالة ليست محتاجة الى مستشفى ولا دواء ، المسالة وما فيها ، اريدك معي في البيت كي ادخل معك في الفراش . قلت : في الفراش ! كده مرة واحدة ! قالت : نعم فقلت : عظيم ولكن بشرط ، أن يكون هناك كاسات هواء لزوم ظهرى ، ولزقة امريكاني لزوم ضلوعي ، وكافور للدهان وحزام صوف كي الف به جسمي .

قالت : لا شيء من هذا كله ايها الحمار ، لا شيء على الاطلاق وكل ما هنك انني اريد منك طفلا .. !

وقلت للبنت الغندورة الكركورة : يا عيب الشوم ، تريدين الزواج مني وانا رجل ذهبت مع الحجيج الى بيت الله ثم اني متزوج من بهانة بنت الاشمر وعلى سنة الله ورسوله ، كما انني صاحب بنين وبنات ، وضحكت البنت الغندورة فخرج نور من بين اسنانها . وعزفت فرقة موسيقى وترية من حلقها . ثم كركرت وقالت : وانا فقط اريد ولدا ، ولكن لم افكر في الزواج بك .

قلت للبنت الغندورة : يا قوة الله ، تريدين ولدا سفاحا من العبد لله ؟ وهبى انى وضعت لوحا من الثلج على ضميرى ، وعصابة سوداء على ذقني ، وقطعت تذكرة ذهاب بلا عودة لشرق ، وانني رضخت وانعنت لمشيئتك ، وانني وهبتك ولدا ، فما هو موقفك من الجيران وكلام الناس وهل ستزعمين انه لقيط عثرت عليه عند باب باب أحد المساجد ؟ ام ستقولين انه ابن اختك المسافرة لبلاد تاكل الثعابين ؟ ثم ولنفرض ان بوليس الآداب تحرى وشدك على سجن

الإستئناف . ماذا سوف تقولين للقاضي وللبيه المامور والبيه السجان ؟

قوست البنت حاجبيها وقالت في اندهاش وارتعاش : ولماذا يحدث هذا ؟ الأني رزقت بغلام ؟

قلت : نعم والف نعم . ولو حدث مثل هذا لواحدة بنت مثل حضرتكم في محافظة اسيوط لقتلوها وشربوا من دمها . ولو حدث مثل هذا لبنت من مركز ابشواى محافظة الفيوم لقتلوها فقط .

وقالت البنت الكركورة : عندكم شيء وعندنا شيء اخر . عندنا كل شيء ممكن وكل شيء مباح . وفي شهادة الميلاد اكتب اسمه جون واسم ابوه لا شيء ! وتتعهده الحكومة اذا عطس واذا برد – واذا لا قدر الله – اصابته نزلة معوية من النوع الحاد . وهو في المدرسة بالمجان وفي الجامعة اهلا وسهلا وفي العمل وكل واحد حسب الذكاوة والاجتهاد . وقد يصبح يوما رئيسا للوزراء او رئيسا للدولة او فنانا اشهر من شارع الشانزليزيه !

قلت : يا ارحم الراحمين ارحمنا . بلادكم بطالة وعيشتكم حرام . ومصيركم اسود من قرن الخروب . واذا كانت شوارعكم مبلطة وانواركم ملعلطة . واتوبيساتكم خالية وعمارتكم عالية . فغاية الامر ان الله يمهل ولا يهمل . وغدا سيطويكم الطوفان او تاكلكم الدودة او يسلط عليكم من لا يرحم . ولا يذر على الارض من الكافرين انسانا .

وقالت البنت اللهلوبة : ما رايك ؟

قلت : في ايه ؟

قالت : اريد منك ولدا والاحتفاظ بجنسك واجب . وانت الحمار الوحيد الباقي من العصر الحميرى . ولو حدث لك حادث لا قدر الله لضاعت من تاريخ البشرية حلقة هامة ولعلها من اهم الحلقات .

وقلت : على رسلك ايتها البنت الجهولة . اذا كنت تصرين على انني من العصر الحميرى . فالعصر الحميرى موجود الآن وبخير وكل عائلتي في مركز الباجور منوفية احياء يرزقون والخلق الناطق على هيئتي وشاكلتي . ثم هناك مئات والوف وملايين مثلي منتشرون في الأرض .

قالت : انت تبالغ . ولا اظن ان احدا مثلك موجود على ظهر الارض الآن . والعلماء منذ مئات السنين ينقبون الارض وينبشون القبور بحثا

عن حمار واحد من ذلك العصر ولكن دون جدوى . وها انت الآن بعظمك ولحمك وشحمك تسعى بيننا في الارض . انني ارتجف من شدة الرعب . واخشى الآن ان يمر عالم من العلماء فيقع بصره عليك فيستدعي البوليس ويخطفونك مني . وربما وضعوك في متحف اللوفر او حددوا اقامتك في مستشفى سان مارك !

وقلت وانا انفخ من شدة الغيظ : يا سبحان الواحد القهار اقسم لك براس جدى الشيخ معوض ان العصر الحميرى اباه قائم ومنتصب والحركة فيه الآن على قدم وساق . اخطفي رجلك ايتها الصبية الى اى بلد في العالم الثالث او حيث تعيش اسرتنا وستجدين الوف الحمير مثلي تاكل وتشرب وتعمل وتقبض وتسعى وتنام . وستجدين اغلبهم على الكراسي وفي المناصب . فمنهم زعماء ومنهم وزراء ومنهم علماء ايضا . وهذا هو العجب العجاب .

وشهقت البنت الحلوة وقالت : علماء ؟! اصدق كل شيء الا هذا .

قلت : ما اقوله هو الصدق بعينه . ولكي ازيدك علما اقول لك ان عدد حملة الدكتوراه في بلادنا اكثر بكثير من حملة الدكتوراه في باريس .

قالت : هل عندكم علماء في الذرة ؟

قلت : نعم ولا . نعم اذا كان المقصود هو الذرة التي هي من فصيلة الشعير والحنطة . ولا اذا كنت تقصدين الذرة التي كانت لا تتجزا ثم جاء اينشتاين ليثبت انها تتجزا . ثم جاءت المصانع فجزاتها بالفعل وجربتها على البشر في اليابان فمات نصف مليون في لحظة . هذه الذرة لا نعرفها ولا نسعى الى ذلك وان كنا في الحقيقة والتاريخ لدينا علماء في الزغطة .

قالت : وما هي الزغطة .

قلت : هذا علم فوق مستواكم . والسبب انكم تاكلون المسلوق ونحن ناكل الملفوف والمكبوس والمغموس والمعفوص ايضا .

قالت البنت وقد سرحت : يا للهول . انكم اغرب مما كنت اتصور وهذا يدعوني الى ان اتمتسك بك اكثر . ولابد ان يكون لي منك طفل يخلد سلالتك المنقرضة . ويحيي ذكرك الذى ينبغي ان يدوم . انهض ايها الحمار الخالد واتبعني . وشدتني شدة قوية فوقعت على الافريز وانكسرت ساعتي الابريز . وانطلقت بي الى حيث تعلم ولا اعلم .. !

١٩٨٩/٩/١

الكفاية والعدل .. !

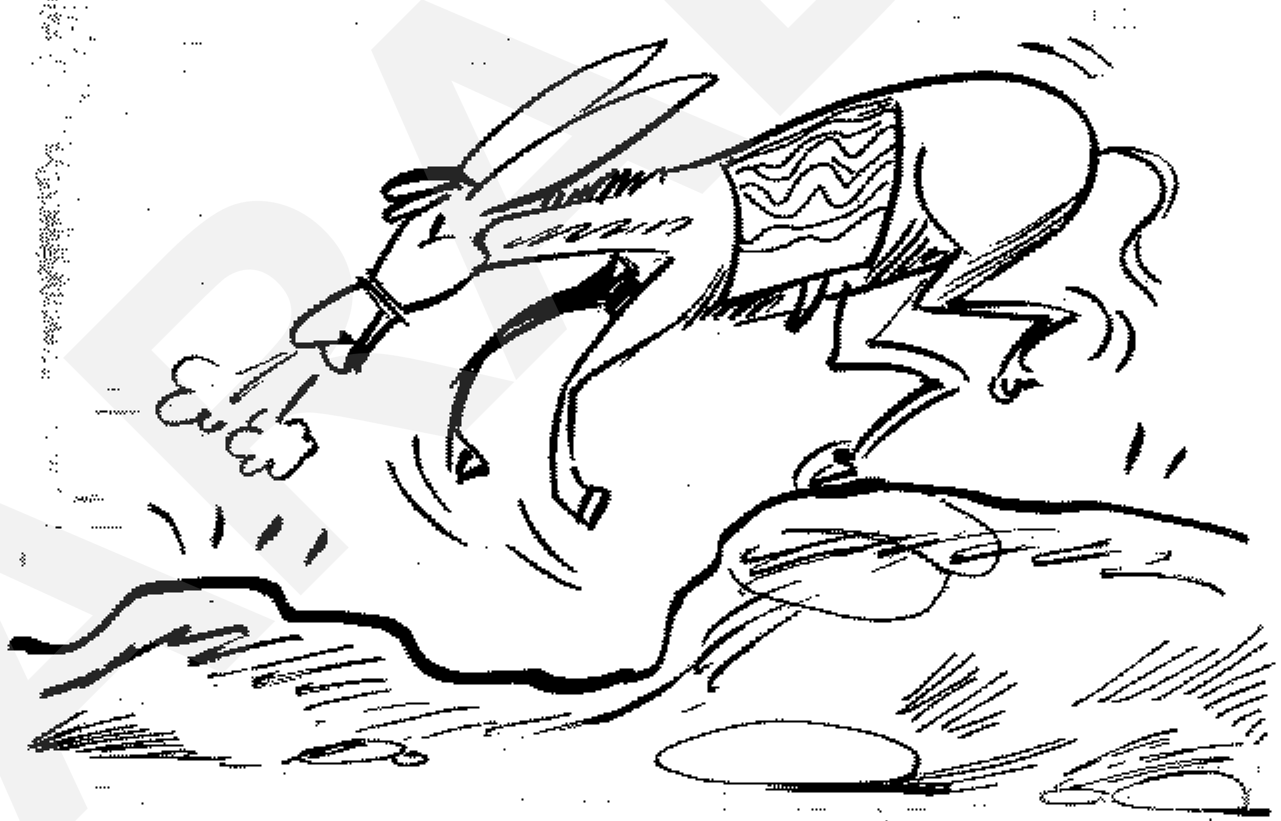

وركبنا تراما تحت الارض ، تخيلوا تراما يمشى تحت الارض وفوقنا البيوت والسيارات والبنى آدمين . واندهشت البنت لدهشتي فقالت : الا تحفرون الارض فى بلادكم ؟ قلت : نعم نحفرها باستمرار ، وستجدين فى كل شارع الف حفرة وحفرة واسمها العلمي مطبات ، ولذلك ستجدين فى كل مدينة مائة الف أعرج وأعوج ! ولأنها حفريات اثرية ، فنحن نحافظ عليها بكل مانملك ، ولدينا كل المخترعات وكل المنتجات ، ولكنها فى بلادنا تختلف تماما عما هو موجود فى بلادكم .

مثلا عندنا تليفونات لا تتكلم ، وعندنا ترومايات لا تسير ، وعندنا جرائد لا تنشر ما تريد ولكنها تنشر ما يريده البيه الرقيب احيانا والبيه المعلن احيانا ، وعندنا حكومات يخدمها الجمهور ولكنها لا تخدم احدا ، وعندنا احزاب تتاجر بالكلام والبرامج والوعود . وعندنا شرطة لا تقبض على الجناة ولكن على الضحية ، وعندنا مائة الف دكتور فى العلوم والفنون والاداب وتسعون مليون امي ، وعندنا جاموس على قفا من يشيل وبقر على ودنه ومع ذلك فكيلو اللحم بثلاثمائة ليرة فى بيروت وعشرة جنيهات فى القاهرة .

قالت البنت وهي مندهشة : والجو هل هو جميل ؟

قلت حدثني عن الجو ولا حرج .. عندنا جو منور والعقل ظلام على رأى عمك بيرم التونسى ، وعندنا حرارة باخسارة برود اجسام والف مليون زلة لكن اغنام .

قالت : جعلتني اشتاق لرؤية بلادكم ، ما اعظم ان يعيش الانسان فى عصر منقرض ، لو رزقني الله بطفل منك ساخذه الى موطنه الاصلي ليرى العصر على الطبيعة .

قلت ونحن جلوس معا فى شقتها اقصد فى حجرتها هل هذه الحجرة فقط هي كل ما تستاجرين ؟

قالت : بالطبع فانا لا احتاج لاكثر من هذا .. غرفة كبيرة ، حمام فى الركن ، مطبخ فى الركن الآخر ، والسرير هناك ومقعدان لزوم الجلوس والمسامرة .

قلت : وكلكم كذلك ؟ قالت : بالطبع ، باريس مكتظة بالناس ، وكل فرد ولابد ان يكون له مسكن .. سالتها : لابد ؟ قالت : بالطبع لابد والف بد . هتفت من شدة السخط : يا سبحان الله ! انتم ايها الخواجات تصنعون قوانين انزل الله بها من سلطان . عندنا فى العصر الحميرى فرد واحد يسكن فى قصر وعشرة يسكنون فى حجرة . وفى الحجرة الواحدة زوج وزوجة واولاد ، وسعداء الحظ الذين لا يملكون حجرة ، امامهم الارصفة ففيها متسع للجميع ، وانت تعرفين الرصيف بالطبع ، والجو فى بلادنا حار جاف صيفا وما احلى البرطعة على الرصيف فى ليالى الصيف .

DVD4ARAB

وقالت البنت : ما أحلى النوم على الرصيف فهؤلاء يستمتعون بحريتهم اكثر بالارض من تحتهم والسماء من فوقهم فلا جدران ولا سقف هل هم الهيبيون ؟

قلت : هم رصيفيون وهم سبقوا الهيبيين بكثير ، الفرق الوحيد ان جماعة الرصيفيين فعلوا ذلك رغما عنهم ، بينما الهيبيون فعلوا ذلك بمزاجهم ولكن الوسائل واحدة الأسمال البالية والسجاير المعطرة والفلس الدائم وفقدان الوعي وعدم المشاركة فى اى شىء ، كما أن النتيجة واحدة الضياع ولا شىء الا الضياع .

قالت : هم فلاسفة اذن ؟

قلت : فى بلادنا نطلق عليهم لقب مفالسة ومفردها مفلس ومصدرها افلاس !

قالت : اذن كلكم فى بلادكم تستمتعون بهذه الحرية كلكم احرار ، يا للحظ السعيد .

قلت : للأسف لسنا جميعا ولكن البعض منا فقط لأن النوم على الرصيف يحتاج الى عضلات لكى تدافع عن رصيفك ، ويحتاج الى نقود لرشوة عسكرى الدرك .

قالت : عسكرى الدرك ؟ وما هو عسكرى الدرك ؟ قلت ، اختراع حميرى ربما لم تصلوا اليه بعد ، ففى كل شارع فى بلادنا عسكرى درك مهمته حماية اصحاب المساكن من اصحاب الرصيف ولكنه فقد الاهتمام بوظيفته مع مرور الزمن وتفرغ لبيع الرصيف لمن يرغب من المفالسة .

سألتنى : طيب والذين يرفضون الدفع ؟

قلت : هؤلاء انسحبوا فى هدوء الى المقابر .

قالت : ماتوا ؟

قلت : بل هم احياء يرزقون ولكنهم ذهبوا وسكنوا المقابر .

قالت : مع الموتى ؟

قلت بالضبط ، الأم تطبخ طعامها فوق شاهد المقبرة ، ويموت الشخص الذى يسكن المقبرة فينزل عدة درجات ليستقر تحتها !

قالت : ما اعمق حكمتكم وما اعظمكم من حكماء ، الغيتم الموت عندما سكنتم مع الموتى ، أرجوك لا تصرح بهذه الاسرار لأحد غيرى ساهز العالم عندما اصدر كتابى عن العصر الحميرى ، ساحدث

تحولا فى العالم اخطر بكثير من التحول الذى أحدثه انشتين بنظرية النسبية وسادخل التاريخ بنظرية الحميرية !

قلت للبنت الجهولة : دخلنا مرة اخرى فى النظريات بينما انا اتكلم عن حقائق موجود بينك بينها ساعتان بالطائرة الى المغرب العربى واربع ساعات الى ليبيا وسبع ساعات الى الخليج .. هل تسمعين بالفجيرة ؟

قالت : فواجرا ؟ تقصد كبد الاوز البرى .

قلت : انا لااقصد الفواجرا اقصد الفجيرة على شاطىء الخليج .

قالت : ولماذا ؟

قلت : بها كل متناقضات العصر تجسدت وتبلورت على ارضها فيها الف مواطن ومائة مليون دولار ميزانية كل عام .

قالت : لابد انهم اثرياء وسعداء .

قلت : بل هم اثرياء وتعساء .

قالت : كيف ؟

قلت : عندهم فلوس وليس عندهم مجتمع ، ولديهم رأسمال ولكن ليس لديهم ادوات انتاج ، ورغم المال والغنى فلديهم فقراء ولا فقراء الهند .

قالت : وهل انت من الفجيرة ؟

قلت : لا ، انا من الفقيرة اقصد من دميرة .

قالت : وهل دميرة اسعد من فجيرة ؟

قلت : ليست اسعد ولا اسوا ولكن الفجيرة فيها غنى وفيها فقر ، بينما الدميرة فيها فقر وفيها افقر . ومركز دميرة مساحته اكبر من مساحة الفجيرة عشر مرات ومع ذلك فعلى رأسه عمدة يأكل يوما ويصوم عدة ايام ، ويلبس مرة ويتعرى عدة مرات

قالت : ولماذا لا يأخذ معونة من الفجيرة ؟

قلت : وكيف يأخذها وهو لا يستطيع السفر الى هناك ، لأن السفر الى هناك يحتاج الى تاشيرة والى كفيل وحتى عندما يأتى اهل الفجيرة الى بلادنا لا يذهبون الى مركز دميرة ولكنهم يذهبون الى ملهى البجعة وكازينو الليل ! قالت : الليل ؟ ذكرتنى بالليل وما فى الليل ، فهيا نتنعم بالليل وما فى الليل أيها الحمار الطيب .

DVD4ARAB

وفي الليل قالت : ما مكان بلدكم على الخريطة ؟ قلت : لا مكان لها على الاطلاق فهي موجودة وغير موجودة واهلها احياء وغير احياء واهلها جميعا من ابناء العصر الحميري كما يحلو لحضرتك ان تطلقي عليه . قالت : غريبة ! لم أكن أعلم ان هناك بلادا من العصر الحميري لا تزال تحيا في القرن العشرين .

قلت : ومن قال لك انها تحيا في القرن العشرين ؟ ربما تكون في القرن العشرين قبل الميلاد ، وربما تكون في القرن العشرين قبل التاريخ ، وقبل الجغرافيا وقبل علوم الجبر والحساب ومع ذلك فالأحوال ليست سيئة الى هذا الحد والامور ليست متدهورة الى هذه الدرجة ، والحياة ليست هكذا ظلاما في ظلام كما كانت الدنيا في البدء .

قالت : اذن لديكم نقط مضيئة وانجازات رائعة ؟ قلت : بالطبع .

قالت : حدثني عنها ارجوك فلابد ان انجازاتكم الحميرية فاقت كل وصف .

قلت : عندنا اختراعات لا اظن ان مثلها عندكم ولا اظن أنكم سترون مثلها عما قريب .

قالت : اضرب مثلا . قلت : لقد حدثتك من قبل عن اختراع عسكري الدرك الذي كانت مهمته في الاصل حماية اصحاب المساكن من اصحاب الارصفة ثم نسى المهمة فتفرغ لبيع الارصفة . وعندنا اختراع اخر اسمه المخبر ، وهو جدع طويل وعريض كف يده مثل المطرقة اذا لكش به رجلا على قفاه انكفا الرجل على وجهه ، واذا لكشه على وجهه انكفا الرجل على قفاه ، انه التجسيد الحي لشعار الكفاية والعدل . يكفيه على وجهه وهذه هي الكفاية .. ويعدله على قفاه وهذا هو العدل ! ومهمته السعي في الليل يجوس خلال الديار يعكم كل من يلقاه في الطريق خصوصا اذا كان من النوع المتقمل أو المتأمل .. فالأول جربان والثاني سرحان . ثم هو حريص على ان يعكم اى امرأة في الطريق بعد العاشرة مساء حتى لو كانت في طريقها لشراء دواء لابنها المصدور أو رغيف لابنها الجائع فالشرف فضلوه على الادب والادب فضلوه على العلم والأمن فضلوه على الجميع ! وهو في آخر الليل يسحب صيدة عيال يمارسون اعمالا حرة ،

ورجالا بلا عمل واعمالا بلا امل وافندية بلا نفوذ او فلوس ويربط الجميع في حبل تعبيرا عن اتحاد قوى الشعب العاطل ثم يسحب الجميع الى الحجز ، هل تعرفين الحجز .

قالت : بالطبع انا اعرف الحجز ، اذا كنت مسافرا فلابد ان تحجز مكانا ، واذا اردت ان تدخل المسرح فلابد ان تحجز مقعدك قبلها بعده ايام .

قلت : لا ليس هذا هو الحجز في بلادنا ، الحجز في بلادنا شيء مختلف ، الحجز في بلادنا غرفة بلا باب ولا شبك عارية تماما ارضيتها اسفلت وحيطانها زفت وفي كل ركن جيش من الاكلان وهو يشرب دم البنى آدم ولا يشبع وياكل لحمه ولا يبشم . وفي هذا الحجز يمكن لأى عسكرى شرطة ان يلقى اى مواطن عددا من الايام مع اننا جميعا ابناء العصر الحميرى من المحيط الى الخليج نعيش في ظل سيادة الاخ العزيز القانون !

قالت البنت وهي تتلوى : ولكن كيف تسير الأمور هكذا وعندكم قانون ؟

قلت : لا باس ، ففي بلادنا كل شيء ممكن وكل شيء جائز وكل شيء معقول . والحجز موجود والقانون موجود وبينهما تعايش سلمى ! وهما يسيران على خطين متوازيين ولن يلتقيا .. القانون في الشرق والحجز في الغرب والناس في بلادى لا تغضب ولا تاسف ولا اعتراض لديهم ولا مانع . فكل ما خلق الله له حكمة حتى السجن والظلمة والكى بالنار .

قالت وقد بدا الحزن عليها : اذن الحجز هو السجن ؟

قلت : بالعكس السجن شيء والحجز شيء اخر ، فالسجن من اختراعاتكم لان السجن اختراع حضارى ، فالسجان مسئول عن طعام المسجون وعن علاجه وعن حياته وعن يوم محدد لاطلاق سراحه . ولكن الحجز اختراع حميرى فلا اكل ولا كساء ولا علاج ولا افراج ايضا الا اذا رق قلب حضرة البيه المأمور والبيه الضابط والبيه المخبر .

قالت وقد بدا عليها الاسف : طيب واذا لم ترق هذه القلوب جميعا ومات الرجل المسكين في الحجز ؟

قلت : « لا حاجة الله جاب الله خد ، والموت حق وهو مكتوب على الجبين ولكل اجل كتاب والذى يموت فى الحجز كالذى يموت فى الوجد . كلاهما مات عندما تلقى استدعاء من السماء . فلا العشق مسئول ولا حضرة الضابط مسئول فاقدارنا بيد السماء القاسية يانهر البنفسج على رأى عمنا زكريا الحجاوى طيب الله ثراه .

قالت : وهل مات زكريا الحجاوى ؟

قلت : البقية فى حياتك .

قالت : وهل مات فى الحجز ؟

قلت : بل مات فى الدوحة وبعد ان داخ السبع دوخات .

وبدا عليها انها لم تفهم وان كان الحزن قد بدأ على وجهها بشكل اوضح فقلت لها : لا تحزنى على عمك زكريا . لان الموت عندنا غير الموت عندكم . فلذا كان الموت عندكم هو نهاية لحياة هى فى الاصل جميلة ولذيذة . فالموت عندنا هو خلاص من حياة هى فى الواقع تاديب وتهذيب واصلاح ولذلك لم نحزن لموت عمك زكريا الحجاوى لان الميت ما اسعد حظه والحى يا اسفى عليه !

● ● ●

تمطت البنت ثم تنهدت ثم عطست ثم كحت ثم قالت فى صوت مبحوح مسلوخ : يا لك من شقى جعلتنى اسرح خلفك فى القرون السحيقة واخذتنى من يدى فى جولة رهيبة عبر دروب مدن دالت وشوارع اندثرت . اجلستنى مع اصناف من البشر انقرضت ولكنك على اى حال اشهد لك بأن روحك خفيفة ودمك اخف من روحك وعقلك اخف من الجميع .

قلت للخوجاية الدلوعة : كلامك معقول وقولك مقبول لولا انى اختلف معك فى شىء واحد فانا بالفعل روحى خفيفة ودمى أخف ولكن عقلى خف وشف حتى اختفى تماما وصار بلا وجود . والحق ان عقلى معذور يا حضرة البنت الحلوة لأن الامور فى العصر الحميرى تجعل العقول تختفى وتزول . وقالت البنت مستنكرة ولماذا ؟ انت حمار وتعيش فى العصر الحميرى فلماذا الغضب والاحتجاج ؟

قلت : هذا صحيح يا ايتها البنت الفرنساوية ولكن الأمر المحير اننى مادمت حمارا والكل حمير والعصر أيضا حميرى فلماذا يكون

بيننا المدير وبيننا الوزير ومنا السفير ومنا الفقير ومنا الثرى الامثل والفقير الاحول وفينا المحتاج ومدير الانتاج ؟ هل دخلت يوما حظيرة حمير فوجدت احدهم لا يجد تبنا والاخر يبعثر تبنا وشعيرا على صنف الاتان وهى انثى الحمار ؟ هل وجدت حمارا صاحب عمارة وكل السكان حمير ؟ هل رأيت حمارا مسجونا وحمارا سجانا فى اى اسطبل أو فى اى موقف حمير ؟

سرحت البنت وهمست : يا للاعاجيب ، ان ما تقوله صحيح لم اشهد فى حياتى حمارا يركب أو يامر حمارا ولكن الحمير فى الهوى حمير وكلامك هذا يجرنا الى سؤال آخر هل لديكم قضاء كما لدى الآخرين ؟

قلت : ياسيدتى كل شىء موجود وكل شىء حاضر واذا كان لديكم قضاء فلدينا قضاء وقدر . واذا كان لديكم حكومات فلدينا عكومات مهمتها عكم كل حمار ينهق فى وجهها او يرفس فى ظهرها ! ثم لدينا اختراع حكومى لا اظن ان احدا قد توصل اليه . ففى بلادنا لا تسال الحكومة المواطن كيف يحيا وليس لديها اى اهتمام بالحمار المواطن مادام يعيش . ولكن اذا مات أى حمار جربان او عدمان نشطت جميع اجهزة الحكومة تسال وتدقق وتفتش وتحقق لتعرف كيف نفق الحمار وسيحضر على الفور مفتش الصحة وضابط المباحث وعشرة من المخبرين الكرام .

سالتنى البنت : وما السبب ؟

قلت : لان المواطنين الحمير فى بلادنا كلهم متهم حتى تثبت ادانته .

وقالت : عندنا موجود ايضا مع فارق بسيط هو ان المتهم برىء حتى تثبت ادانته .

قلت : نعم اعلم ذلك ولكن هذا مبدأ لا يصلح للمجتمع الحميرى .

قالت : وعلى ذلك فالحياة قاسية والمعيشة لا تطاق ؟

قلت : بالعكس فالحياة اخر سبهللة واخر صهللة . فالناس تتكاثر كالذبان وتتوالد كالدود عن طريق الانقسام . والشمس مرعرعة والسماء صافية والجو آخر حلاوة وآخر طلاوة والناس اخر رضا وآخر انسجام واللى مكتوب على الجبين ياقلبى لازم تشوفه العين .

قالت : اذن فانتم مبسوطون مسرورون واخر مزاج وانشكاح

قلت : تمام .

قالت : هذا اذن يثبت انكم انقياء . لم تخالط دماءكم اية عناصر غريبة فلا هكسوس ولا تتار ولا فرس ولا رومان ولا اتراك ولا جريج استطاعوا التاثير فيكم .

قلت : بالعكس بل نحن الذين اثرنا فيهم وكانوا ياتون الينا فى البداية مختلفين تماما ولكنهم فى النهاية يخرجون حميرا باذن الله .

قالت : لو صح كلامك لصار هذا كشفا تاريخيا عظيما . قلت : هناك مثل واضح يثبت صحة ما اقول . عندك الاتراك مثلا . عندما جاءوا الينا بقيادة عمك سليم كانوا اقوى ناس فى الارض واعظم صنف بشر على وجه البسيطة وعندما خرجوا من عندنا كانوا الرجل المريض فى اوروبا والرجل الميت فى اسيا والرجل المتسول فى بلاد الحمير .

قالت : وما السبب ؟

قلت : السبب نحن .. ينظر الينا الاخرون فيعجبون ثم يتحول الاعجاب الى حب والحب الى هيام والهيام الى عشق ثم يقلدون ثم يتصورون انهم حمير مثلنا ، ولكنهم يفشلون لأن الحمورية وقف علينا ، ولأنهم حمير تقليد بينما نحن الاصل .

قالت : بعدما استمعت وانكشعت : اعتقد اننى الآن استطيع ان انال درجة الدكتوراه بامتياز لو اننى قدمت هذه المعلومات الى جامعة السوربون .

قلت : ولكنى لم انته بعد من سرد العصر الحميرى السابع .

قالت : اذن عندك امثلة اخرى يا حمارى العزيز .

قلت : العلة ابلغ الامثلة واعمقها لانه مثل معاصر .

قالت : قل ايها الحمار العبقرى .. ان هذه اول مرة ارى فيها حمارا وعبقريا فى الوقت نفسه . ولكن دعنا الآن ناخذ قسطا من الراحة لكى نعاود الحديث فى الصباح .

١ / ١٠ / ١٩٨٩ .

● ● ●

أعلى مراحل الاستحمار

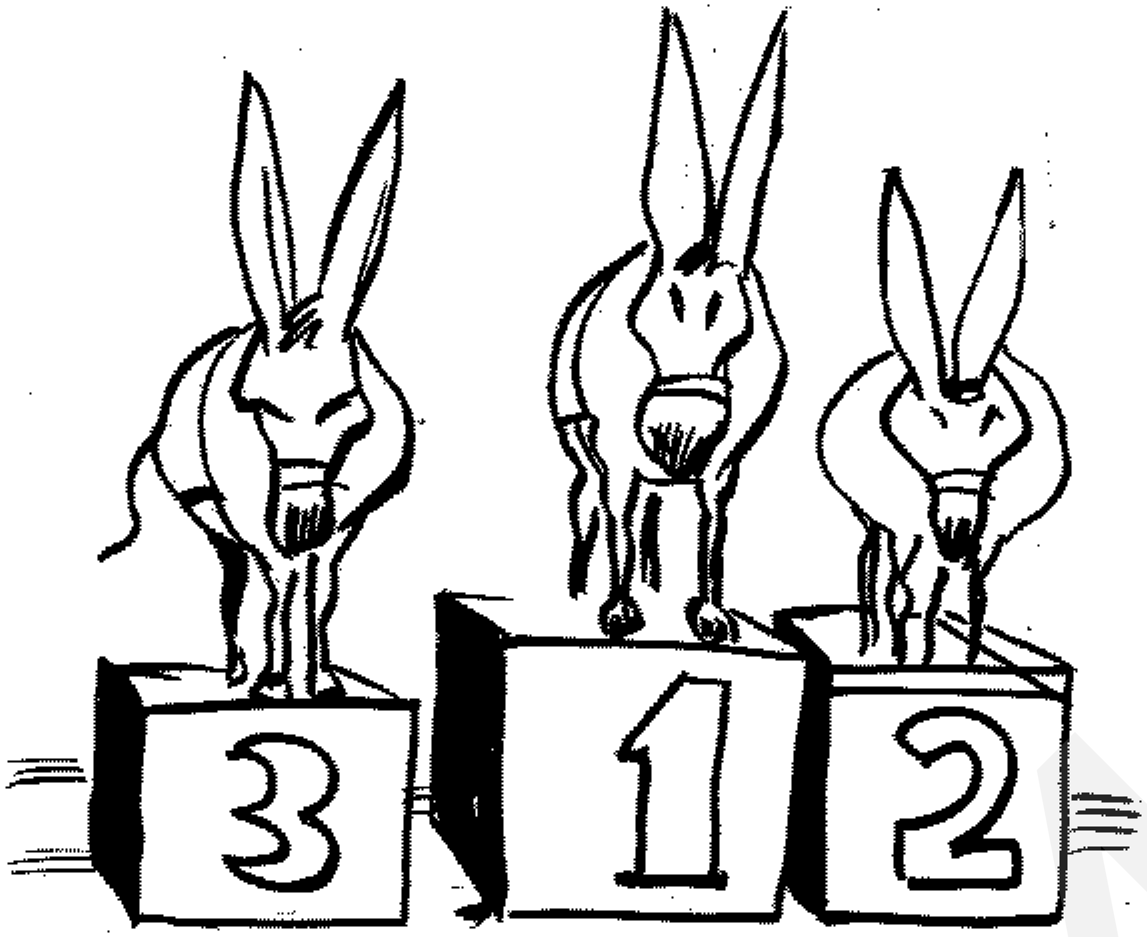

وفى الصباح زغدتنى البنت ولكشتنى ، وتصورت لشدة حموريتى ان البنت قد اعدت للعبد لله افطارا شهيا . ولكن البنت كانت فى العلم متشعللة ، وعلى المعرفة مستعجلة ، فصارحتنى وصدمتنى ، وقالت لا افطار ولا عشاء قبل ان اعرف كل شىء عن العصر الحميرى من الالف الى الياء . هيا ايها الحمار العبقرى حدثنى اولا كيف تكون حمارا وعبقريا فى نفس الوقت ؟ قلت : انها صفة على اية حال ليست مكتسبة ولكنها جاءتنى بالوراثة .

DVD4ARAB

فجدى الاول يرحمه الله كان حمارا واستاذا ، وجدى السابق كان حمارا وعمدة ، وجدى الاسبق كان حمارا وفلاحا ، وستي يرحمها الله كانت حمارة وعالمة .

قالت في دهشة : ستك كانت عالمة من العلماء ؟

قلت : لا ، بل كانت عالمة من العوالم . وفي بلادنا عالمات كثيرات اشهر بكثير من مدام كورى واغنى بكثير من مدام تاتشر ، واكثر انتشارا من مدام تحب بتتكر ليه !

قالت : وهل حصلن جميعا او بعضهن على الاقل على جائزة نوبل ؟

قلت : لا ، ففي العصر الحميرى لا توجد جوائز نوبل ، ولكن هناك جائزة موبيل ، هل تعرفين العبقرى حسن الأمام ؟

قالت : للأسف لم اسمع بهذا الاسم من قبل .

قلت : هذا عبقرى من فصيلتنا ، وهو مخرج سينمائي متخصص في افلام العوالم ، اقصد العالمات بمبه كشر وشفيقة القبطية وبنت بديعة ، الى آخر هذا الصنف من النساء اللاتى جعلن من بلادي قبلة للعين والاعيان ، واثرياء المنطقة الحميرية ، ومن طنجة الى صنعاء !

قالت : ولكن ماله حسن الامام ؟

قلت : لا شيء ، ولكنى اردت فقط ان اوضح لك الصورة لتعرفي بهتة ستي ومكانتها يرحمها الله . انها شيء مثل بديعة وشفيقة وبمبه كشر الى آخر هذا الصنف الطويل من النساء الخالدات في التاريخ !

قالت : اذن فقد اخرج حسن الامام فيلما عن المرحومة ستك .

قلت : لا ، لم يحدث هذا ، والسبب خلاف عائلي وقع بيننا وبين المخرج .

قالت : خلاف ؟ اى نوع من الخلاف تقصد ؟

قلت : المخرج اياه من النوع الوحشي ونحن من النوع الحصاوى ، وكانت بيننا دائما خلافات عائلية وايدلوجية ، ولذلك تجاهل المرحومة ستي رغم مكانتها الكبيرة وفنها الذى ليس له نظير ! ومع ذلك فلنعد مرة اخرى الى ما كنا نتحدث فيه ، كان حديثنا عن حموريتنا واثرها في العالمين ، واعظم وابلغ مثال هو الذى حدث

مع العظمى بريطانيا ، آخر امبراطورية شهدها عصر ما قبل البنسلين . فعندما جاءت بريطانيا العظمى الينا ، كانت عظمى بحق وحقيق ، وكان وزير المستعمرات البريطاني اذا كح في لندن ، قال له من في الهند يرحمك الله ، واذا تمخطرت فرقاطة واحدة في البحر الابيض ، اغمى على كل صنف الحمير شرق البحر ، وركع على ركبتيه كل من القى السمع وهو شهيد ، ولكن مع مرور الوقت تاقلمت بريطانيا في بلادنا وتاثرت ، وعندما خرجت من هناك كانت قد اصبحت دولة نامية ، ثم تدحرجت بعد ذلك لتصبح دولة نايمة واليوم اذهبى الى بريطانيا ستجدين بصمات حوافرنا على كل شيء هناك . الشوارع كلها مطبات ، وتليفونات الساحات كلها معطلة ، ومترو الانفاق تحول الى مقلب زبالة ، والخدمة كلها سيئة ، وكل فرد وله ماساة ، واصبحت بريطانيا العظمى قطعة من العصر الحميرى ، واصابها شره وخيره ايضا لدرجة ان البترول تدفق من ارضها ، باعتباره علامة مميزة على العصر الحميرى دون سواه ، والآن ، لو انك ركبت القطار من قلب لندن ستجدين نفسك بعد خمس ساعات في جبل لبنان .

قالت : جبل لبنان ؟ انها المرة الاولى التى تقول فيها كلاما يدل على انك حمار !

قلت : وهل كان عندك شك في انني حمار ؟ لقد صارحتك من اول لحظة بانني حمار بن حمار من نسل حمار من صلب حمار ، وهل كنت تظنين انني اخدعك عندما قلت لك انني حمار ولى الشرف ؟ ثم هذه ولا مؤاخذة بادرة غير طيبة ستجعل صحبتنا صعبة وعشرتنا عسيرة ، والمفروض انني اقول الصدق . خصوصا وانني لا اريد منك جزاء ولا شكورا .

قالت : معذرة ايها الحمار الاصيل ولا تؤاخذنى بما بدر مني ، ولكنك زودتها حبتين عندما قلت انه على مسافة خمس ساعات بالقطار من لندن ستجدين نفسك في جبل لبنان .

قلت : بسيطة ، وهذا معناه ان الحمير تعرف اكثر مما يعرف صنف البنى آدمين ، وما عليك الا ان تسأليني كيف ؟

قالت : كيف ؟

DVD4ARAB

قلت : قبل ان اشرح لك الرواية ، واقص عليك الحكاية ارجو ان تجاوبيني بصراحة على سؤال .. هل حدث يوما انك خطفت رجلك الى لبنان ؟

قالت لا ، لم اذهب يوما الى لبنان ولكني اعرف موقعه بالضبط على الخريطة واعرف ايضا انه يبعد عن لندن خمس ساعات بالطائرة وليس بالقطار .

قلت : عظيم وقبل ان نبدأ في الشرح ، اريد ان اوضح لك ان لبنان هذا جزء من بلادنا وقطعة من ارضنا .

احتجت البنت بشدة وقالت اسمع بقي ، انا لست طفلة لكي تضحك على عقلي بكلامك الغريب ، ولست جاهلة لكي تزيف على حقائق الجغرافيا والتاريخ ، وانك قلت من قبل انك من مركز الباجور منوفية ، فكيف تعود الآن وتدعي ان لبنان الآن بعض املاككم وجزء من اراضيكم !

قلت للبنت المحتجة : هذه هي الحقيقة ايتها البنت المثقفة ودعك من كتب التاريخ واطالس الجغرافيا ، فللعصر الحميري كتبه وخرائطه وعلومه التي لن تجديها في الجامعة ، ولكنك ستعثرين عليها في الواقع المر الاليم ، والواقع ان بلادنا كلها اسمها مركز الباجور منوفية ، نعم ، كلها من المحيط الى الخليج ، ولكن بعض الاجزاء اتخذت لنفسها اسماء حركية مثل لبنان ، سوريا ، ليبيا ، اليمن الشمالي ، اليمن الجنوبي ، قطر ، تونس ، الصومال .

قالت البنت منبهرة : ولكن لماذا تغيير الاسماء ؟ ولماذا اللجوء الى اسماء حركية ؟ وهل يخدعون انفسهم ؟ ام يخدعون الاخرين ؟

قلت : لا هذا ولا ذاك في واقع الامر ، ولكن العائلة عندما خابت تشتتت وتقسمت ، وتمزق العلم تبعنا فصار عدة اعلام ، وانقسم العمدة الذي كان راسنا وخرج من بين ضلوعه عدة ملوك وعدة رؤساء وعدة سلاطين وعدة امراء ، ولكن ما علينا ، فلم يكن هذا حديثنا على اية حال .

قالت : صحيح ، لقد كنا نتحدث عن لبنان الذي يبعد عن لندن خمس ساعات بالقطار .

قلت تمام ، ولكن قبل ذلك ينبغي ان نذهب قليلا الى لبنان فلبنان

ينقسم الى مليون لبناني ، وكل لبناني دولة قائمة بذاتها ، ودين له طقوسه ورسله ومعابده وكتبه المقدسة التي نزلت راسا على صاحبنا هذا من السماء . ورغم القشرة الحضارية التي تبدو على سطح لبنان . ففي الجوهر المسائل تختلف ، وكل مواطن من طائفة هو ضد مواطنه من الطائفة الاخرى . هذه هي حقيقة الامور في لبنان الذي هو من اعمال مركز الباجور منوفيه . ولكن كيف يبعد لبنان خمس ساعات في القطار عن مدينة لندن ، فهذا هو بيت القصيد ، هل تعرفين القصيد ؟ قالت لا هذا شيء لا اعرفه ولا ادعيه .

قلت : انه اسم الدلع للقصيدة . وبيت القصيد هو افضل بيت شعر في القصيدة ، ونحن المواطنين من العصر الحميري مولعون بشدة باستخدام افعل التفضيل ، فهذا البيت افضل ، وهذا الرجل اعظم وهذا اليوم اخلد ، وهذا اكرم وهذا ابخل وهذا افظع وهذا اروع وعندنا سبهللة في اطلاق الاوصاف والالقاب ، فمثلا ، ايامنا كلها خالدة ، وخطب زعمائنا كلها تاريخية ، وكل خطاب لابد ان يكون له صدى في العالمين ، ولدينا اجهزة اعلام متخصصه في نشر الصدى والتعليق على الصدى ! وكلما تولى عمدة في بلادنا منصبه اصبح يوم توليه ثورة ، وعندنا ثورات بعدد شعر رؤوسنا ، ثورة الفاتح من سبتمبر ، وثورة القافل من نوفمبر ، وثورة النازل من فبراير وثورة الطالع من يناير ، وثورة ١٥ عبده وثورة ١٣ رجب ، وثورة ١٨ نيسان وثورة ٣١ امشير ، وكل ثوراتنا والحمد لله عالمية ، وكلها غيرت وجه التاريخ وغيرت معالم الجغرافيا ! وكل كتب السماء نزلت خصيصا لنا ونزلت مباشرة علينا ، ولكن لشدة حموريتنا اضفنا اليها كتبا من تاليفنا ، ووثائق من عنديتنا ، فلدينا كتاب اخضر زرعي ، وكتاب اصفر زيتي ، وكتاب ازرق بنفسجي . وهي كتب فلسفية واجتماعية وميتافيزيقية تبحث في شئون الهيلولة وفيما وراء قفا الافق ! ولكن هذا لم يكن حديثنا على اية حال ، فقد كنا نتحدث عن لبنان الذي يبعد خمس ساعات عن لندن ، وعندما اقول خمس ساعات فانا واثق ان المسافة تستغرق خمس ساعات بالتمام والكمال ، وهي ميزة من ميزات بلادكم ، ففي بلادكم ساعات وفيها عقرب للدقائق وعقرب للثواني ، ويستعملها الناس عندكم

ليضبطوا مواعيدهم ويعرفوا بها اوقاتهم ولكن بلادنا نحن تستعمل الساعات للهدايا والزينة وربما لمعرفة مواعيد الهوى والغرام ! والقطار عندنا اذا قام مثلا من محطة مركز الباجور قاصدا مركز اشمون جريس ، او قام من محطة بغداد الى محطة الفالوجا ، او قام من محطة دمشق الى محطة حماة ، فهو يقوم بمزاجه ، ويتهادى على كيفه وهو لا يحدد وقتا لوصوله ، لأن فى التحديد تحديا للمشيئة ، وهو سيصل حسب مشيئة الرحمن ، واذا لم يصل على الاطلاق فهذه ارادة السماء ، ولذلك ستجدين على كل محطة الف حرمة فى ملابس سوداء ، جئن لتوديع المسافر من مركز الى مركز ، لأن الراكب مفقود ، والقطار نفسه مفقود ، مفقود مفقود ياولدى !

قالت البنت الناعمة : على هذا انتم تركبون الصعب فى بلاد الحمير ، تصورت انكم مادمتم حميرا حياتكم سهلة ومعيشتكم رغدة واموركم غاية فى الدماثة والتسهيل .

قلت : معك حق ياست ياغندورة ، فقد كان هذا هو المفروض ولكن تصورى حمير واشغال شاقة ، حمير ومصائب ، حمير ومتاعب ، حمير ونوائب ! هذا شىء يسد النفس ويعمى العين ويقتل الروح والفؤاد والضمير ، او كما قال عمنا الفيلسوف ابو النصر المتعاجب ابن ابو شادوف المتالم .

قالت البنت المضروبة : ولكنك جرجرتنى وراءك بلا طائل . ودوختنى دون نتيجة ، ولقد بدأت حديثك معى عن لبنان الذى يبعد عن لندن خمس ساعات بالقطار ، ولكنك ذهبت شرقا وذهبت غربا ، وتكلمت فى الذرة وفى البصل الاخضر دون أن تكشف لى عن سر لغزك أو تجيب عن السؤال الذى طال انتظارى لسماع الجواب عليه .

وقلت : على مهلك ايتها البنت الخوجاية ، فانت أولا الملومة وثانيا المسئولة وثالثا انت التى اكتشفت اننى من أبناء العصر الحميرى ، وكنت حتى التقيت بك لا اعرف اكثر من اننى من مركز الباجور منوفية ، والحق اقول اننى كنت فى غاية السعادة والانبساط ، وإذا كان لابد للانسان ان ينتمى الى فصيلة حيوانات ، فقد كنت اتصور اننى انتمى الى العصر الأسدى أو العصر الفيلى أو العصر الخرتيتى ، مع التجاوز والاكرام . ولكن بما انك تعرفين

اصلى وفصلى ، فاعلمى ايتها الغندورة اننا فى العصر الحميرى نبدأ حديث عن الصين ونستغرق الوقت كله فى الحديث عن البرتغال ! نرفع شعارات التحرير ونوقع المعاهدات السرية للتبعية والاحتلال ، نتكلم عن الكفاح المسلح ونجعله فى واقع الأمر مجرد كفاح مشلح .. لا يزيد ! نحارب الاستعمار ، ونقبض من مخابراته ! ندعو الى العدالة الاجتماعية ونفتح بوتيكات باسماء زوجاتنا فى الحمرا وفى الشواربى وفى شارع الشيخ حمدان ! نتكلم عن الدين والحرب والكتاب المقدس ونشارك فى راسمال ملهى ليلى بشارع الأهرام او فى الزيتونة او فى السمج او فى الامتداد ! انتم تسمونها حمورية ونحن نسميها كياسة وسياسة وفتح عينك تاكل ملبن ، وصلى على الواحد القهار !

قالت : ولكن الغريب مع انك حمار فانت تبدو ساخطا على ما يدور فى بلادكم وغير مستريح لما يجرى هناك .

قلت : بالعكس ، بل انا راض ومستريح وموافق ومبسوط واربعة وعشرين قيراط ، وانا واحد من الـ ٩٩,٩٩٩ فى المائة الذين يوافقون على كل استفتاء ، وانا مجرد شاهد على العصر ارسم الصورة دون تدخل ، واحكى تفاصيل الحكاية دون موافقة أو معارضة ، فهذه المشاعر ابعد ما تكون عن بالى المطمئن وضميرى المستريح .

قالت : افهم من ذلك انه لا يوجد فى بلادكم حمير فى المعارضة ؟

قلت : بل انهم اليوم لكثيرون ، عندنا معارضة بمرتب ، ومعارضة على درجة ، ومعارضة بمكافأة ، وحكوميون معارون للمعارضة ، ولدينا مناضلون يركبون المرسيدس ، ويديرون بوتيكات للملابس المستوردة ويشاركون اللصوص والحرامية والمجرمين ! وعندنا قادة منظمات مسلحة دفاتر شيكاتهم اطول من الشريط الحدودى بيننا وبين اسرائيل ! ولدينا معارضون ومهاجرون . فالذين يعارضون عمدة سوريا يقيمون فى العراق . والذين يعارضون نظام العراق يقيمون فى دوار عمدة ليبيا . والذين يرفضون قراءة الكتاب الأخضر يعيشون فى المحروسة ، والذين يعارضون المحروسة يعيشون فى لبنان ! وبعض هؤلاء هجر السياسة وتفرغ للتجارة ، ونشأت فى اماكن عديدة فى بلادنا أحزاب معارضة تشتغل باعمال الكهرباء ،

واحد من الكهرباء يدير مكتبا ثقافيا ويصدر نشرة شهرية اسمها المباحث ! ويقيم فى شقة بمليون جنيه فى بروكسل ، ويفتى كثيرا فى امور النضال والكفاح ! وكهربائى اخر من شدة تعلقه بالقومية اسس شركات للكهربائيين العرب والميكانيكيين العرب ويسعى الآن لاصدار جريدة قومية وحدوية لجمع الشمل فيما بين الهادر والثائر ، وكله عند الحمير صابون !

قالت : انت تقصد اذن ان هؤلاء المعارضون تخلوا نهائيا عن رسالتهم وانضموا بصراحة الى حزب المهلبين والمهربين !

قلت : ابدا ، المصيبة انهم لا يزالون يعلنون فى كل مناسبة انهم من المد الثورى المتشنكر فى الحنجورى ، من اجل تعاظم قوى الشعب المتقعر فى سبيل تلاحم الشواشى العليا للبرجوازية ، من اجل جماهير الطبقات المطحونة فى طريق الشحن المتبادل على طريق الثورة المرتقبة ، من اجل قيام عالم تسوده الحلبسة والاودسة والتامين على الحياة !

قالت : ولكن نموذجا واحدا لا يعول عليه لابد انه شاذ ونشاز ومن الخوارج .

قلت : يا ايتها الست الطيبة ، لو كان نموذجا واحدا لما شغل وقتنا بالحديث عن سيادته ، ولكنهم كثير .. صحيح هناك نماذج اخرى جيدة ، ولكنها قليلة ، وهى الشذوذ الذى يثبت القاعدة . فالقاعدة هى التهليب ، والشذوذ هو العمل من اجل الثورة . وعلى كل حال انا اعرف نموذجا آخر من عائلة ثرية ، وهو نموذج تنطبق صفاته على كثيرين وهو ثرى امثل يمتلك عمارة وسيارة وله حسابات فى البنوك ، وهو حائز على جائزة عبد الناصر من موسكو ، وحائز على جائزة نكروما من السودان ، وحائز على جائزة سوكارنو من اسبانيا ، وحائز على جائزة فرانكو من اليابان ، وهو فى الرواية ينافس نجيب محفوظ ، وفى المسرح ولا توفيق الحكيم ، وفى الشعر ولا احمد شوقى ، وهو فى الثراء ولا عثمان احمد عثمان . وهو بعد ذلك وقبل ذلك شيوعى قبل ماركس ، ولينينى قبل لينين ، وناصرى قبل ظهور عبدالناصر ، وتصحيحى من مرحلة انور السادات !

● ● ●

قالت : اذن هو رجل من انصار الحياة ومع الحياة ، يمضى حيث تمضى ويذهب حيث تذهب .

قلت : هذا صحيح وهو فى السياسة كما فى الحياة يذهب معها اينما تذهب وفى أى اتجاه ، وفى ايام عبدالناصر كان ابو الناصرية ، وفى الانفتاح كان اول المنفتحين واول المنتفعين !

قالت : اذن أفهم من ذلك انكم تعانون من ازمة الكتاب الملتزمين .

قلت : بالعكس ، بل ان كتابنا ملتزمون . وهم ملتزمون بالاتجاه السائد ، وهم دعاة للخليفة الموجود ، وهم مع كل دولة حتى تسقط ، وضد كل ساقط حتى يرتفع ، وهم فى النهاية ملتزمون بالمرتب والصراف والحساب المودع فى البنوك !

قالت : اذن فهم ساقطون فى نظر الرأى العام .

قلت : اى رأى عام ؟ ان مركز الباجور منوفية يعيش فيه مائة وخمسون مليون نسمة ، واعظم جريدة فى مركز الباجور تبيع نصف مليون نسخة ، وهناك مائة مليون على الاقل لا يعرفون ان فى مركز الباجور جرائد ، ولم يصل الى علمهم بعد ان فى مركز الباجور ادباء ، نصف مليون فقط هو الذى يقرا وهو الذى يكتب ، وهو الذى يحكم وهو الذى يعكم ، وهو الذى يعيش وياكل الياميش ، اما الباقون فالله يرحم الجميع !

قالت : هل نسيت ما وعدتني به ياحمارى الصغير ؟ لقد قلت لى ان لبنان على بعد خمس ساعات بالقطار من لندن ، ولكنك سرحت شمالا ويمينا دون ان تحل هذا اللغز .

قلت : آه ، لقد نسيت ذلك فى زحمة الافكار والاخطار . الذى اقصده يا حضرة الست الخوجاية انه على بعد خمس ساعات من لندن فى القطار يوجد بلد اوروبى ، ولكنه فى الحقيقة جزء من مركز الباجور منوفية . هذا البلد هو ايرلنده ، وفى ايرلنده مسيحى بروتستانتى ومسيحى كاتوليكى ، ومع كل واحد منهم سلاح ، وفى جيب كل منهم قنبلة ، وفى يد كل منهم بندقية ، وفى صدر كل منهم حقد صايع كفران ، وانتم تزعمون انكم من اوروبا وانكم مهد النور والحضارة ، وبلاد الورد والنضارة ، ومع ذلك ففى بلادكم حرب ولا حرب جبل لبنان ، والا فما رايك فيما يجرى فى ايرلنده من حرب

اهلية ؟ وما رايك فيما يحدث فى هولنده من عنصرية ضد السود والكلاب ؟ وما رايك فيما يجرى فى بلجيكا ضد العرب والاتراك ؟ وما رايك فيما يجرى هنا فى باريس ضد المغاربة والتوانسة ؟ وما رايك فيما يجرى فى المانيا ضد كل شرقى ؟ ثم ما رايك ـ دام فضلك ـ فيما يجرى فى اسبانيا فى الماضى القريب ايام فرانكو ، وفى البرتغال ايام سالازار ؟

قالت : انا لا افهمك ، ماذا تقصد بكلامك هذا ايها الرجل الحمار ؟

قلت : اقصد بصراحة والصراحة احيانا اخت الوقاحة ، اقصد ان اوروبا نفسها جزء من مركز الباجور منوفية ، وانك اجهدت نفسك فى البحث عن العصر الحميرى مع ان العصر الحميرى موجود تحت بصرك ، وتستطيعين اكتشافه لو انك القيت نظرة بطرف عينيك ذات اليمين او ذات اليسار .

قالت : قد يكون فى كلامك بعض الصدق يا حمارى العزيز ، ولكن الناس هنا شكلهم مختلف عن اهل العصر الحميرى .

قلت : هذه هى النظرة البسيطة للامور ، اما النظرة العميقة فتكتشف ان العصر الحميرى ليس فى الشكل او ملامح الوجه او حجم الجمجمة ، وان الذى يحكم فى النهاية هو تصاريف العقل وتبعا للنيات والاعمال .

قالت : اذن فانت تقصد اننا جميعا حمير ، وكلنا نعيش فى العصر الحميرى السابع .

قلت : بل نحن نعيش فى العصر الحمير الأخير . فلا اظن ان حميرا غيرنا سيأتون من بعدنا ، كما اننى لا اعتقد ان حميرا غيرنا حتى ولو اتوا من بعدنا سيحققون ما حققناه او سيصنعون ما صنعناه ، فمن الحق ان نقول ان حموريتنا هى الاصل واننا بلغنا اعلى مراحل الاستحمار !

١٩٨٩ / ١١ / ١

• • •

لك هادا .. والشاويش حمدان .. !

قالت البنت العصفورة الكركورة : اعتقد انك تبالغ يا حمارى العزيز .. قلت : بالعكس ، بل أنا متواضع ، والحقيقة أسوا من هذا بكثير ، فمثلا ، نحن نعيش فى رقعة ارض واحدة ، ونتكلم لغة واحدة ، ونعبد الها واحدا ، ومع ذلك ، فكل عشرة امتار نحتاج الى تأشيرة دخول ، وتغيير عملة ، واقامة من دوائر الشرطة ، واحيانا نحتاج الى كفيل . قطر واحد من اقطار العصر الحميرى يسمح لأبناء العصر الحميرى بالدخول دون تأشيرة دخول ، ولكنه اذا اراد ان يخرج فعليه ان يحصل على تأشيرة خروج !

DVD4ARAB

ولدينا فوق ذلك عشرات الرؤساء وعشرات الملوك ، وعشرات الامراء ، وبعض السلاطين ! ولدينا حكومات ووزراء ومئات اللوائح والقوانين ! وزمان في بلادنا خرج رجل بسيط فقير مندهش على الدوام ، اسمه ابن بطوطة . خرج من طنجة بلاد الله لخلق الله ، وذهب الى تلمسان ، ومن تلمسان الى الجزائر ، ومن الجزائر الى صفاقس ، من صفاقس الى طرابلس ، ومن طرابلس الى سيوه ، ومن سيوه الى الاسكندرية ، ومن الاسكندرية الى القاهرة ، ومن القاهرة الى غزة ، ومن غزة الى القدس ، ومن القدس الى دمشق الشام ، ومن دمشق الشام الى بغداد ، ومن بغداد الى الحجاز ، ومن الحجاز الى البحرين ، ومن البحرين الى مسقط ، ومن مسقط الى صنعاء ، ومن صنعاء الى عدن ، ومن عدن الى الصومال ، ثم عاد من حيث جاء ، ولم يستوقفه احد ، ولم يفتشه احد ، ولم يسأله احد ابراز الهوية او الجواز ، ونزل في كل مكان اهلا وسهلا ، آخر مراحب وآخر احترام ، ولقد تم هذا منذ الف عام ، قبل حلول العصر الحميري الذي نحياه الآن ، ترى ايتها الست الكركورة الغندورة ماذا يحدث الآن لو جاء ابن بطوطة آخر واراد ان يلف بلاد العرب وان يزور ابناء الأرومة والعمومة الاعزاء ؟ واذا حدثت معجزة ونجا بجلده من طنجة ، فسيقضي بقية العمر في سجون صفاقس ، فاذا نجا من صفاقس فسيموت حتما في تخشيبة محافظة الاسكندرية ، فاذا استطاع ان ينجو من كل هذا ، فسيقضي نحبه قبل ان يستطيع الحصول على تاشيرة دخول للخليج ، فاذا حصل عليها قبل الموت ، فلابد له اذا اراد ان يتاجر او يكتب او يؤلف كتابا ، ان يبحث لنفسه عن كفيل !

قالت : هذا في بلادكم ، اما في بلادنا فالامر يختلف .

قلت : ابدا ، الحال من بعضه ونحن وانتم في الهموم سواء ، فاوروبا دولة واحدة ، ودين واحد ، واقتصاد واحد ، ومطامع واحدة ، ومع ذلك عشرون دولة ، وعشرون حكومة ، وعشرون صنفا من اصناف العملة ، وعشرون جواز سفر ، وعشرون خيبة بالويبة ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

● ● ●

قالت البنت الكركورة : خيبك الله ، اكتشفت انك من العصر الحميري ، فاكتشفت انت انني من فصيلتكم ، ورغم انني غير مقتنعة الا انك جعلت الفار يلعب في عبي ، ولكن بالرغم من ذلك ، فانا مصممة على ان انجب لك طفلا ، فانا مازلت متأكدة من انك الحمار الوحيد الباقي على قيد الحياة .

قلت : اما ذلك فدونه ضرب الرقاب ، ليس بسبب عفتي وتمنعي لا سمح الله ، ولكن بسبب عجزي وشيخوختي ، فانا حمار صحيح ، ولكني حمار عقيم .. عقيم يا كركورتي

وفي الصباح الباكر ايقظتني البنت الحلوة بعد ان قرصتني وزغزغتني وقالت : لقد شوقتني لرؤية بلادك ايها الحمار العجوز فلابد ان الهدوء يرفرف على ربوعها ، والطمأنينة تسكن في قلوب جموعها ، ولابد ان كل شيء وأي شيء هادىء وعلى ما يرام .

قلت للست الغندورة : ومن اين هبط عليك هذا التصور العجيب ؟

قالت وهي تتقصع وتتمطع : مادمتم حميرا ، فلاشيء لديكم الا الاكل والنهيق .

قلت : هذا صحيح ايتها الست الكركورة في عالم الحمير ، اما في عالم الحمير البني ادميين ، فالأمر يختلف ، ففي بلادنا حرب اهلية على ودنه ومذابح ولا مذبحة محمد علي في القلعة لصنف المماليك .

قالت : مماليك ؟ تقصد ملوك ؟

قلت : لا . اقصد مماليك ، وهم صنف من البشر اشتريناهم نحن الحمير بفلوسنا ، واطعمناهم من قوتنا ، وربيناهم ، وعلمناهم ، ثم نصبناهم ملوكا علينا ، فضربونا ضرب غرائب الأبل ، واستنزفونا ولا استنزاف امريكا في كوريا ، واستمروا حكاما علينا لمدة ستمائة عام دون ان يكونوا معتنقين بديننا او ملمين بلغتنا ، او عارفين باحوالنا !

قالت البنت مندهشة : ولكن لماذا لم تثوروا ضدهم ولم تنقلبوا عليهم ؟

قلت : حدثت ضدهم الف ثورة ، ولكنها لم تكن من جانبنا ، ولكن الثوار كانوا من صنف المماليك ايضا ، بينما كنا نحن نشاهد

وننفرج ، وننتظر من يغلب لنؤدى له الجزية ، ونمنحه ولاءنا صاغرين !

قالت : كيف ؟

قلت : لأن حكمتنا هي عصير تجاربنا . ولدينا شعار نعمل به جميعا ، شعار يقول : اللى يتجوز امى أقوله يا عمى ! ولدينا مثل يقول : ان لقيت بلد بتعبد عجل حش واديله !

قالت : وهل جميع الناس كانت تحش وتديله ؟

قلت : فى الواقع لم يكن جميع الناس ، ولكن بعضهم فقط ، فقد انقسم الناس الى قسمين ، ناس تحش وتديله ، وناس تحشش وتديها !

فقالت : تحشش ؟ تعنى انهم كانوا يحشون كثيرا ؟

قلت : لا فالذى يحش اختار موقفه ، وقرر ان ينتظم فى الصف ، وان يلتزم بالموافقة ، ليصبح فى النهاية مواطنا صالحا ترضى عنه الحكومة واجهزة الأمن ، اما الذى يحشش ، فقد آثر ان ينفصل ليس عن النظام ، ولكن عن العصر ، فهو يختار العصر الذى يريد ان يعيش فيه ، فى الماضى ، فى المستقبل ، كل حشاش حر يختار الزمن الذى يريد ان يعيش فيه ، ويختار المكان الذى يريد ان يقيم فيه .

قالت : ولكن كيف يستطيع ان يحقق امنيه عزيزة يتمنى كل انسان ان يحققها لو استطاع ؟

قلت : المسألة بسيطة ، ما على الحشاش الا ان يختار ، ثم يشفط من الجوزة شفطة ، ويكون افضل واسرع لو استطاع ان يكتم الانفاس ، وعلى الفور سينتقل الى المكان الذى يريد والعصر الذى يختار !

قالت : يالكم من مخترعين ليس لكم مثيل ، اخترعتم اشياء لم تصل اليها حتى احلامنا وانتقلتم فى سرعة الصاروخ ليس من مكان الى آخر ، ولكن من عصر الى آخر . لقد حققتم معجزة بكل المقاييس .

قلت : عندنا من هذه الاختراعات مالا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولكن فلنؤجل هذا الحديث الآن فلكل حادث حديث . لقد كان حديثنا عن الحرب الاهلية المشتعلة عندنا والمذبحة الشغالة فى بلادنا ولا مذبحة المماليك . كان لدينا بلد اسمه لبنان ، وكنا جميعا نحب لبنان ، ونموت فى لبنان ونعشق لبنان وجبال لبنان ومزارع لبنان

وعيون الماء فى لبنان وعرقى لبنان ، وكان لبنان متميزا وله وضع خاص ، كان منتجعا لاثرياء بلدنا ، ومتنفسا لاحرار بلادنا ومنطقة حرة للمذاهب والمبادىء والآراء ، حتى جاء رجل من ابنائه فاحاله الى خرائب وانقاض . رجل واحد اسمه شمعون وهو حليوه وعايق وغندور ومنفوش على الفاضى وعلى المليان ولا الديك الرومى الجربان . ولقد حاول ان يهدم لبنان مرتين ، مرة فى عام ١٩٥٨ ، وكان يومها رئيسا للبلاد ، فى تلك الايام نجح شمعون فى شق البلاد الى بلدين وشعبه الى شعبين ، ورفع الاخ السلاح فى وجه اخيه والابن فى وجه ابيه ، وسالت دماء وازهقت ارواح ، وتحول لبنان على يديه الى خرائب وانقاض . ثم حاول مرة اخرى اخيرا ، ونجح هذه المرة فيما كان يتوق اليه ، وتحول لبنان بالفعل الى خرائب وصار ماوى للبوم والغربان .

قالت البنت الفرنساوية : انت تقصد شمعون بيريز ؟ قلت : انا اقصد شمعون كميلز ، ويختصرون الاسم فى لبنان ويسمونه كميل ! وقد حمل لقب الرئاسة مرتين ، وفى النهاية كان صاحب وزارتين كان وسيما يصلح مانيكانا فى حى البيجال فى باريس او صاحب بيت فى ساحة البرج فى بيروت ولكنه اخطا الطريق واشتغل بالسياسة واصبح شمعون بين الساسة كما صار شولح بين الأنبياء !

قالت البنت : عجيبة اموركم وأعجب منها احوالكم اذا كان قد حاول تدمير لبنان فى العام ١٩٥٨ ، فلماذا انتخبتموه وزيرا لوزارتين فى العام ١٩٧٥ ؟

قلت : عيبك الوحيد ايتها البنت الفرنساوية انك تدرسين العصر الحميرى على الورق ولا تدرسينه فى الطبيعة . فنحن يا بنت الابالسة لا ننتخب حكامنا ولا نختارهم ولكنهم يحطون على رؤوسنا كما المصيبة ، وينزلون بنا كما الكارثة ، ويجلسون على الكراسى كما الماسى ، ولا فكاك منهم الا بعمك المنقذ عزرائيل !

لوت البنت الفرنساوية بوزها وكشرت عن اسنانها وقالت : اعوذ بالله ، اذن انتم لا تعرفون الانتخابات ؟

قلت : بل نحن اكثر مخاليق الله اجراء للانتخابات ، ونتائجها دايما معروفة باذن الله ٩٩,٩٩٩ ٪

قالت : وتستخدمون الكمبيوتر فى معرفة النتائج ؟

قلت : بل نستخدم : اختراعا احدث ، هو الكذبيوتر والتزويوتر !

قالت الكذبيوتر ؟ لم اسمع به من قبلُ .

قلت : ولن تسمعي به على الإطلاق ، انه اختراع جديد وقف علينا ، وله قدرة فائقة على حصر الشاردة والواردة ، وهو يضع فى خانة الذين قالوا نعم ، حتى الشجر والحجر ، واحيانا يضيف الموتى والمومياوات التى فى متحف الآثار .

قالت البنت منشكحة : بالعمق حضارتكم وبالرفعة افكاركم ، تحترمون الموتى فتشركونهم فى امور دنياكم ، وتسالونهم عن هوية حكامكم ، هذا سلوك متحضر ، ليس له مثيل على ظهر الكرة الارضية الآن .

قلت : فى الواقع نحن نسلك هذا السلوك ، ليس احتراما للموتى ، ولكن احتراما للحكام الاحياء . فنحن نريد لحكامنا ان يبدأوا حكمهم ومعهم تفويض من كل الامة ، احياء وموتى ، حاضرين وغائبين ، مقيمين ومسافرين ، موافقين ورافضين !

قالت : وهل يوافق القاضى على هذا الامر ؟

قلت : وما علاقة القاضى بهذا الامر ؟

قالت : اليس القاضى هو الذى يشرف على عملية فرز الأصوات ؟

قلت : حاشا لله ! أن الذى يشرف على عملية الانتخابات هو الشاويش حمدان .

قالت : ومن هو الشاويش حمدان ؟

قلت : لا ، هذه مسالة عويصة تحتاج الى تفكير ، وهى ايضا تحتاج الى وقت لكى يقرأ الصمدية حتى يكفيه شر الشاويشية والضباط النوبتجية ، فإلى الصباح يا فرنساوية ، الى حيث الكلام المباح والمستباح !

وفى الصباح استيقظنا على موسيقى ناعمة ، والحان حالمة وقالت : وعدتنى يا حمارى العجوز ان تحدثنى عن الشاويش حمدان .

قلت : نعم ايتها الست الخوجاية ، ان الشاويش حمدان عصب الحياة عندنا ، ومحور الحياة فى بلادنا ، وهو من دم ولحم مثل حالى وحالك ، ولكن يميزه الكرش البارز كانه امراة حبلى فى توأم .. وله قفا

عريض يصلح للمصافحة ! وكما قال عمك بيرم التونسى شاعرنا الشعبى يرثى شاويشا مات يدعى غانم ، قال بيرم التونسى طيب الله ثراه : وانشال سى غانم مرابعة بعد ندب كفاه ، ولطم كان يستحقه فى حياته قفاه !! ثم له بعد ذلك ذراعان اللهم صلى على سيدنا النبى كأنه ياكل مع عميان ! او هو فى الحقيقة ياكل بالمجان ـ ويصبح له هذا الحق ـ الاكل بالمجان ـ مادام على ذراعه ثلاثة اشرطة من القصب احيانا ، ومن المخمل احيانا ، وحبذا لو زينت الاشرطة نجمة ، وياداهية دقى لو زينها تاج ، وستجدين هذا الشاويش فى بلادنا فى كل مكان ، فى المطار فى الشارع ، فى المحكمة ، فى المدارس ، فى الجامعات .

قالت بنت المهروشة : وهل يذهب الشاويش الى الجامعة ليتعلم ؟

قلت : بل يذهب ليعلم المتعلمين كيف يكون الادب والنظام ، ففى بلادنا شىء اسمه حرس الجامعة ، وكأن الجامعة متهم يخشى هروبه ولابد له من حرس ، كأنها حرامى ولابد للشاويش من مراقبته حتى لا يركن للفرار !

قالت : وهل يعلم الشاويش الطلبة النظام والادب اثناء المحاضرات ؟

قلت : بل اثناء المظاهرات ، ووسيلته فى التعليم سهلة وبسيطة . فى البداية يعالج الامر بالعصا ، فان افلحت كان بها ، والا فبالقنابل والرصاص ، ولكن خطره الحقيقى ليس الفطور وهو يفكر فى أمر تدبير العشاء ، ومع ذلك فنحن لا نشعر بأننا موجودون فعلا على قيد الحياة لأن الحى يرزق . واغلبنا يعيش ولا يرزق ، وبذلك اثبتنا بطلان الوجودية وبطلان المبدأ الذى قامت عليه ! ثم ما هى الماركسية ؟ اليست هى التى قالت ان رأس المال هو نتيجة فائض القيمة ؟ اى هو الفارق بين اجر العامل المدفوع ، وجهده الحقيقى الذى بذله فى انتاج السلعة . لقد اثبتنا ايضا انها مجرد كلام فارغ ووقت ضائع ، واثبتنا ان راس المال نتيجة الرشاوى والسمسرة والعمولات .

قالت : ياسلام ، اذن عندكم مصنع رشاوى وشركات سمسرة ومعامل عمولات ؟

قلت : بالعكس . المصانع عندكم . والمعامل لديكم والشركات

DVD4ARAB

في بلادكم ، ولذا نحن الرشوة والسمسرة والعمولة ، وايضا لدينا الحكمة الخالدة ، اللى يطعم الفم لازم تستحى منه العين .

قالت : لم افهم مرادك .

قلت : هل تسمعين بشركة لوكهيت ؟

قالت : بالطبع ، انها شركة مشهورة ومصالحها في كل المعمورة .

قلت : وهل عرفت ما حدث منها ولها في الفترة الاخيرة ؟

قالت : بالطبع ، وسمعت انها رشت الحكام في افريقا ، ورشت رئيسا للوزراء في اليابان ، حاكموه بعد ان ثبتت عليه التهمة ، فعزلوه وسجنوه ، وعلى البرش اجلسوه .

قلت : عفارم عليكي يا فرنساوية ، ولكن هل تعلمين انها في الاصل شركة حميرية وبعد ذلك امريكية ؟

قالت لم اسمع بهذا من قبل .

قلت : هذه هي الحقيقة ، فهي في الاصل*نشأت في الصحراء . وكانت تنتج البغل والحمار والبعير . وكان اذا ذهب مندوبها إلى الصحراء وباع صفقة لأحد المشايخ ، قدم المندوب للشيخ بعض المال وكان الشيخ يسأل : وما هذا ؟ فيرد المندوب (لك'هادا) فيقبل الشيخ ويشكر . واشتهرت الشركة باسم لك هادا . فلما انتقلت الشركة الى الغرب ، وتحولت من صناعة الدواب الى صناعة الحرب ، حدث لاسمها تحريف ، ومن بعد لك هادا صار اسمها (لو كهيد) .

قالت : صحيح ، ما اشد التطابق بين الاسمين .

قلت : وهذه الشركة تبيع لنا وتدفع لبعضنا رشاوى وتدفع لبعضنا عمولات ، وهؤلاء اصبحوا ولا اوناسيس بتاع اليونان ولا روتشيلد بتاع فرنسا .

قالت : يا لك من حمار نابغة ، تتعقب اصول الاشياء ، وتقدم لها الادلة الدامغة ، ولكنك لم تحدثني عن القضايا الفكرية والامور الفقهية التي تشغل بال الفقهاء والعلماء في بلاد ما بين البحر والصحراء .

قلت : آه صحيح ، ولكن لكل مقام مقال ، ولكل حادث حديث ، فامهليني ايتها البنت الحلوة الى الغد ، وتعالى الان ننام ، فقد تبدد منى الجهد وهدنى السهر والسهد .

١ / ١٢ / ١٩٨٩

المجوس والجاموس .. !

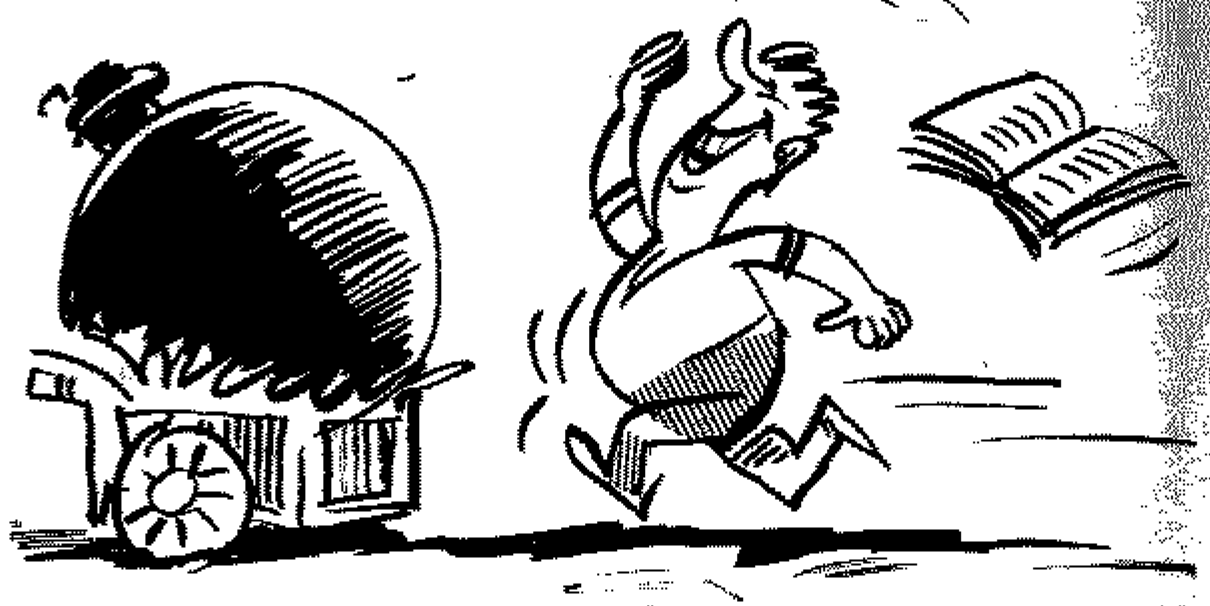

استيقظت المرأة الخوجاية المجنونة من النجمة وقالت للعبد لله : احكى لى ايها الحمار عن مشاكلكم الفقيهة وقضاياكم الفكرية .

قلت : للمرأة المضروبة : هكذا على غيار الريق ، وبلا حتى شفطة شاى أو طبق فول ؟ !

انقمصت البنت وضربت بوزها شبرين ، اقتربت منها وسألتها عن سبب زعلها .

قالت : ايها الحمار تصفني بالسخافة وتنطقها في وجهي وتقول (فول) ضحكت من قولها فاشتد غيظها وصرخت بأعلى الصوت : ملعون ابو الدراسة وملعون ابو العلم : أنا اصاحبك رغم انفى ، وارافقك رغم وجهك المنخبط وسحنتك المقلوبة واظافرك التى لم تعرف المقص منذ عقدين من الزمان . وانا افعل ذلك خدمة للحقيقة وخدمة للعلم .

DVD4ARAB

ولكن يبدو انكم حمير بالفعل لا تقدرون العلم ولا تحترمون العلماء . طيبت خاطر البنت وقلت وانا امسح على شعرها واربت على كتفها : « فول » بالانجليزى غير فول باللغة الحميرية . الفول عندنا ليس صفة ولكنه اسم لطعام شعبي هو فى الحقيقة اخطر على شعبنا من الغزو العسكرى والفكرى والاقتصادى . واذا كنتم تاكلون الزبد واللبن فى الصباح .. فنحن نفطر على الفول ، ولا يزاحمنا فى اكله الا صنف الحمير والبغال . وهو صحيح مغذى ومفيد ويربى مجانص وعضلات ، ولكنه ماكول دواب لا مؤاخذه وليس ماكول بنى أدمين وصنف الحيوان لأنه أصدق من صنف البنى ادمين ، فهو يأكله حاف وبقشره ولكننا نحن نتفنن فى طبخه ، فناكله مرة بالزيت واللمون البنزهير ، ومرة بالزبدة ، ومرة نخدع له بالقوطة وفص الثوم، حتى الذين ياكلونه بالزيت يلونون فى أصناف الزيت ، البعض ياكله بزيت فرنساوى ، والبعض الآخر يفضله بالزيت الحار ، والمرضى يعدون منه اطباقا اسمها الفول النابت ، والبعض ياكله اخضر مع الجبنه ويطلق عليه اسم الفول الحراتى .

قاطعتنى البنت وقالت : هل تلقى على محاضرة فى طبق الفول .

قلت : فليكن الأمر كذلك . وحتى تفهمى سبب بلادتنا وتناحتنا . هل تعرفين التناحة ؟

اجابت البنت : تاناها ، هذا اسم شركة متعددة الجنسيات مثل توشيبا وتويوتا .. اليس كذلك ؟

قلت : بل هى صفة من صفاتنا ، ومعناها التربسة . احيانا يتربس الواحد من صنفنا فلا تعرف له رأسا من رجلين . نساله عن الشارع الفلانى فيقول : هه ! مع انه استمع الى السؤال واستوعبه . ولكن حالة التناحة حطت عليه فيفقد القدرة على تقدير الامور ، تساله فيسالك ، تأمره فيتربس كما الفحل الجربان ، ولكن لماذا التربسة ؟ بسبب تفاعل الفول مع البصل الاخضر مع العيش الآلى حيث تتصاعد الابخرة وتلقى بغلالتها على عقل الانسان ، ويتربس ويصبح كما الجاموس البرى بالتمام والكمال .

قاطعتنى البنت اللهلوبة وقالت : لا تسرح بى ايها الحمار التعبان ، احكيلى عن قضاياكم الفقهية والفكرية .. فانا متشوقة

وشديدة الرغبة فى اكتشاف أعماق العصر الحميرى وقضاياه .

ولما كان ما باليد حيلة ، ولابد من الحكاية والرواية ، فتوكلت على الذى لا ينام وحكيت كما شهر زاد للسلطان شهريار : اول شىء يا ست ياخوجاية عندنا مسالة فقهية صعبة للغاية ومزمنة ايضا وعمرها الآن حوالى الف ومائتى عام . المسالة فى كلمتين : هل ينقض وضوء من يحمل على كتفه قربة فساء ويدور بها بين الناس فى الاسواق ؟

قالت البنت وقد انتبهت وابتهجت : اولا ما هو الوضوء ؟

قلت : الوضوء يا ست الخوجاية هو تطهير للبدن قبل الصلاة ، وقد فرضه علينا الاسلام وعلمنا اياه الرسول الكريم ، ونحن نتوضا كل يوم خمس مرات ، ولكن احد الفقهاء المتبحرين فى العلم توقف مرة ، وبحث مرات ، وفكر الف مرة ، ثم القى بالسؤال المعجزة ، هل ينقض وضوء من يحمل على كتفه قربة فساء ؟

قالت البنت : ولكن ما هو الفساء ؟ فانا لم اسمع به بعد .

قلت الفساء يا حلوة هى مادة كيماوية بفعل تفاعل البصل مع الثوم مع الفول مع الكرات مع السمك البلطى مع الشاى الاسود المخروط ، ومن خلال هذا التفاعل تحدث قذائف اقوى مفعولا من القنبلة الذرية ، وتشيع روائح فى الجو محرمة دوليا شانها شأن الغازات السامة وقنابل النابالم .

سالت البنت ولكن من الذى يطلقها ؟

قلت : يطلقها الرجل الذى تناول الاطعمة اياها التى ذكرتها لك من قبل .

قالت : آه اتقصد غازات .

قلت هى غازات بالضبط ، ولكن غازاتنا تختلف عن غازاتكم . غازاتكم هى نتيجة لأكل الشيكولاته والجاتوه ، ولكن غازاتنا أعوذ بالله .

يقال أن بهانة الحجاوى جدة العبقرى زكريا الحجاوى وزوجها برعى السعدنى جد العبد لله ، استطاعا وحدهما صد الغزو الصليبى على دمياط فى العصر الوسيط .

قالت : إذن فانت من اسرة محاربة ، ومن طبقة عسكرية لها تاريخ !

قلت : الحقيقة ان جدى برعى لم يكن عسكريا ، ولكنه كان فلاحا ، وجدة الحجاوى لم تكن مجاهدة ولكنها كانت تصطاد السمك من بحيرة المنزلة . وذات صباح كانا يتريضان على الشاطىء عندما لمحا قطع الاسطول الفرنساوى تقترب من البر . وفى الحال قاما بتشليح ملابسهما واطلقا بعض الغازات فى الجو فمات كل العساكر الفرنساوية ، وارتدت الغزوة الصليبية ، ونجت مصر بفضل هذا الاختراع الجهنمى الغريب .

ضحكت البنت وارعشت حاجبها رعشة وقالت : ولكن كيف يحمل الانسان الفساء على كتفه ويمشى به فى الاسواق ؟

اجبتها : العالم الجليل تبعنا تصور فى قعدة انسجام انها ما دامت غازات فمن السهل تعبئتها فى زجاجات ؟ ولما كان اختراع الزجاجات لم تعرفه البشرية بعد ، فقد تصور انه يمكن تعبئة الفساء فى قرب ولكنه لم يرهق نفسه فى اكتشاف الطريقة التى يمكن عن طريقها توصيل الفساء الى القربة .

قالت البنت الفرنسية : ممكن استخدام مواسير أو خراطيم ، ويستحسن ان تكون من البلاستيك .

قلت وأنا اضحك من جهل الحمارة الفرنسية : فى ذلك الزمان لم يكن هناك بلاستيك .

قالت : أعرف ، ولكن يوجد دائما بدائل ، بوص ، قمع ورق . المهم ان تملأ القربة بالفساء . قلت : الحقيقة انه لم يتعب نفسه ، ولكنه القى بالسؤال فاحدث نفس الاثر الذى يحدثه القاء قنبلة ذرية على مدينة آهلة بالسكان .

قالت البنت المرمر : وهل توصلتم الى حل ؟

قلت حتى الآن لم يشاهد رجل واحد يمشى بين الناس فى الاسواق وهو يحمل على كتفه قربة فساء ، ولكن السؤال لا يزال مطروحا ، وحلقات البحث والدرس لاتزال تبحث الموضوع والمعركة لاتزال على اشدها بين الفقهاء والعلماء .

ومطت البنت شفتيها ولعقت بلسانها وقالت : اذن ليس لديكم مشاكل فكرية حديثة او قضايا فكرية عصرية ؟

قلت : فشر مرة والف فشر لدينا الآن مشكلة اخر موضة واخر صيحة من صيحات العصر . عندكم مثلا مشكلة الشورت الشرعى .

وهل ينزل الى ما تحت الركبتين ؟ أم يطول الى اصابع القدمين ؟ عندكم مثلا مشكلة الدولار وبيعه فى سوق السوداء هل هو حرام أم حلال ؟ اغلب الفقهاء قالوا انه حلال خصوصا اذا كان الصرف يدا بيد . وهؤلاء الفقهاء هم الذين يتاجرون فى السوق السوداء بالأخص الأمريكانى ، أما الفقهاء الذين يشتغلون بشركات توظيف الاموال فقد حللوا الاتجار بالعملة سواء يدا بيد او شيكا بشيك . أو تحويلا بتحويل ، وعندك مثلا وجه المرأة هل هو عورة وهل يجوز كشفه للغرباء ؟ ام اخفاؤه تحت خيمة من القماش ؟ وعندك مثلا اغنية من غير ليه ؟ هل هى حرام أم حلال ؟ اغلب الفقهاء يقولون انها حرام ، ولعن الله مؤلفها وملحنها ومطربها وسامعها الى يوم الدين . عندك مثلا المسرح ، اغلب العرفاء ، اقصد الفقهاء مصرون على انه من صنع الشيطان لدرجة انهم هجموا مرة على مسرح ونسفوه بالقنابل .

قالت البنت : تقول بالقنابل .

قلت : آه ، بالقنابل والمتفجرات .

قالت : المسرح مجال الثقافة والفنون والجمال فكيف تعالجون المسرح بالمفرقعات ؟

قلت : هذه هى معجزات العصر الحميرى عندنا كل شىء ينتهى بمتفجرات . تاكلين طبق فول الصبح تقضين النهار كله فى اطلاق متفجرات . نختلف فى السياسة فنحمل السلاح ، نختلف فى الرأى فنهجم على الخصم بالسيارات الملغومة وبطلقات الرصاص ، عندنا فى العصر الحميرى صحفى يصدر مجلة فى اوروبا يمشى محاطا بحرس يحمل الرشاشات . عساكر الشرطة عندنا تحمل بنادق بعيدة المدى وتقف بها فى الشارع وكأنها فى ميدان القتال ، حتى فى اعيادنا يحتفل الاطفال بفرقعة البمب ، وحتى فى افراحنا يطلق المعازيم النار وغالبا يقتلون العريس أو العروسة ، وهى احيانا تكون خدمة لاحدهما او لكليهما على حد سواء .

قالت البنت المهتمة بالمعرفة والحريصة على اكتشاف اصل الاشياء : اذن انتم كما هو واضح من أصل مجوسى، وحبكم للنار دليل على ان عقلكم الباطن يدفعكم للعودة الى الجذور ، والارتداد للأعماق .

ولأول مرة اقوم بسؤال البنت الفرنساوية ، قلت لها على الفور : تقولين من اصل مجوسى ؟

قالت نعم :

قلت للأسف الشديد حضرتك ذكرت الحقيقة ولكنك اخطأت فى حرف واحد . فالواقع اننا من اصل جموسى ، ولذلك نفعل عكس ما يفعله البنى ادمين على خط مستقيم ، فى بلادكم مثلا كل التسهيلات للتاكسى ، وكل القيود على الملاكى ، لأن التاكسى خدمة عامة ، والملاكى للفشخرة والمزاج ، عندنا كل التسهيلات للملاكى ، كل التعقيدات للتاكسى ليه ؟ لان سواق التاكسى عامل حقير ، بينما صاحب الملاكى راجل الاجه صاحب فلوس او صاحب نفوذ ، واحترامه واجب وتسهيل الامور لسعادته ضرورى من اجل التقدم والبناء ، عندكم مثلا كل شيء يمكن ارساله بالبريد ، تدفع فلوس الكهرباء بالبريد ، تدفع فاتورة التليفون بالبريد ، تدفع ضريبة الحكومة بالبريد . عندنا لازم تقف فى طابور ، ويشتمك الموظف ، ويلزقك الفراش على قفاك ، ويكون المخرج الوحيد امامك هو دفع رشوة لكى يسهلوا لك عملية دفع الفلوس !! انا ادفع وانا الذى يشتم ويضرب ويهان !!

شهقت البنت الفرنساوية ونهقت وقالت : يا سلام ، لم اكن اعرف انكم على هذه الدرجة من الحضارة والسمو والارتقاء . تدفعون فلوسا وتقبلون الاهانة ، تدفعون فلوسا وتدفعون رشوة لدفع الفلوس ـ هذه مرتبة فى انكار الذات لم يعرفها جنس من البشر قط ، اللهم الا عندما جاء السيد المسيح .. وقال من ضربك على خدك الايمن ادر له خدك الايسر . منتهى التضحية والصبر والعفو فى وقت واحد ، صدقنى ايها الحمار اننى الآن اكاد اصيح من شدة الفرح والسعادة والانبساط . لقد عثرت بك على كنز لا يفنى وسأفتح لجنسك فتحا جديدا فى مجال الجغرافيا والتاريخ .. والكيمياء أيضا ، باعتبار ان الفساء الذى لم تتوصلوا الى طريقة لتوصيله الى القربة .. مادة كيماوية غازية ، ومع ذلك يمكن لو حدث لقاء بين الحضارتين ، حضارتنا وحضارتكم ، الوصول الى حل امثل للمشكلة كلها ، نوصل لكم الفساء الى القربة ، ونخترع لكم اداة تحملها

وتدور بها على الأسواق . وعندئذ لا يكون هناك حاجة للسؤال لأن الاداة التى سنقوم باختراعها لا تصلى ، وهى لذلك لا تحتاج الى وضوء ، وهكذا لا يكون للسؤال اى محل من الاعراب .

وهتفت من اعماقى : يا بنت المديوبة ، عثرت على حل المشكلة التى ارهقتنا كل هذه القرون . صحيح لماذا يحمل الانسان قربة فساء ويدور بها على الاسواق . لماذا لا يحملها حمار ، أو جمل او جحش ، او سيارة جيب من النوع الذى استعمله الرواد فى غزو القمر ؟ اخيرا آن لنا ان نفطر ونشرب الشاى ، ثم بعد ذلك نعود الى الحكايات والروايات . وما اكثرها فى بلاد العالم الحميرى .

١٩٩٠/١/١

• • •

DVD4ARAB

أكلنا هو نفطنا

من الورقـة إلى الدوسـرة إلى الطـاجن

استيقظت البنت في الصباح مجبورة ومسرورة . وقد أكلت حتى شبعت ، وقالت وهي تتقصع وتتمطع : حدثني يا حماري الوحشي عن القضايا الفكرية والفقهية الاخرى التي تشغل بال علمائكم وتضيق بها صدور فقهائكم . قلت : الواقع ايتها البنت المتكركرة ان لدينا مسائل خطيرة ومشاكل كبيرة ، ولكن علماءنا الافاضل لا تفوتهم واردة ولا شاردة ، واخطر مشاكلنا الآن ، هي الذبابة . ولكن الحل جاء على لسان شيخ العلماء وفي التلفزيون ، وقد أفتى ـ اكرمه الله ـ ان الذبابة اذا غمست جناحها في طعام وجب على الذي يأكل ان يغمس جناحها الاخر ، لأن في احد جناحيها داء وفي الاخر دواء !

DVD4ARAB

قالت : غريبة .. وهل لا يزال عندكم ذباب ؟ قلت : الذباب عندنا ثروة قومية ، ونحن نحافظ على الذباب باعتباره ارواحا خلقها الله ، ونحن لا نقتل نفسا بغير ذنب !

قالت : ولكن الذباب انقرض من معظم انحاء العالم . عندنا فى اوروبا لا يوجد ذباب الا فى الاماكن القذرة ، وفى الصين لا توجد ذبابة . وفى اليابان من يقتل ذبابة دخل الجنة وعلى رأسه قنديل ، وقيل : قنديلان !

قلت : لانكم لم تدركوا الحكمة من وجود الذباب . ان فى بلادنا مثلا ذبابة مستوظفة فى التليفزيون . وهى تظهر دائما مع كل متحدث ومع كل ضيف ومع كل مطرب ، ولقد اعتاد عليها المتفرجون والفوها ، لدرجة ان المشاهدين اذا افتقدوها لحظة ، ادركوا ان الجهاز اصابه عطل فنى أو خلل هندسى ، ولو لم يكن الذباب فى بلادنا ، لما بدت لنا عظمة الخالق فى وفرة وروعة الالوان التى اختص الله بها الذبابة دون خلق الله . ولو اننا ياسنا يا حلوة نهجنا على دربكم ونسجنا على منوالكم وقضينا على الذباب فى بلادنا ، فكيف كنا نستطيع ان نغمس جناحها الاخر فى الطعام لو انها غمست جناحها الاول ؟

قالت : وهل لا تزالون تناقشون امور الذبابة حتى الآن ؟

قلت : لا بالطبع .. هذه كلها امور ثانوية . اما الامر الرئيسى الذى يشغلنا الآن ، فهو أمر على جانب عظيم من الخطورة لم نصل فيه الى حل بعد ، ولا اعتقد اننا سنفعل ذلك فى المستقبل القريب .

قالت : فهمت ، لابد أنه موضوع الطاقة الذى يشغلكم ، إنه شغل العالم الشاغل الآن .

قلت : بالعكس ، هذا موضوع ثانوى فى بلادنا وهايف وعلى الهامش . إن الطاقة متوافرة والحمد لله . ونحن نستخدمها فى تشغيل السيارات الكاديلاك والسيارات الرولزرويس . وانتم تزودون سياراتكم باللتر ، ونحن نصب فيها البنزين حتى يسيل ، ونقول فى بعض الاماكن اترس ، وفى بعض الاماكن زود (بتشديد الواو) وفى بعض الاماكن فول (ايضا بتشديد الواو) وفى بعض الاماكن إملا . وفى كل الاماكن نحن نصب البنزين فى السيارة حتى يفيض على

الأرض ، تماما كما كنا نصب الخل فى الزيت منذ الف عام ، والنتيجة ان ما تشربه الارض من البنزين اضعاف ما تشربه السيارات .

قالت : ولكن لماذا ؟

قلت : مجرد وجاهة ومظاهر ونفخة كدابة واستعراض لقدرة الجيب والرصيد !

قالت : غريبة .. ولماذا لا تقتصدون فى الطاقة وتحرصون عليها .

قلت : لأن الطاقة الوحيدة التى نحرص عليها هى طاقة فحولتنا ونحن نستورد من المقويات اضعاف ما نستورد من اليورانيوم ، واغلب اعلاناتنا عن كيف تستعيد رجولتك وكيف يستعيد الشيخ صباه !

قالت : واضح يامضروب ان الطاقة عندكم متوافرة ، فانت رغم ان شكلك عدمان وصدمان ، الا انك ولا المرحوم ليستون على حلقات النزال .

قلت : انا ايضا حمار واعيش فى العصر الحميرى ، وانا على رأى الشاعر :

لقد بذلت لهم نصحى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد
وما أنا الا من غزية إذا غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

وهكذا ترين منى حماراً اعيش ، حماراً اتصرف ، عن غذاء ملكة النحل ابحث فى الصباح ، وهمومنا كلها تدور حول بطوننا ، وكل ما يعنينا هو الطاقة التى تساعدنا على المناكشة والمناغشة والهزار !

والأمر هنا يختلف بيننا وبينكم ، لانكم ربما اهتممتم بامور الطاقة لتشغيل موتوراتكم ومواصلة العمل فى مصانعكم وزيادة الانتاج فى معاملكم ، اما نحن فاغلب المصانع عندنا هى محلات ويمبى ، وكل الموتورات هى ثلاجات وبوتاجازات وكاديلاكات وكل معاملنا هى للطرشى والجبنة والعرقى الممتاز .

قالت : الان فهمت لماذا انتم هكذا فحول ، هكذا عجول ، هكذا ثيران ، اكلكم هو نفطكم لزوم تشغيل الموتورات داخل اجسامكم يا بختكم .

قلت : أما أكلنا الذي وصفته بانه نفطنا ، فهو كذلك طواجن من غير مؤاخذة ، كسفينة نوح فيها من كل صنف زوجين ، بصل بالشوال ، وثوم بالأقة ، ولحم ملبس وطماطم معصورة ، وطماطم ترانشات وفلفل اخضر بارد وفلفل اخضر حراق ، وفي الطاجن قنطار توابل . حب الهال ، جوزة الطيب ، كاري ، بهارات ، فلفل اسود بالحفان ، زعتر وقرنفل ، لابأس من وجود عود نعناع في الطاجن حتي تستقيم الاحوال اذا اكل منه واحد اوروبي ذهب الى المستشفى في الحال ، واذا وصلت روائحه الى خياشيم واحد خواجه احتاج الى غرفة الانعاش . وربما بقي فيها لمدة عام . ولكن الراجل عندنا يسفح الطاجن ويتحسس كرشه ويتجشأ ويطلق ماشاء من الغازات من ذوات المشموم وذوات المسموع ، ويقول هل من مزيد ! وعندنا ورقة لحمة يختلط فيها الورق باللحم بالعظم بقطع الخضار المشكل ، وهي اكلة من اختراع بلاد نيام نيام ، لان من ياكل ورقة لحم في عز شهر طوبة ، يسقط نائما على الفور ، وقد تمتد نومته كأهل الكهف الى مائة عام ، عندنا الدوسرة وهي علبة اول شروطها ان تكون بلا لحام ، وهو نوع من العلب منتشر في بلادكم ومستخدم في تعبئة البسكويت والحلويات . ولكننا نستخدم الدوسرة في صنع اكلات ، لو عرفها العرب ايام زمان ، لما كان هناك حرب البسوس ولا حرب داحس والغبراء . نضع دكر البط المزغط في الدوسرة ، ونصب في العلبة رطلين سمن بلدى من افخر الاصناف وعشر دست من فصوص التوم وحفنة فلفل اسود وعشر حبات من جوز الطيب ، ثم نضع العلبة على باب الفرن لكي تنضج على نار خفيفة .. وقد يستغرق نضجها عدة ايام ، وآه لو التهمها سبع ضار من سباع الغاب ، إذن لأصابه الوخم ، ونسى طبيعته المتوحشة ، ونام في الغابة ، وربما اكله ذئب صايع او كلب جائع او ضبع جربان .

تأوهت البنت وتنهدت وقالت : يا حظ نسوانكم كما قلت من قبل .

قلت : أما عن نسواننا فهم آخر غلب واخر كرب . والسبب ان نسواننا سمراوات ونحن نعشق اللحم الابيض . ومن اجل امرأة اوروبية أو امريكية أو حتى استرالية ، فنحن نلطم الخدود ونشق الجيوب ونبكي على الاطلال ويتنازل الواحد منا عن كل شيء في نظير

وصال مع امرأة لحمها ابيض كالقشطة عيونها زرق كالبحر ، شعرها اصفر كالرمال الصحراء .. فاللحم الابيض هو غايتنا .

قالت وهي تغمز بعينيها : سرحت بنا يا ملعون في متاهات وبحور ، وفتحت نفسي يا مضروب للمناقشة .. فهل ذكرت لي بسرعة عن اخطر الامور التي تشغل بال بعض علمائكم ويضيق بها صدور بعض فقهائكم . لقد حومت حول الموضوع ، ولكنك لن تتعرض الا لموضوع الذبابة .

قلت : غير موضوع الذبابة هناك موضوع الدخان . فلقد وقف أحد علمائنا ذات عمرة وقال للحاضرين : من الآن وحتى تنتهي العمرة ، سيكون على جانبي كل منكم ملكان من السماء . وحيث ان ملائكة السماء لايدخنون ويكرهون الدخان ، فسيحرم المدخن من رفقة الملائكة ولن تستجيب السماء لدعواته الى خالق الاكوان .

قالت البنت وقد اندهشت : لماذا اثنان من الملائكة وليس ملاكا واحدا ؟

قلت : يبدو أن العالم تبعنا لديه تصور بان هناك عمالة زائدة بين الملائكة المكلفين برفع الدعوات الى السماء .

قالت البنت : وما الذى حدث بعد ذلك ؟

قلت : قطع اغلب الفوج رحلة العمرة ,وعاد من حيث أتى ، ما دامت دعواته لن تستجاب فما جدوى العمرة !!

قالت : ولكن لماذا قال العالم هذا الكلام ؟ هل يشتغل لحساب شركة تأمين ؟ وتريد من وراء فتاوى العالم ان تجبر الناس على ترك التدخين حتى لا تدفع دم قلبها للضحايا الذين يسقطون كل عام تحت تأثير النيكوتين .

قلت : في الحقيقة .. بعض علمائنا يشتغلون في شركات توظيف الاموال .

قالت البنت : غريبة ، وهل الأموال تتوظف ؟

قلت : ولم لا ؟ الاموال تتوظف وتترقى وتتدرج في الوظائف حتى تصل الى اعلى مربوط ، ولكن الذى حدث في بلادنا ، انها بعد ان ترقت درجة ودرجتين فصلت من الوظيفة ، وخسر الناس اموالهم على يد عكاريت اطلقوا الذقون حتى الركبتين ، وارتدوا الثوب حاسرا سنة

عن السلف الصالح ووضعوا الزبيب على الجباه علامة الركوع والسجود . مع أن بعضهم لا يحفظ من القران سورة واحدة ، ولا يعرف من الاحاديث الا ما هو منحول وتفصيل للضحك على ذقون الفقراء . اشهرهم فى بلادنا كان اسمه الريان ، وهو عالم فى اللغات ، ويتكلم الانجليزية على طريقة عمال الاورنس الذين كانوا يعملون فى الكامبات . وبمساعدة اثنين او ثلاثة من العلماء ، اكلوا اموال الناس بالباطل ، وتسببوا فى خراب البيوت ، وكانوا السبب المباشر فى انتحار العشرات ، الذين اثروا الموت فرارا من الفضيحة والجوع ووقف الحال .

قالت البنت وقد شهقت من الذعر : ولكن ما دخل العلماء فى هذا الامر ؟

قلت : لقد افتوا بان وضع الاموال فى البنوك حرام . وقالوا ان فوائد البنوك ربا . من يقبله . يذهب الى نار جهنم وبئس القرار ..

قالت : واين يضع الناس الفلوس اذا امتنعوا عن وضعها فى البنوك ؟

قلت : فى جيوب الريان متسع لفلوس الناس .

قالت : وهل يضعونها بدون فوائد او ارباح ؟

قلت : لا .. احيانا ياخذون عليها مرابحة ، واحيانا ياخذون عنها بركة .

قالت : ولكنها ارباح على كل حال .

قلت : الارباح حرام ، ولكن هذه مرابحة .

قالت : ارباح او مرابحة ، لا فرق .. فالفلوس تربح او تتكاثر ، سيان ، وهي لا تربح ولا تتكاثر الا بتشغيلها فى عمل ما .. فما هى الاشغال التى كان يقوم بها السيد الريان ؟

قلت : كان لديه مطعم سمك ومحل جزار ومحطة بنزين ودكان كباب ومسمط تحول بقدرة قادر الى محل لبيع المجوهرات .

قالت : اذن كان يشتغل فى عدة مئات من الجنيهات .

قلت : بل عدة مئات من الملايين .

قالت : ملايين فى مطعم سمك ومحل كباب ؟

قلت : هذا هو الذى حصل ياست ياخواجاية وكان السبب فى خراب بيوت الناس .

قالت : ولكن هذا فى بلادنا اسمه نصب . ومرتكب هذا الفعل اسمه نصاب .

قلت : حاشا لله . النصاب فى الحقيقة هو الذى افتى بان البنوك حرام والفائدة حرام ، لانه هو الذى جعل الناس تمسك فلوسها عن البنوك وتجرى بها نحو الريان . والريان رجل زكى وانتهز الفرصة ، فوظف عدة مئات من الجنيهات لادارة المحلات . وتفرغ بعد ذلك لمزاجه . يتزوج كل فترة شابة مليحة ويكركر احيانا اصنافا باهرة من اصناف المزاج ، ويوزع بعض الفتات على اصحاب المال ، ويوزع البركة على اصحاب الفتاوى . وما تبقى لاعلانات التليفزيون والجرائد والمجلات .

قالت : والنتيجة ؟

قلت : ضرب الرجل بمبة فى النهاية وانكشف ستره ، فاذا به مفلس وعدمان . وتبددت الفلوس ياولداه وضاع شقا العمر كله بين مزاج الريان وبركة اصحاب الفتاوى وقعدات الخلان .

صمتت البنت فترة ثم صرخت وكأنها اكتشفت سرا وقالت : هذا الريان رجل اعمال له باع طويل فى عالم الاقتصاد . لقد امتص الفلوس الزائدة فى السوق وقضى على التضخم بطريقة مبتكرة للغاية ، ولابد من توجيه الشكر اليه على كل حال .

قلت : التضخم الذى حدث كان من نصيب المودعين ، تضخم فى القلب احيانا ، وفى الطحال اغلب الاحيان .

قالت البنت الخواجاية : ولكن هؤلاء المودعين يستحقون ما جرى لهم . فهم الذين اعطوه النقود بدون ضمانات .

قلت : وهل نلوم الريفى الساذج اذا وقع فى يد عصابة نصابين من محترفى الاجرام ؟

قالت : وهل كل هؤلاء الضحايا اصحاب كل هذه المئات من الملايين ، هل كلهم سذج ومن اهالى الريف ؟

قلت : بل بينهم اطباء وصحفيون ومحامون ومديرو ادارات ومديرو عموم .

قالت : إذن ذنبهم على جنبهم

قلت : ايتها البنت الخواجاية ، لا تفتين بما لا تدرين ، فنحن ابناء العصر الحميرى نتبع اوامر السماء .

قالت : وهل امرتكم السماء بان تعطوا اموالكم للريان ؟

قلت : هى فى الحقيقة لم تامرنا ، ولكن الذين امرونا هم بعض السادة العلماء الاجلاء من اصحاب البركة .

قالت : وهؤلاء العلماء علمهم فى أى فرع من فروع الإقتصاد .

قلت : لا علاقة لهم بالاقتصاد ، ولا حتى بالتدبير المنزلى ، ولكنهم علماء فى طريقة الاستنجاء ومختصون فى معرفة نوع الملائكة وهل هم ذكور أم اناث ؟

قالت : وما علاقة هذا العلم باعمال البنوك وخفايا الاقتصاد ؟

قلت : عندنا فى العصر الحميرى البساط احمدى ، وكل شىء ممكن عندنا ومسموح به ومباح . كابتن كورة يتحول الى ممثل ، ممثل يصبح مخرجا ، نصاب يتحول الى صاحب شركات ، مخرج يقوم بمهمة الافتاء ، كمسارى يتحول الى مؤرخ ، مناضل يتفرغ لاعمال الكهرباء ، شاب صغير لم تنبت لحيته بعد .. ينصب نفسه اميرا للاسلام . الحياة عندنا سهلة والسكك كلها مفتوحة وسالكة ، ومجتمعنا يشبه مولد سيدى حمزة ، وكل واحد على كيفه يصرخ ، يشتم ، يقرا ، يلحن ، يغنى ، يتاجر ، يرقص ، ينشل ، المهم ان المولد شغال والنور مضاء والامور عال العال ..

قالت : اذن انتم تعيشون فى فرح دائم ، وفى حالة من الانبساط على الدوام .

قلت : المظهر العام كما تقولين ، ولكنك لو دققت النظر فى وجه كل واحد موجود فى المولد ، فسوف تكتشفين مدى التعاسة التى ترتسم على الوجوه . اضواء المولد المبهرة تخفى الهالات السوداء حول العيون ، ودقات الطبول تطغى على زقزقة عصافير البطون ، هو مولد فعلا ، وفى المولد ذبائح ذبحت واناجر فتة وبراميل طرشى وموائد مدت ، ولكن الذى حدث ان الذين اكلوا هم الفهلوية والنصابون ، وتمكن ايضا من الوصول الى الموائد الممدودة بعض اصحاب العضلات المفتولة وبعض اصحاب الحيل ، اما بقية أهل المولد

فلم تصل أيديهم الى الأناجر ، ولم تتذوق افواههم طعم الفتة . صحيح انهم شموا رائحة الطعام ولكنهم لم ياكلوه .

قالت البنت وقد سرحت بعيدا : هؤلاء ذنبهم على جنبهم ، لأنك تعلم أن الحياة للاقوى . وفى الغابة لا يشبع الا المفترس ولا ياكل الا القادر على القنص ، أما الوحش المريض والتعبان والعجوز وفاقد المخالب والانياب ، فلا مكان له على المائدة ، وليس له من الوجبة نصيب .

قلت : هذا فى الغابة ياخواجاية ، أما فى المجتمع ..

قاطعتنى البنت وزغدتنى فى صدرى وقالت : لم يعد هناك فرق .

قلت : هل عندكم نفس الشىء ؟

قالت : عندنا أبشع . لانك لكى تحصل على الفتات ، فلابد ان تظل مربوطا فى العجلة . لا يفكون وثاقك الا عند النوم ، عندكم ارحم ايها الحمار الصغير ، لانكم قد لا تأكلون ، ولكنكم لا تعملون ايضا .. والأكل عندنا ليس لحشو المعدة ، ولكن لامداد الجسم بالطاقة ليكون قادرا على الانتاج ، وما دمتم لا تعملون ، فما حاجتكم الى الطعام ، خبرنى ؟

وبعد ان قالت الخواجاية هذا الكلام ، امسكت عن التعليق وسرحت وراء الغمام ، فنظرت إلى البنت نظرة نارية وقالت : شكلك وانت ساكت يثبت فعلا انك من فصيلة الحمار .

وعندما حاولت ان انكشها ، صدتنى وردتنى قائلة : ولكنك لم تقل لى ياحمارى الصغير ، هل كل ابناء العصر الحميرى حمير مثلك ؟ اليس عندكم القاب ورتب ودرجات ؟

قلت : هذا حديث يطول شرحه ياست ياخواجاية ، فدعى هذا الحديث الى الغد .

١ / ٢ / ١٩٩٠

● ● ●

فخامة الجنرال اليكتريك !

استيقظت البنت زعلانه وقرفانه .. كانت تطمع فى ليلة حمراء فإذا بها ليلة سوداء . ولكنها مع ذلك تقصعت وتمطعت واقتربت من العبدلله وقالت : لا تزعل ياحمارى الصغير ، فبالرغم من انك حمار ، الا انك احيانا تكون عصبيا للغاية وهى مسألة غريبة ، حمار وعصبى ، هذا هو المستحيل . وعندما اشحت بوجهى عن البنت الفرنساوية ، قالت دعنا الان من امور الغرام والدلال ، وهيا من الآن نستانف العمل . وقل لى ايها الحمار : هل تهتمون فى العصر الحميرى بالمناصب والالقاب ؟ ام انكم فى العصر الحميرى تطبقون نظرية (الاسطبلزم) ولا تهتمون بالمناصب والالقاب ؟

DVD4ARAB

قلت : بالعكس ، بل اننا اكثر اهل الارض القابا ونياشين ، فلدينا الاوحد والمؤمن والمجاهد الاكبر والاخ القائد والاخ المناضل ولدينا مشايخ على قفا من يشيل ، اغلب عساكرهم من الاجانب ، ومع ذلك يصدرون كل يوم بيانات مشتركة يهددون فيها الاستعمار . ولدينا سيادة الامين العام وهو رجل في حاله وعلى قده ، ومع ذلك فهو يعلن بمناسبة ومن غير مناسبة بداية الزحف المقدس على اسرائيل !

قالت البنت تستفسر : وهل سيادة الامين جنرال يفهم في المعارك والحروب ؟

قلت : السيد الأمين لا يحمل رتبة ، ولكنه في الحروب جنرال ، اعظم من جنرال موتورز واخطر من جنرال اليكتريك ، وسلفه كان صاحب الكلمة المشهورة عشية حرب فلسطين الاولى ، تكلم السيف فاسكت ايها القلم . وسكت القلم ولكن السيف الوحيد الذى تكلم كان سيف الاسلام عبد الله .

قالت : وهل سيف الاسلام عبدالله هذا ماركة سلاح ؟

قلت : بل ماركة بني ادمين . فلدينا قرية من اعمال مركز الباجور – منوفية اسمها اليمن ، كان أهل العمدة فيها يدعون جميعا سيوف الاسلام . سيف الاسلام عبدالله ، وسيف الاسلام البدر وسيف الاسلام الحسن وسيف الاسلام أحمد وسيف الاسلام يحيى .

قالت البنت : اذن هي اسرة مباركة ، وما داموا سيوفا للاسلام فهم سيوف للحق والبر والتقوى .

قلت : بالعكس ياخواجاية ، لقد كانوا سيوفا مغشوشة وصدئة ! وكانوا سيوفا على شعبهم وعارا على امتهم .

قالت : ولكن هل لديكم مارشالات وجنرالات ؟

قلت : خذى عندك في حرب ١٩٤٨ كان على الجبهة ثمانية مارشالات عظام . المارشال ابو حنيك ، وهو مارشال انجليزى دخل في العصر الحميرى واستحمر ، وكان هناك جنرال حيدر باشا والجنرال الطاسلن ، وكان الى جانب هؤلاء عدد من الجنرالات .. الجنرال قتال والجنرال جبار والجنرال جزار . وكان كل منهم يحمل على صدره نياشين أضعاف أضعاف ما كان يحمل رومل ومونتجمرى ، ونوع قماش بدلة كل منهم لم يحلم به المأسوف على روحه فون رونشتيد .

وفي الماضي القريب كان لدينا مارشال المارشالات وكان يرتدى احيانا بدلة الجيش . مع انه لم يدخل معركة في حياته ، واحيانا يرتدى بدلة الطيران مع أنه لم يركب في حياته الا طائرة الخطوط البريطانية ، واحيانا يرتدى بدلة البحرية مع أنه لم يركب في حياته الا قارب الصيد والمعدية .

قالت : ولكن اليس لديكم قانون ينظم مثل هذه الامور ويضع كل شيء في مكانه الطبيعي ؟

قلت : لدينا في العصر الحميرى قانون اسمه خد راحتك ، ولدينا قانون اخر اسمه البساط احمدى . وفي بلادنا نكتة مشهورة خلاصتها ان رجلا كان يجلس منهمكا في تحرير خطاب . فساله ابنه لمن تكتب هذا الخطاب ؟ فأجابه الوالد : انني اكتب لعمك . وقال الولد : ولكنك لا تعرف الكتابة . واجاب الوالد : وعمك ايضا لا يعرف القراءة ! ومادام الشيء من بحره ، بلا بأس ان يكون اى شيء مثل كل شيء .. ولا باس ان يكون اى احد فينا مارشالا للبحر والجو والارض والفضاء ايضا !

قالت البنت وهي ترعش حاجبيها : طيب ، مادام مارشال المارشالات لا يعجبكم . لماذا لا تفصلونه وتعينون مارشالا غيره ؟

قلت لها وانا اغلي : عيبك ياخوجايه رغم الدرس والعشرة والعيش والملح انك لا تفهمين العصر الحميرى ولا تحاولين فهمه . ولماذا نفصله ولدينا من المارشالات اضعاف ما انجبت كل الأمم .

وقالت البنت وهي تصرخ : ياه .. لديكم كل هذا العدد الوفير من المارشالات .

قلت : نعم ، والف مليون مرة نعم ، بل اننا بعد النكسة .

قالت : نكسة ؟ أي نكسة ؟

قلت : هي حرب انتهت بهزيمتنا وانتصار العدو الغاصب ، بعد عدوان غاشم .

قالت : اذن هي هزيمة .

قلت : نعم ولا في الوقت نفسه . فنحن في العصر الحميرى نفضل استخدام الكنية على الاسم نفسه .. فاسماعيل نسميه ابو السباع ، ومحمود نسميه أبو حنفي وأحيانا أبو طه وسليمان نسمية

أبو داوود ، وابراهيم نسميه ابو خليل ويوسف نسميه ابو حجاج .. والهزيمة نسميها نكسة .

قالت : ولكنك تقول انكم انهزمتم بعد عدوان غاشم .

قلت : نعم . وهذا الوصف بالنص كما جاء فى بياناتنا الحربية .

قالت البنت وهى تمصمص شفتيها : وهل هناك عدوان لطيف وعدوان طيب ؟ مادام عدوانا ، فلابد ان يكون عدوانا غادرا وغاشما ولئيما ايضا .

قلت : ربما هذا فى بلادكم حيث الامور واضحة والاسماء محددة ولكن فى بلادنا الامر يختلف . فالفول المدمس يسمونه اللوز ، واحقر انواع اللحوم يسمونها الحلويات ، والفجل يسمونه الورور ، والهزيمة اسمها النكسة .

قالت : وماذا فعلتم بعد النكسة ؟

قلت : فصلنا بعد النكسة عشرين مارشالا .

قالت : يا خبر اسود عشرون مارشالا مرة واحدة ، وان فرنسا نفسها لم يات فيها مارشال بعد بيتان . والمانيا نفسها كان فيها خمسة مارشالات فى زمن هتلر . فكيف تفصلون عشرين مارشالا فى ضربة واحدة ؟ الا تعرفون ان رتبة المارشال لا تعطى الا لمن اضاف للفن العسكرى اضافة جديدة وان كل مارشال يبقى مارشالا حتى الموت ، اذا نشبت الحرب يستدعى على الفور الى الخدمة حتى ولو كان فى ارذل العمر .

قلت : الحمد لله ، لدينا الان مارشالات يقضون وقتهم فى لعب الطاولة . المارشال السلال والمارشال خليفة والمارشال عجنون والمارشال الجمصى ، وكان لدينا مارشال اسمه عبدالسلام عارف مات فى حادث مؤسف ، وكان لدينا مارشال اسمه عبدالحكيم عامر انتحر بعد الهزيمة ، اقصد بعد النكسة .

قالت : هذا مارشال عظيم ، تصرف كما يتصرف المارشال . فالمارشال كالقبطان ، اذا غرقت السفينة غرق معها .

قلت : ولكن مارشالنا لم ينتحر لهذا السبب . فهو بعد الهزيمة راح يناضل من اجل الاستيلاء على السلطة . ولما فشل انتحر .

قالت البنت : وهل أصبح لديكم الآن مارشالات بعد هؤلاء الذين

ماتوا وهؤلاء الذين انتحروا وهؤلاء الذين خرجوا من الخدمة ؟

قلت : نعم ، والف مليون مرة نعم .. لدينا من المارشالات على كل لون .

قالت : يا حظكم . وعلى هذا فأنتم ترهبكم الامم وتخافكم الجيوش وتعمل حسابكم الدول .

قلت : بالعكس ياخوجاية بل نحن مطمع لكل الدول ، وأرضنا العربية محتلة بأحقر عساكر أهل الأرض . صحيح عندنا بقعة من ارضنا شبه مستقلة وبقعة تقاتل من أجل ذلك وبقعة مغتصبة وبقعة لا هى مستقلة ولا هى محتلة . ولكنها شىء على رأى طه حسين بين بين .

قالت : ولماذا لا تسعون الى التحرير ولديكم كل هذا العدد الهائل من مارشالات البر والبحر والجو ؟

قلت : حاولنا ذلك مرات . وبعد ثلاث حروب مريره ذهبنا الى الحرب الرابعة وخضناها من أجل التحريك .

قالت : تقصد التحرير .

قلت : حاشا لله . بل اقصد التحريك ، فقد اردنا فقط ان نحرك القضية لكى تتولى امريكا بعد ذلك حل القضية بالمناقشة والمناغشة .

قالت : اذن انتم تريدون شراء قطعة ارض اخرى تضيفونها الى ارضكم .

قلت : بل نريد استرداد ارضنا التى اغتصبت منا .

قالت : وهل تسترد الارض بالمناقشة والمناغشة ؟ قلت : حتما ، عندما نجلس معا ونتباوس معا ونتباحث معا وتدور علينا أكواب الشاى واقداح القهوة ، نقسم بالله ان ناخذ غزة ونخجل من كرم اليهود ونعطيهم اريحا . نقسم بالطلاق ان نأخذ القدس لكى نذهب اليها ونصلى ، ويرق قلبنا فنعطى الخليج لليهود لكى يذهبوا ايضا اليها ويصلوا . وهكذا تحل القضية فى الصينية وتعالج القضايا فى المرايا وتعزف المزيكا فى البوليتيكا ، وقدامك سكة سفر قولى ان شاء الله .

قالت البنت وهى تغالب النعاس طيب ، ومارشال البر والجو والبحر ما حاجتكم اليه اذا كانت الأمور هكذا سهلة هكذا وهلة ؟

قلت : لأن لدينا اعمالا اخرى .. صحيح ليست محورية ، ولكنها ضرورية . فمع ان عدونا الحقيقى معروف والطريق اليه واضح ومرصوف . لكننا بعد ان انتكسنا . رحنا نجرب مارشالاتنا في اتجاهات اخرى غير الاتجاه الذى ينبغى ان نتجه اليه . احد مارشالاتنا عمل خلفا در واتجه الى لبنان . ومارشال اخر عمل خلفا در واتجه شرقا . ومع ان طريقه الطبيعى ان يتجه غربا . ومارشال ثالث عمل خلفا در وتوغل في افريقا . ولدينا حروب محلية صنع بلدنا . القتلى فيها من ابنائنا والاسرى فيها من اولادنا . ونحن فيها المنتصرون والمنهزمون . حزب الله ضد حزب الملائكة ومنظمة امل ضد منظمة حنان ، وجعجع ضد عون ، ولدينا في البقاع الف قائد مقاتل . ويبدو انهم اكتشفوا ان قتال الاعداء صعب ، فقاتلوا انفسهم . ابو نضال ضد ابو كفاح ، وابو موسى ضد ابو عيسى ، وابو خنجر ضد ابو مطوة قرن غزال ، وابو سكين ضد ابو ساطور ، وهم يكرون داخل بلادنا ويفرون داخلها ايضا ، ومدننا هى ساحة معاركهم ، وبيوتنا على رأس الاهداف المطلوب تدميرها والمعارك في الشوارع مستمرة ، واطلاق النار عمال على بطال ، والثورة قايمة والكفاح دوار !

• • •

قالت البنت الفرنساوية وهى تستمع في شغف وتنصت في اعجاب : وهل هذه المعارك للتدريب تمهيدا لقتال الاعداء ؟

قلت : بل هى الهدف غاية المراد من رب العباد .. ولدينا الان والحمد لله اسرى من بيروت الغربية في بيروت الشرقية . واسرى من بيروت الشرقية في البقاع ، واسرى من البقاع في جبل لبنان ، واسرى من جبل لبنان في جبل الدروز واسرى من الشوف في طرابلس . وعندما تتطور الحرب بإذن الله سيكون لدينا اسرى من طرابلس في دمشق واسرى من دمش في بغداد واسرى من بغداد في طرابلس الغرب واسرى من طرابلس الغرب في تونس الخضراء واسرى من تونس الخضراء في الجزائر واسرى من الجزائر في المغرب واسرى من المغرب في موريتانيا واسرى من موريتانيا في عدن واسرى من عدن في صنعاء واسرى من صنعاء في الصومال !

قالت البنت وقد صعقتها المفاجأة : ولكنكم بذلك تخلقون واقعا جغرافيا جديدا .

قلت : بل هى حيلة ذكية لاعادة توزيع السكان . فالجزيرة العربية مثلا مساحتها ملايين الاميال وليس فيها سوى حفنة من السكان والعراق يتسع لخمسين مليونا وليس فيه الا عشرة ملايين نسمة . ومصر يكفيها عشرون مليونا وفيها الان خمسون مليون نسمة

قالت : ولماذا لا يرحل بعضكم بطريقة سلمية بدلا من الحرب والاسر ووقف الحال ؟

قلت : لاننا في العصر الحميرى لا نجيد الا الرفس والنطح والاقتحام بغير استئذان ، ولان لدينا حمير حصاوى وحمير اخرى غلبانة من الجوع والضياع . فالانتقال من قرية الى اخرى يحتاج الى تاشيرة واحيانا يحتاج الى كفيل . ولذلك ترين ان الحروب هى اصلح طريقة لتحقيق الهدف المنشود .

قالت البنت الفرنساوية وقد ساحت وناحت : ولكن من اين لكم كل هذا السلاح الذى تحاربون به بعضكم البعض على مدى الاربع والعشرين ساعة ؟

قلت : السلاح عندنا على قفا من يشيل نستورده بالمليارات من الخارج ونصنع بعضه بايدينا واغلبه يصدا لدينا في المخازن . لان حروبنا الاهلية المحدودة ليست في حاجة الى كل هذا السلاح .

قالت : ولماذا تستوردونه ؟

قلت : لان السلاح كالسفر له سبع فؤاد . عمولات وسمسارات وسفريات لزوم المعاينة والاختيار والاختيار .

قالت : وهل تشترون صواريخ من النوع المتعدد الدرجات ؟

قلت : لدينا كل مالا عين رات ولا اذن سمعت . لدينا طائرات اواكس من النوع الذى يسمع دبيب النملة في القطب الشمالى ويرى الغراب النوحى وهو سارح في فضاء الله . وكانت خمس طائرات منها معلقة في الجو عندما خرجت اسراب طائرات من بلاد الاعداء وقطعت الفا وخمسمائة كيلو ووصلت الى بغداد ونسفت المفاعل الذرى العراقى وعادت في سلام الله وامانه دون ان تراها الاواكس او تشعر بوجودها على الاطلاق .

قالت : وهل لديكم مفاعل ذرى ؟

قلت : بل كان لدينا فى يوم من الايام قبل ان يدمره العدو ويحيله الى كوم من التراب .

قالت : ولديكم علماء ذرة إذن ؟

قلت : لدينا علماء ذرة ربما ضعف علماء فرنسا ، ولكن نصفهم هاجر واشتغل عند الامريكان ، والنصف الاخر قتلهم الاعداء واحدا بعد آخر .

قالت : ولماذا لا تحمون علماءكم حتى لا يقتلهم الاعداء ؟

قلت : اننا نحرسهم والاعداء يقتلونهم فى نفس الوقت .

قالت : كيف .

قلت : نحرسهم من الخلف فيقتلونهم من الامام . نحرسهم من الامام يقتلونهم من الخلف ، نحرسهم من الامام ومن الخلف فيقتلونهم من الجنب ، نحرسهم من الجنب نحرسهم من الامام ومن الخلف فيقتلونهم من فوق أو من تحت . لم نعد ندرى من اين ياتيهم الموت ، مع اننا من حولهم ، حتى اقتنعنا فى النهاية بانها عين وصابتنا ، وان قتلهم هو بنتيجة الحسد والقر . ولذلك اقترح بعضنا ان نعلق على المفاعل الذرى يفطة (ياناس ياشر بطلوا قر) .

قالت البنت الفرنساوية : وهل نفذتم هذا الاقتراح ؟

قلت : فى الحقيقة لم ننفذه بعد فقد أعترض البعض على العبارة واقترح بدلا منها . ما تبصليش بعينك الرضية بص-للفلوس اللى مدفوعة فيه) .

قالت البنت الفرنساوية : وما الفرق بين العبارتين ؟

قلت : بالفعل هناك فرق . وهو فرق رهيب وجوهرى ويتملكك مع الشعور الإنسانى فى الاحباط اللانهائى الكامن فى اغوار النفوس دونما احساس . فعبارة (ياناس ياشر بطلوا قر) فيها فعل أمر ، كما ان فيها اتهاما للناس بأنهم اشرار . وهى أمور لا تتفق مع قيمنا وعاداتنا وحضارتنا التى تمتد فى التاريخ الى سبعة عشر الف عام . أما (ما تبصليش بعينك الرضية وبص فى الفلوس اللى مدفوعة فيه) فهى عبارة فيها طلب وليس فيها أمر . كما ان بقية العبارة (بص

للفلوس اللى مدفوعة فيه) تؤكد اننا فى عصر الانفتاح ، وأن عجلة الإنتاج دوارة كما الكفاح .

وقالت البنت الفرنساوية ـ ولماذا لم تعلقوا هذه العبارة مادامت افضل ؟

قلت : لأن هناك رأيا ثالثا اقترح عبارة (لا يفل الحديد الا الحديد) ولكن هذا الرأى وجد معارضة شديدة . وتصور البعض انها دعوة للاعداء لكى ياتوا ويهدموا المفاعل الذرى تبعنا ، باعتبار انه حديد ولا يفله الا حديد قادم من بلاد الاعداء .

قالت : وماذا فعلتم ؟

قلت : لا شيء . مازلنا نفكر ونفكر ، ونفكر ثم نعود لنفكر ، ونفكر ثم نتوقف لنفكر ، وسيظل التفكير مستمرا والنقاش على ودنه . وهل الفرخة قبل البيضة ام البيضة قبل الفرخة ؟ وهل الملائكة من صنف الذكور أم انهم من صنف الاناث ؟ وهل الانسان مسير أم مخير ؟ وهل الإمام معصوم؟ وهل القران مخلوق ام موجود ؟

قالت البنت : ثم ماذا بعد ذلك ؟

قلت : لا شيء بعد سوى البغبغة والكلام .

قالت : والمفاعل الذرى ؟

قلت : لقد ضربه الاعداء فاستحال الى كوم من التراب .

قالت : اذن فلا داعى .

قلت : بالطبع لا داعى لليفطة ؟ .

قالت : ولماذا النقاش اذن حول اليفطة ؟

قلت : لان النقاش هو غايتنا والموت فى سبيل الكلام هو اسمى امانينا .

قالت : اذن كف عن الكلام ايها الحمار ، وتعال بنا الى المناغشة والغرام .

مارس ١٩٩٠

● ● ●

DVD4ARAB

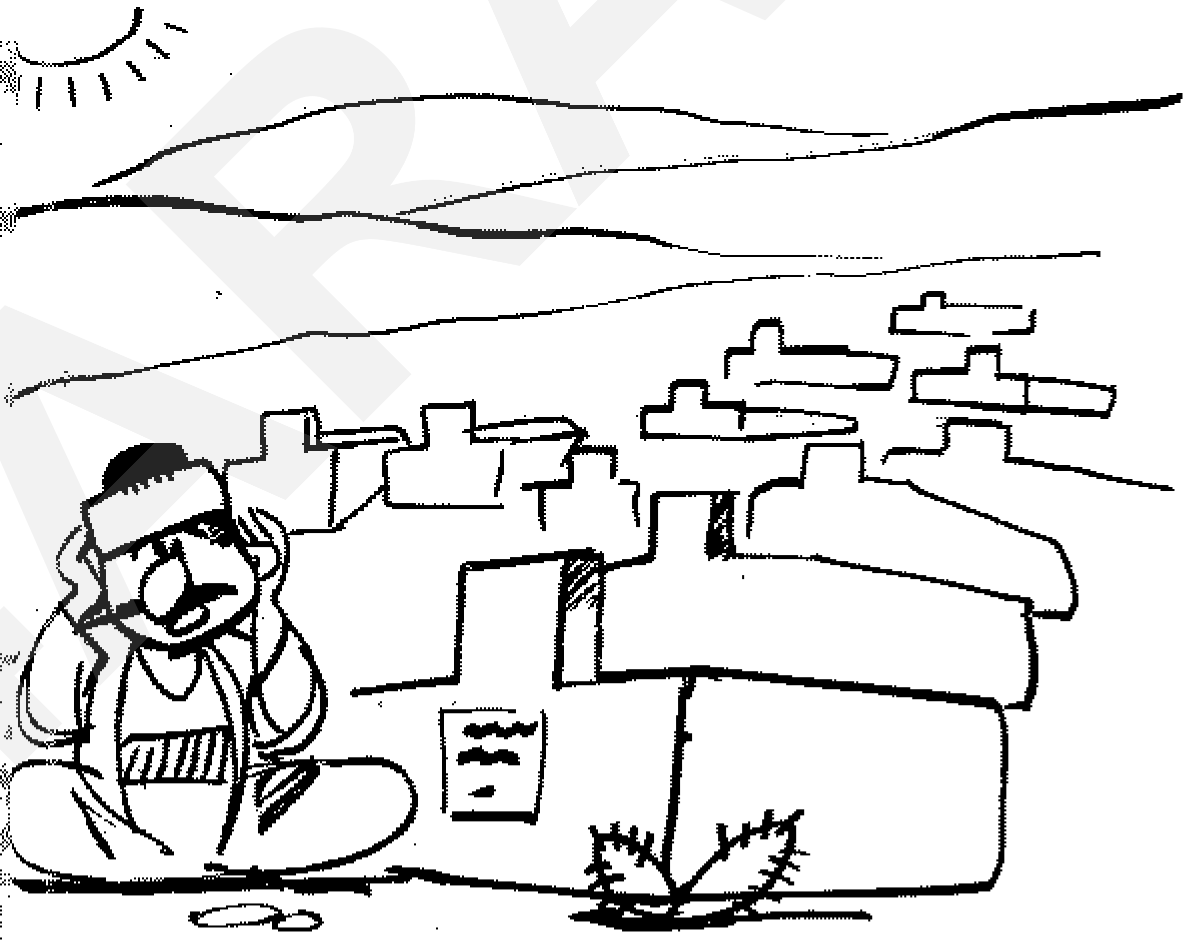

حمـــير .. ولكــن كــرمــاء

قالت البنت الفرنساوية وهي تسحبني من يدى في طريقنا الى الريف الفرنساوى : في حديثك عن بلادك ايها الحمار الطيب ذكرت الصحراء اكثر من مائة مرة .. فهل افهم ان بلادكم كلها صحراء عجفاء شمطاء وضامرة ؟

قلت : الواقع ايتها الست الخوجاية ان الصحراء في بلادنا لها مكانة ، وتسعون في المائة من بلادنا صحراوات ، ونحن نحب الصحراء ونعشقها لدرجة اننا انشأنا جمهورية جديدة اسمها الجمهورية الصحراوية تعبيرا عن حبنا للصحراء واحتراما لها !

وشاعرنا الاكبر عمك ابو الطيب المتنبي قال ذات مساء وهو هارب من حاكم الى حاكم اخر :

اما الأحبة فالبيداء دونهم

فليت دونك بيدا دونها بيد

وقد ذكر الصحراء كما ترين ثلاث مرات في بيت واحد ، والصحراء لها عندنا اكثر من اسم ، فإسمها في شهادة الميلاد الصحراء واسم الدلع البيداء ، واسم الشهرة القفر ، ولها اسماء اخرى كالجبانة والفيافي والخلاء .

DVD4ARAB

ولكن هذه الصحراء نفسها هى التى صنعت امجادنا فى أول الأمر فى ذلك الزمن المجيد البعيد وقبل ان نتحول من بنى ادمين الى حمير انجبت الصحراء كل ابطالنا الميامين من أول عنترة العبسى الى خالد ابن الوليد الى عمرو ابن العاص الى سعد ابن ابى وقاص الى ابو عبيدة بن الجراح الى موسى بن نصير الى طارق بن زياد الى صقر قريش .

وكانت هذه الصحراء هى السبب فى تفتيح العقول وتفتح العيون معا ، ولأنه لاحاجب ولاحاجز بين الصحراء والسماء ، فقد سرحت عقول اجدادنا فى الكون ومنشئه والحياة وأصلها . وبعد ان حارت الافهام والالباب جاء نداء السماء ليهدى المتعبين والحيارى وكانت الرسالات السماوية والارشادات الالهية .. ولأن كل شىء كان عندنا واضحا ومبينا .. فقد جاءت الاشارات واضحة هى الاخرى والعلامات بارزة .

ومع ان مبعوث السماء نشأ فى اعماق الصحراء الا انه اول من وضع للناس قانون الاجراءات ، فلكى تكون التهمة صحيحة لابد أن تكون الاجراءات صحيحة والا سقطت التهمة ولو كان المتهم مدانا بالفعل . ذلك كان زمان ومضى ، ولكن بعد دخولنا فى العصر الحميرى .. صار من حق كل امير جماعة له سكسوكة ان يقبض على من يشاء وقت ان يشاء وان يعاقبه على من يشاء وقت ان يشاء وان يعاقبه بالشبهات واحيانا بالشائعات .

ولدينا الان جماعات تنتسب زورا الى السماء تحكم بالكفر على جميع الناس وتحتكر الإيمان لأنصارها مع ان مبعوث السماء نفسه عفا عن الطلقاء وأعلن قبوله لهم فى ملكوت السماوات ، وهم الذين حاربوه واضطهدوه وطردوه وطاردوه ، ولكن رسول السماوات نفسه عفا عنهم لان رحمة الله واسعة وملكوته يتسع للجميع .

قالت البنت الفرنساوية وهى تشهق : هل هذه الجماعات وهؤلاء الامراء هم كل المشتغلين بالدين فى الوقت الحاضر ؟

قلت : لا هناك كثيرون . أ إذا كان هؤلاء حولوا الشريعة السمحاء الى مطواة قرن غزال والى عبوة متفجرات ، ففى المقابل يوجد رجال دين رسميون بعضهم حول الشريعة الى بحر من الجهل ، وبعضهم

حولها الى وسيلة للاسترزاق . اما الجهلاء فقد اعلن احدهم منذ فترة بانه التقى برئيس الجن وانه تاب على يديه وعقد قرانه على جنية مسلمة .

قالت البنت الفرنساوية : وهل هناك جن يهودى وجن مسيحى وجن بوذى وجن يعبد النار ؟

قلت : لم يذكر لنا العالم اياه سوى انه التقى بالجنى الكافر وان الجنى الكافر اهتدى بعد المقابلة واستتاب .

قالت البنت : الم يلتقط عالمكم الفاضل صورا فوتوغرافية للجنى التائب أو سجل المقابلة على شريط فيديو ؟

قلت : عالمنا الفاضل لم يفعل ذلك لأن التصوير عنده حرام والفيديو عنده أم الكبائر ولذلك فهو يحرم على الناس كل شىء لم يكن مستخدما ايام الرسول .

قالت : اذن هو يرتدى ثيابا بدائية وينتعل نعلا من جلود الاغنام ويقطع المسافات سيرا على قدميه .

قلت : بالعكس ياخواجايه فكل احذيته صنع بالى السويسرى وثيابه بعضها من صنع اليابان وبعضها من أفخر مصانع الصوف فى انكلترا . ولديه حسابات فى البنوك ودفتر شيكاته اطول من كشف ذنوب العصاة والمذنبين ، ولديه تليفون دولى وتلكس وفاكس .

قالت البنت : ولماذا يمنع استخدام كل الالات والاختراعات التى لم تكن موجودة فى زمن الرسول ؟

قلت : لم يسأله احد .. وحتى اذا سأله احد فهو لن يجيب لأنه هو الوحيد المسئول عن توضيح ما هو حلال وما هو حرام ، هو الوحيد الذى يعرف الفرق بين الحق والباطل ، كما انه الوحيد المكلف بتوصيل الرسالة فى هذا الزمن الطيب على العموم هذه مسائل جرنا إليها حديثنا عن الصحراء وكيف أننا نموت فى دباديبها !

ولكن ليس معنى ذلك اننا بدو نسكن فى بيداء بل عندنا مزارع ولا مزارع كاليفورنيا ومدن ولا مدن اوروبا وشوارع ولا شوارع النمسا وساحات ولا ساحة الكونكورد فى باريس . وعندنا حدائق ولا التويلرى وانهار ولا نهر السين وعندنا ايضا تلال وجبال ولا جبال الالب . ومع ذلك لا نقف مكتوفى الايدى بل لدينا برنامج كامل لقهر

البيئة وقد قطعنا في هذا الطريق خطوات ما ابعدها وما اسعدها .

قالت البنت الخواجاية : خبرني ايها الحمار المتمرس عن هذه الخطوات البعيدة والسعيدة فما اسعدني عندما اسمع انكم بالرغم من حموريتكم تنشدون الامثل والاكمل في الحياة .

قلت : عندنا يا خواجاية في بعض اجزاء من بلادنا العربية جزر كانت مهجورة ومطمورة ودرجة الحرارة فيها اعلى من جهنم ودرجة الرطوبة تصيب الكائنات الحية بالاختناق ولكننا زودناها بالهواء المنعش وزرعناها بالورد المزركش وصبغناها بالطلاء المبرقش ، وجعلناها مثل سفينة نوح فيها من كل زوجين اثنان ، حمير تلاقى ، اسود تلاقى ، نمور تلاقى ، قرود تلاقى .

واستوردنا لها غزلانا من لندن وباريس تسرح في الجزيرة وتمرح ، غزلان بالبكيني ، وغزلان زلط ملط ، وغزلان سبحان الذى صور والذى كور والذى جعل الصدور بهذا البروز والبنوذ !

قالت البنت مندهشة ومنبهشة : غزلان من لندن وباريس تستوردون ؟ نحن نستورد الغزلان من بلادكم

قلت : انكم تستوردون غزلان للفرجة والمشاهدة ولكننا نستورد غزلان ، العيون زرق والشعر اصفر والنهود كما الجنود واقفة ومستعدة ، والرقبة كما العقبة والاكتاف يا خفى الالطاف ، والعيون ولا الصحون ، والرموش ولا ورق شجرة كرموش ! غزلان لزوم المزاج والفرفشة وهى في النهاية لكى يعود الشيخ الى صباه .

قالت البنت وفمها مفشوخ على الاخر من شدة الانبهار : ما اكرمكم من قوم تقهرون الطبيعة وفي نفس الوقت تحاولون تحسين النسل اليس كذلك ؟

قلت : لا الحكاية ليست كذلك ولكننا فقط نحاول ان ننفتح على كل دول الارض ولكن الانفتاح يتم على طريقنا وبأسلوبنا وبالشكل الذى يعجبنا .

والحوار العربي الاوروبي شغال في هذه الجزر صباح مساء على ودنه ، وهو حوار لا ينتهى لانه حوار صامت بالرغم من انه حوار يستهدف التجارة والبيض الامارة ، ولكنه وان كان حوارا صامتا الا انه تتخلله شهقات وهمهمات .

قالت البنت الفرنساوية : فرفشة ومتعة وفهمنا ، حوار عربي اوروبى بأسلوبكم معقول ، ولكن اين هى التجارة في هذا الامر الغريب ؟

قلت : يا سلام ! بل هى في بلادنا انشط تجارة واربح تجارة ، واذا كانت لدينا تجارة كثيرة رابحة فاربحها على الاطلاق هى تجارة الاجساد . والبنت النعبانة الدهبانة اذا حضرت من بلادكم عندنا وقضت شهرا في جزيرة من الجزر اياها ـ عادت ومعها هدايا بعدة الوف وشيك بعدة اصفار وسيارة اخر طراز لزوم الفسحة والانتقال .

قالت البنت وقد شهقت وجزعت : مش معقول ! لا شك انك تبالغ ، كل هذه الاموال من اجل شهر حب واحد ؟

قلت : واحيانا من اجل ساعة حب واحدة ، واحيانا بدون مقابل على الاطلاق . وحدث ذات مرة ياخواجاية ان محل هارودز الشهير في لندن الذى اشتراه اخيرا واحد مصرى اسمه فايد وتشاجر معه واحد اخر اسمه رونالد . وتبنت جريدة الوفد قضية فايد على انها قضية المستقبل ، واعتبرت شراء فايد لمحل هارودز علامة من علامات التغيير وهدفا من اهداف الديمقراطية ! هذا المحل الذى اشتراه الفايد حدث فيه حادثة منذ سنوات لا يصدقها عقل او عكل على رأى الست شويكار .

ذهبت سيدة بريطانية شردوحه وسنكوحة تشتغل في محل اسمه البلاى بوى واشترت بالطو من الفرو الفاخر ثمنه مائة الف جنيه استرلينى كل جنيه ينطح اخاه ، وقالت لصاحب المحل وهى تتثنى وتتلوى ، قيد الثمن على حساب الشيخ فلحان . وفي اخر العام عندما حان الوقت لارسال الفواتير للعملاء اكتشف محل هارودز ان لديه عشرة مشايخ اسمهم فلحان وفشل الكمبيوتر في معرفة من هو فلحان المقصود الذى ينبغى عليه ان يدفع مائة الف جنيه استرلينى ثمنا للبالطو السيدة السنكوحة التى اخذت البالطو واختفت في زحام الناس ؟ .

واهتدى المحل الى حل يضمن له فلوسه ، وهو ان يرسل فاتورة لكل فلحان وبالطبع سيدفع الذى اشترى للسنكوحة وسيرفض الاخرون ، وقد يشفعون رفضهم باحتجاج ولكن النتيجة كانت

مدهشة للغاية .. فقد دفع العشر فلحانات الثمن على الفور لم يرفض احدهم ولم يحتج فمن يدرى ؟ ربما هو الذى اشترى ولكنه نسى ذلك فى مشاغل الحياة ، ثم أن الفلوس وفيرة والحمدلله عند جميع آل فلحان ، وخسارة مائة الف جنيه استرلينى افضل من السؤال والاحتجاج ، ومن يدرى ؟

فقد يسبب السؤال بعض الاحراج ، وقد يتسبب الاحراج فى فضيحة لا يعلم مداها الا الله !

قالت البنت الفرنساوية وهى تدق صدرها بقبضة يدها : اذن هناك تسعة من الفلحانات دفعوا مائة الف جنيه استرلينى ثمنا لشىء لم يحصلوا عليه .

قلت : لا شىء يهم يا خواجاية على رأى احسان عبدالقدوس . فالفلوس وفيرة والله جاب الله خد ، هى فلسفة ابناء العمومة والاشقاء .

قالت البنت الفرنساوية : اذن فهؤلاء الناس يتبرعون بالملايين لمراكز البحث ومعاهد العلم والجامعات ؟

قلت : بالعكس لا تبرع لمثل هذه الاشياء ، فالدولة هى المسئولة وليس الناس . وكل حى مسئول عن مزاجه ومسئول عن نزواته ، وفى هذا المجال فليتنافس المتنافسون .

أعرف حمارا من ابناء العصر الحميرى ذهب الى لندن للعلاج . كان مريضا بفعل الشيخوخة وانتهاء العمر الافتراضى . ولكنه بالرغم من ذلك وقع فى حب الممرضة الانجليزية القشطة فتزوجها على سنة الله ورسوله مع انه فى الثمانين وهى فى العشرين ودفع لها نصف مليون جنيه استرلينى مقدم صداق ، وبعد شهر عسل فى فندق ريفى حجزه لنفسه طلقها بعد ان دفع لها مليون جنيه مؤخر صداق اى انه اشترى شهرا من عمر البنت بمليون ونصف مليون جنيه استرلينى ، هذا عدا الهدايا والهبات ، ويقال ان من بين الهدايا بيتا ريفيا تحيطه مزرعة فى اسكتلندا ، وبيتا صيفيا على شاطىء البحر فى برايتون ، وعقدا من الاحجار الكريمة الخام قيل ان ثمنه ثلاثة ملايين من الدولارات .

واعرف حمارا آخر يكتب على بطاقته القابه ووظائفه وصفاته .

الأمير الطيار المهندس السفير العقيد المفكر المخترع المؤلف المثقف العالم المقاتل الشيخ رئيس الاتحاد الأوليمبى والترسانة ايضا والامين العام للمجمع العلمى ركن الدولة والدين الشيخ فلان الفلانى ابو ريحه وسخة !!

واعرف حمارا آخر كتب عنه الاديب على سالم مقالا على صفحات جريدة الأهالى الغراء بعنوان شيخ مشايخ المجلس الاعلى للكستور ، وهو شيخ ريحته وسخة وهو الاخر استهواه قماش الكستور فانشا له مجلسا اعلى فى لندن وصار شيخه الاوحد وامامه الاكبر ودعا جميع الاتباع والانصار الى ارتداء الكستور والدخول فى الحلقة الكستورية تمهيدا للقضاء على الاستعمار وتحرير القدس من براثن الصهيونية وتحرير اسبانيا من براثن الاسبان !! والمدهش حقا ان ادباء كبارا الفوا كتبا فى عبقرية الشيخ الكستورى وقارنوا بين وجهه ووجه النبى ، وبين سماحته وسماحة الامام جمال الدين الافغانى باعتبار ان كله عند الحمير صابون .

● ● ●

افغانى او كستورى لا فرق ، ولا شىء يهم على رأى إحسان عبدالقدوس . وقصص حميرنا الأثرياء لا تنتهى وسردها يحتاج الى مجلد ضخم ياخواجاية قد تنتهى صفحاته قبل ان ينتهى السرد . ومع اننا سمعنا على ملايينهم التى اهدرت على موائد القمار ، وضاعت بين افخاذ الراقصات ، الا اننا لم نسمع عن مليم واحد تبرعوا به لمستشفى او جامعة او لمريض مسكين من ابناء السبيل .

والادهى انه فى المناطق الغنية من بلاد الحمير يذهب المهندس او الطبيب او استاذ الجامعة ليتقاضى ستمائة جنيه فى الشهر وهو يكاد يطير فرحا ، باعتبار ان طاقة ليلة القدر قد انفتحت له .. مع ان هؤلاء الحمقى يعلمون علم اليقين ان اى بنت سنكوحة من السكسون او من الجيرمان أو من الوندال تتقاضى فى ساعة واحدة مرتب ستة من هؤلاء فى عشرة أعوام !

قالت البنت الفرنساوية وهى تزغدنى فى صدرى وتشدنى من اذنى : تقول تتقاضى فى ساعة واحدة مرتب ستة من هؤلاء فى عشرة اعوام ؟ .

قلت : هذا المبلغ يدفع للسنكوحة .. فما بالك بالليدى والبارونة والكونتيسة وملكة الجمال ؟

قالت : اذن وداعاايها الحمار الغشيم ، انا ذاهبة الى بلادكم فى التو واللحظة !

قلت : لا ورب الكعبة لا اتركك تذهبين .. لأن الدرس ياخواجاية لم ينته بعد ، فتجلدى وصابرى وثابرى فمازال فى العمر بقية ومازالت هناك عن العصر الحميرى قصص وحواديت وحكاوى وروايات !

قالت البنت وهى تغالب النوم : الله يخيبك ، جعلتنى اكثر شوقا لرؤية العصر الحميرى فى الواقع وعلى الطبيعة ، امنيتى الان ان اعيش حياتى مع الحمير واستحمر !

قلت : على مهلك ياخواجاية . فكل شىء وأى شىء .. بأوان !

١٩٩٠/٤/١

● ● ●

النشوء .. والانحناء .. !

DVD4ARAB

استيقظت البنت الغندورة وهي آخر عكننة وآخر كلضمة . سألتها مالك ؟ قالت سودت عيشتي وعكننت مزاجي وجعلتني مرة ارثي لحالكم ، ومرة أخرى لحاكم على ما انتم فيه ! قلت ترثين لحالنا مفهوم ، تحسديننا على ما نحن فيه ، هذا هو الذي يغيظ حضرتنا : فأنا لا ارى اى شيء نحسد عليه ، الا اذا كان حسدك من باب .. حسدوا البيه على طول شنبه ! قالت بالعكس لقد صورت لى بلادكم على انها صحراء حولها صحراء وبيد دونها بيد على رأى حضرتكم ، يتخللها جزر هى الجنة بعينها ، وكالجنة ليس فيها جرائد تصدع الرأس ، ولا اذاعات تقلق المزاج ، ولا تليفزيونات تثير غضب الحليم .

قلت : بالعكس ياخواجاية ففى بلادنا صحف بعدد شعر راسك ولدينا اذاعات شغالة طول النهار وطول الليل ، وخارج منها مزازيك واصوات عِمال على بطال .

وعندنا التليفزيونات مصابة بإسهال الحلقات وبعض هذه الحلقات دخل التاريخ من اوسع باب ، حلقات المرأة اللى اكلت ذراع جوزها ، ورجل بين امرأتين ورجل واحد وثلاث رحلات ، ولكن قمة هذه الحلقات كانت بعنوان امرأة واحدة وثلاثة رحلات ، وحصلنا على الاوسكار مرة بحلقات خنجر فى الظلام ولدينا افلام بعدد الحصى فى الصحراء وعندنا ابطال سينما مصابون بالسل ، ولكنهم على الشاشة يضربون كل ابطال الملاكمة من أول تايسون مرورا بمحمد على كلاى . وانتهاء بجولويس . واغلب افلامنا تحمل عناوين جذابة تخطف الابصار والالباب : تعاليلى يابطة ، دكتور الحقنى .. الحقنى ياخويا الحقنى .

• • •

وفى بلادنا كل امرأة صوتها مسرسع مطربة ، وكل مخمور يتردد على مواخير شارع الهرم سميع .. ومن جدة الى راس الخيمة تقطعها الطائرة فى ساعتين ، وهى نفس المسافة من لندن إلى روما ، ولكن على امتداد هذه المساحة من بلادنا لدينا عشر محطات تليفزيون ملونة و١٣ محطة اذاعة تغطى كل القارات ، وست محطات للاقمار الصناعية ..

شهقت البنت وانزعجت ، وقالت : إذن عندكم برنامج للفضاء ؟

قلت عندنا فضاء ليس بعده فضاء ، ولدينا فراغ من هنا والى يوم القيامة ..

قالت : وعندكم مركز لاطلاق الصواريخ بالطبع ؟

قلت : صواريخنا على قفا من يشيل ، ونطلق اسم الصواريخ على السجائر الملفوفة بالحشيش .

قالت : غريبة .. مادامت عندكم هذه النهضة المباركة والبنطلونات الهيلانكة فلماذا لا يقوم اعلامكم بتقديمها للعالم وتعريفها للكون ؟

قلت : فى الواقع اعلامنا لا يهتم كثيرا بالخارج ، ولكن اهتمامه الحقيقى بالداخل والذى وضع الحجر الاساسى فى نهضة اعلامنا هو فيلسوف الاعلام فى هذا العصر الحميرى ، وهو دكتور وحاكم وقادر وخبير من خبراء الهلسفكيشن ، وهو رجل معجزة بكل المقاييس لأنه

خبير اعلام مع ان شهادة الدكتوراه تبعه كانت عن تفسير عبارة لاتين ولاعنب زيك يامشمش !

وهو فى الاصل تلميذ للفيلسوف الاغريقع الشهيج عمر الجيزاوى صاحب النظرية الفلسفية الشهيرة : اتفضل شاى لا انا متشكر ، كما انه تلقى العلم على يد شاعر جاهلى مشهور صاحب المعلقة الخالدة (إسال دموع عنية اسال مخدتى) . هذا الرجل المعجزة استطاع يوما ما ان ينتج مسرحية كل خمس دقائق وان يصدر كتابا كل ربع ساعة وان يخرج فيلما كل ليلة خميس ! وهو فى الحقيقة كان سر انتصار العصر الحميرى فى حرب الايام الستة والفضل فى الانتصار كان لفلسفته العميقة التى تقول ان الاعلام مجرد عوعوة ووعوعة وهلضمة وفتح عينك تاكل ملبن ياصاحب الحظ والنصيب !

وكان الدكتور اياه صاحب فكرة نشرة الأخبار التى تركز على ضيوف بلادنا الكبار ، وتسلط الكاميرا على الطائرة وهى فى الجو ، ثم الطائرة وهى فى الارض ثم خروج الضيف وصحبه الكرام ثم مشية الاوزة على البساط الأحمر ثم استقبال الضيف بالاحضان والقبلات ثم تقديم الزهور والورود والريحان ثم مصافحة جميع المستقبلين من اول رئيس الوزراء الى شيال الشنط فى المطار ، ثم تطارد الضيف فى سيارته وامامه الموتسيكلات تصرخ كما ذئب مجروح فى ظلام الليل ثم دخول الضيف الى قصر الضيافة وتظل تدور خلفه وهو يأكل ويشرب وهو يدخن ولا تفارقه الا عندما يرتدى جلبابه لينام !

ضربت البنت على صدرها بشدة وقالت : اذن لا توجد اخبار فى نشرة الأخبار .

قلت بل هناك الكثير من الأخبار ؟!

تصريحات للوزير ومقابلات البيه المامور مع البيه الغفير ثم درجة حرارة الجو فى رأس الخيمة وفى الدوحة وفى كفر الدوار وفى طبرق وفى الجزائر وفى تطوان .

قالت البنت واخبار العالم ؟ قلت : مالنا نحن والعالم . وما الذى يهمنا فيه ؟ لقد اكتفينا بما لدينا ، ومالدينا هو أهم الحوادث والأخبار .

قالت : ان رجلا مثل هذا هو فلتة من فلتات العصر ، لو كان فى بلاد غير بلادكم لكرموه ومنحوه الهدايا والجوائز والاكراميات .

قلت : الحمد لله لأننا فعلنا نفس الشيء وهو الان يتربع على قمة المجالس الكونية المتهندسة .

قالت : اذن هو خبير فى الهندسة ؟ .

قلت : بالطبع .. والدليل على ذلك انه يعتقد ان ابى العلاء المعرى هو من كتاب الادب المكشوف ، ويؤمن بان الجزائر هى مكان لانتاج الفجل والسبب ان باعة الفجل .. فى بعض اجزاء من بلادنا ينادون عليه (فجل الجزائر ياورور) .

قالت البنت : وقد هاجت وساحت ياسلام عليك ، ما اخبثك ياحمارى الحمار ، تنقلنى الى عوالم غريبة ودنيا عجيبة وتجعلنى اصعد واهبط فى غمضة عين ، ولكن خبرنى هل الشاعر الجاهلى اياه ترك لكم تراثا تعتزون به ؟ .

قلت : بالطبع لقد ترك لنا ديوانا واحدا ولكن بثلاثة اسماء .. ففى عهد الملك اصدر ديوانه بعنوان الملك الصالح ، فلما ذهب الملك وجاءت الثورة اعاد الشاعر طبع ديوانه ولكن تحت عنوان الثورة المباركة ، فلما خفت صوت الثورة وأفل نجمها اعاد الشاعر طبع ديوانه للمرة الثالثة وفى هذه المرة كان بعنوان الصحيح فى التصحيح .

قالت البنت مندهشة : ولكنها عبقرية فذة ان يصدر الشاعر ديوانا واحدا فى ثلاثة عهود مختلفة .

قلت : فى الواقع العهود مختلفة ولكن الموضوع واحد ، فالشاعر مداح .. مدح الملك والثورة والتصحيح بقصيدة واحدة وكان بيت القصيد فيها قوله :

وخير الحق انك من هواء
وكل العاملين لكم سواء
ولو كانت ببطن الأرض دول
لكانوا فى الهوى أو فى الهواء !

ان الشاعر بياع وقد باع بضاعته لكل الزبائن بعد ان اوهم كل زبون ان يبيعها له وحده ، وهو هنا يسير على درب مواطن فى بلادنا لا اذكر اسمه يمتلك دكانا لبيع الكباب فى حى عابدين كان اسم الدكان حاتى الملك . فلما ذهب الملك سماه حاتى الثورة . فلما ذهبت الثورة اطلق على الدكان اسم حاتى الانفتاح .

لقد تغيرت الاسماء لكنه يبيع نفس الصنف . ومع ذلك لم يكن الشاعر وحده في الميدان . بل هناك من هو ادهى وأمر .

قالت : هات ما عندك ايها الحمار قبل ان يطق لى عرق في نفوخي فقد دوختني وراءك في مزايا العصر الحميرى حتى كدت اطلب من الله ان يقلبني حمارة أهنأ بعيش الحمير .

قلت : بعض رجال الاقتصاد في بلادنا تولوا وضع اسس الاشتراكية واشرفوا على التأميم وطبقوا الاصلاح الزراعي وهم انفسهم الذين وضعوا اسس الانفتاح وسنوا قوانينه .

قالت : عباقرة واصحاب علم يضعون علمهم تحت امر الشرعية وفي خدمتها .

قلت : لو كان الامر كذلك لما جاءت سيرتهم في هذا المجال ولكنهم ايام الاشتراكية كانوا اكثر حماسا من الخواجة ماركس ، واكثر بطشا من ستالين ، وفي ايام الانفتاح اصبحوا اكثر انفتاحا من ماركوس حاكم الفلبين واكثر عداء للاشتراكية من شاه ايران . ولدينا مهندسون اشتركوا في بناء السد العالى واشادوا بمناقبه وعددوا منافعه وكانوا هم اول من اقترحوا هدمه بعد ذلك ، ولدينا من اغتنى ايام الاشتراكية ولعنوا سنسفيل جدودها عندما انقلب الميزان ومالت الريح .

قالت : وما العيب في ذلك ؟ ان بعض الناس تؤمن بشيء ثم تنقلب عليه عندما يكتشفون خطأهم والرجوع الى الحق فضيلة .

قلت : آه ياخواجاية لم يكن هذا الموقف منهم رجوعا الى الحق ولكن رجوعا عن الحق .

قالت : كيف وما هو دليلك على ذلك .

قلت : ياخواجاية في بلادنا البعض منا يؤمن بنظرته ان جاء الطوفان حط ابنك تحت رجلك ويؤمنون ايضا بقول الشاعر : امل مع الريح اذا مالت والا فاحتمل ، ومادام الاحتمال غير متوافر فالميل اسهل واكسب ، وهم مثل شجرة اللبلاب تميل مع الريح في كل اتجاه .

قالت : وشجرة اللبلاب تعيش رغم ضعفها ولو انها قاومت الريح لانكسرت . وهؤلاء الناس الذين يميلون مع الريح فلاسفة وحكماء .

قلت : الحقيقة ياخواجاية لاحكمة هناك ولا فلسفة ولكنها سياسة مشى حالك ، وفتح عينك تاكل ملبن ، وان كان لك حاجة عند الكلب قل له ياسيدى !

قالت البنت الفرنساوية : هذه حكمة عميقة لم اسمع قط مثلها فإذا كان لك عند الكلب حاجة فكيف الحصول عليها اذا لم تقل له ياسيدى . هل انتم بوذيون .

قلت : بل نحن في الحقيقة حوذيون .

قالت : لم افهم مرادك .

قلت لها : الحوذى ايتها الست الخواجاية هو عربجى الحنطور وهو يؤجر حنطوره لمن يشاء وبشرط ان يفعل ما يشاء اذا كان سكران يعربد كما يشاء ، اذا كان صالحا يتمتم بسم الله كما يشاء والعربجى منبسط ومنشكح في الحالتين وآخر مزاج ليس له ان يرفض او يحتج فهو يؤجر حنطوره فقط وللمستاجر حق استغلاله كما يشاء وما على العربجى الا هز راسه علامة الموافقة والانسجام .

قالت : ولكنك لم تحدثني بما فيه الكفاية عن اعلامكم لقد هربت من الموضوع كما تهرب العرسه من الثعبان .

قلت : لان الموضوع شائك وخطير وكفيل بإدخال الهم على القلوب والالباب .

قالت : بالعكس اريد ان اسمع

قلت : كل عمدة على قطعة ارض من بلادنا لديه اذاعة لا شغل لها الا الاشادة بحكمته والافاضة بوصف عبقريته وانه هو وحده صمام الامن والامان وهو وحده الولى صاحب الكرامات والمعجزات اذا نطق بحديث اذاعته على مدار اليوم عشر مرات ، ليس الحديث وحده ولكن الحديث وصدى الحديث وتعليقات الدوائر السياسية على الحديث واهتمام كل الدائر بالحديث وما وراء الحديث .

قالت البنت الفرنساوية : يا له من عمل رائع الاذاعة تشغل نفسها بالحديث وما وراء الحديث والصدى الذى تركه الحديث والاثر الذى احدثه الحديث . ما الخطر من وراء ذلك ؟

قلت : بعض مشايخ بلادنا ينسون انفسهم احيانا فيتحدثون فيما لايعرفون ، كنت في احدى نواحي بلادنا ذات يوم ، واذا بى أسمع

حديث شيخها في الاذاعة اكثر من عشر مرات في اليوم . وكان الحديث عن الحرب والسلام وتشابك المصالح واختلاف المقاصد والغايات . ولم يقل الشيخ شيئا حول الموضوع . وكل ما نطق به عشر كلمات كررها الف مرة وكان هذا هو كل الحديث الذى احدث اثرا في العالم على حد قول الاذاعة ولا الأثر الذى تركته قنبلة هيروشيما على سير الحرب بين امريكا واليابان . عشر كلمات فقط نطق بها الشيخ (الله سبحانه وتعالى هو يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص) اذا ساله المراسلون عن العلاقة بين الشرق والغرب قال العمدة : الله سبحانه وتعالى هو يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص . يسالونه عن مصير البروسترايكا التى يرفع شعارها جورباتشوف يقول :

(الله سبحانه وتعالى يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص) يسالونه عن غزو امريكا لبنما فيرد (الله سبحانه وتعالى يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص) يسالونه عن الانتفاضة في ارض فلسطين والنهاية التى يتوقعها للمشكلة فيقول (الله سبحانه وتعالى يخلق الانسان والانسان مابيده شيء خالص) .

قالت البنت الفرنساوية وقد فتحت فاها دهشا واعجابا : ان حديثا مثل هذا ينبغى ترديده في اليوم أكثر من مائة مرة ويبقى الاهتمام باثره في انحاء العالمين ورصد ردود الفعل من حوله . فحديث مثل هذا هو غاية في الحكمة وآية في الكمال .

قلت : كيف ياخواجاية اشرحى لى .

قالت : ان الرجل صاحب الحديث لا يريد ان يفصح عن رأيه بصراحة ولكنه يلجا الى الاشارة دون الاثارة ويكتفى بالتلميح دون التصريح وترك كل شيء لارادة الله سبحانه وتعالى . يسالونه عن الانتفاضة فيجيب الله سبحانه وتعالى يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص . ومعناها ببساطة ان الله هو الذى خلق الانتفاضة ومادامت الانتفاضة من خلق الله فلابد هى مستمرة باذن ومنتصرة بمشيئته .

قلت : لا لقد بدت عليك اعراض العصر الحميرى ياخواجاية وتحتاجين الان الى اجازة لتخرجى الى الشارع الأوروبى لتعيشى فيه

فترة لترجعي الى اصلك وتنتظمي في صفك . فانا أخشى الآن ان تتحولى الى اتان من فصيلتنا وقد تحتاجين فيما بعد الى عملية جراحية لكى تعودى الى صنف البنى ادمين

قالت : اهكذا انت حانق وحاقد والحنق يذهب بالعقل . الحمق يطمس على القلب ولذلك فانت لا ترى شيئا جميلا في بلاد الحمير مع انني اكثر شوقا الان للسفر اليها والعيش في ربوعها والرجرجة على رمال صحراواتها والبلبطة في مياه البرك والخلجان .

قلت : خير وبركة لقد كسب العصر الحميرى حمارة جديدة وسيكون يوم دخولك العصر الحميرى عيدا قوميا على مستوى الامة لان دخولك يثبت النظرية التى يقوم عليها مجتمعنا وهى نظرية النشوء والارتخاء

قالت : لم افهم

قلت للبنت الخواجاية : هل تعرفين دارون

قالت : طبعا انه اعظم فلاسفة العصر

قلت : وتسمعين عن نظريته

قالت : طبعا نظرية النشوء والارتقاء

قلت : آه هنا مربط الفرس

قالت : كيف ؟!

قلت للست الخواجاية : دارون هذا مفلس ثقافة ومعرفة وهو بالنسبة لكم فيلسوف الفلاسفة . ولعلك ياست ياخواجاية تلاحظين ان فلسفة وفلاسفة تتكون منها نفس الحروف التى تتكون منها كلمات مفلس وافلاس . وهو بالقطع كتب نظريته قبل ان يرانا ولو انه رآنا ما استطاع ان يعرف حقيقتنا . ونظرية اخينا دارون خاطئة من اساسها لانه اقامها على نظرية النشوء والارتقاء باعتبار ان كل نوع ينشأ في البداية ثم يرتقى . هذه سنة الكون عند عمنا دارون . لكن سنة الكون عندنا تختلف .. فمثلا نحن في البداية كنا بنى ادمين من احسن طراز واجدادنا ضربوا اعظم امبراطوريتين في التاريخ الفرس والروم واستطاعوا ان يحكموا العالم المسكون وقتئذ وامتدت امبراطوريتهم من فرنسا الى الصين واشاعوا في ارجائها العدل والرحمة . اضاءوا في جنباتها مشاعل العزة والنور ومن مدارسهم تعلم الغرب ومن معاهدهم خرجت الموسيقى والفلسفة وعلوم

الهندسة والطب . واجدادنا هم الذين اخترعوا ادب الرحلات وهم الذين وضعوا علم الجغرافيا وهم اول من وضع خريطة للعالم المعروف في زمنهم ، وعساكرهم هم الذين حموا العالم من جنس التتار . وكان لنا خليفة يحكم نصف المعمورة ويشتغل بيديه ويحمل عمله على كتفيه ويدور به في الاسواق وكان ياكل من ربحه الصغير مع انه كان يملك اغلب خزائن الأرض .

وكانت بدايتنا ايتها الست الخواجاية نبيا مرسلا من السماء ما اعظمه وما اكرمه حذرنا ذات يوما بكلمات مضيئة ، انما هلكت الامم من قبلكم لانهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الفقير اقاموا عليه الحد .

وكان لدينا علماء امتد سيف الحاكم لرقابهم لكنهم رفضوا ان يتفوهوا بكلام غير الحق وكان لدينا بطل مشهور في بلادكم اسمه صلاح الدين قاتلكم بالسيف وانتصر عليكم . وسر انتصاره انه كان يضرب بسيف العدل وبينما كنتم تعلقون الصليب على راياتكم كان هو يحمل الله في اعماقه .

قالت البنت الفرنساوية وقد مستها نشوة كانها اصابت عشوة : هل هكذا كان حالكم ايام زمان ؟

قلت : واكثر من هذا ياخواجاية هل اذكر لك كوكبة الفرسان العظام من اول سعد بن ابي وقاص وعمرو بن العاص وابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وموسى بن نصير وطارق بن زياد وصلاح الدين والظاهر بيبرس وعلى بك الكبير ومحمد بك ابو الذهب ومحمد على وجمال عبدالناصر ؟

قالت : هل قلت محمد بك ابو الذهب ؟

قلت : نعم .

قالت : هل كان صاحب دكان في الصاغة .

قلت : بل كان قائدا عظيما قلبه من ذهب وسيفه من ذهب ما دخل معركة والا وانتصر ، ما دخل معركة ضد جيش الا وفرمه في المفرمة

قالت : وما علاقتكم بكل هؤلاء الرجال العظام ؟

قلت : كانوا بعض انتاجنا ونماذج من بعض رجالنا ولكننا للاسف الشديد كلما تطورنا تاخرنا ولذلك نحن الذين اثبتنا خطأ نظرية دارون النشوء والارتقاء .. لان ما ينطبق علينا هو نظرية

النشوء والارتخاء أو النشوء والانحناء او النشوء والانفتاء .. هل تعرفين الانفتاء؟

قالت : البنت المتعالمة لا لم اسمع به بعد .

قلت : اذن هل تسمعين عن الانفتاح .

قالت : نعم واعرف ان في بعض اجزاء بلادكم حركة انفتاح على ودنه

قلت : عفارم عليك ياخواجاية الانفتاء هو الانفتاح لكن بلغة الست والدتنا عليها رحمة الله . وانا شخصيا كنت غاوى كورة وانا طفل وكنت العب بالكورة احيانا وبالحجارة في اغلب الاحيان وكان حذائي ينفتح ويتمزق وكانت امي تصرخ في وجهي كدة اهي الجزمة انفتئت اى انفتحت ! والحمد لله هكذا نحن انفتأنا اى انفتحنا وربنا هب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .

قالت البنت وقد داخت وساخت : ولكن يامضروب هذه نظرية جديدة تستطيع ان تنال عنها الدكتوراه من فرنسا

قلت : لا داعي للدكترة في هذا العصر وخصوصا ولدينا جامعات تمنح الدكتوراه للسادة الوزراء المحافظين ولدينا دكاترة ليس لهم حصر .

قالت : اذن انت يائس .

قلت : بل أنا بائس .

قالت وما العمل قلت : العمل ؟

سهل وبسيط .

قالت : كيف ؟

قلت : على مهلك ياخواجاية فمازال حبل الكلام ممتدا وكما انه ايضا طويل فدعينا ناخذ قسطا من الراحة اليوم ثم نبدأ حديثنا في الغد .

قالت : اذا جاء علينا الغد فانا اشعر الآن انني اكاد احلق في الفضاء واطير واظل اطير حتى احط في بلاد الحمير .

قلت : يامرحبا بك في بلاد الحمير .

١٩٩٠/٥/١

• • •

DVD4ARAB

عن الخطط والأهداف

قالت البنت الفرنساوية بعد أن أفطرت وتعطرت وتمخطرت من شدة الشبع والانشكاح : لقد ذكرت لى بالأمس ان مهندس الاعلام فى العصر الحميرى كان دكتورا ، هل هو دكتور طب يكشف ويعالج ؟ أم دكتور فى العلم والبحوث والمخترعات ؟

قلت : فى الحقيقة ياخواجاية هوة دكتور فقط ، لا يفهم فى العلم ولا فى الطب ولا فى اى شىء .

قالت : إذن كيف صار دكتورا ؟

قلت : ياست ياخواجاية ، فى بعض اجزاء من بلاد الحمير ، كل من اخفى عينه وراء نظارة سوداء ، وحمل فى يده حقيبة سامسونايت ، ينادونه بلقب دكتور . وهذا النوع من الدكاترة هبر أكثر من خمس دخل البترول فى صفقات مريبة وعجيبة .

قالت البنت الفرنساوية : لابد أنهم كانوا اصحاب صناعة أو أصحاب تجارة .

قلت : بل كانوا اصحاب صياعة ، ولم يكن لهم هدف الا النصب والاحتيال .

DVD4ARAB

قالت : واعطوهم الفلوس من اجل النظارة السوداء والحقيبة السامسونايت ؟

قلت : بالطبع لا ، ولكن النظارة والشنطة السامسونايت ولقب الدكتور ، كانت هى عدة النصب التى فتحت لهم الابواب . نصابون ، كانت عمولتهم ضعف أى عمولة عرضت من قبل . كانوا يدفعون خمسين فى المائة واحيانا ستين فى المائة ، وكان بعضهم على استعداد لان يدفع ثمانين فى المائة من قيمة الصفقة . فماذا يضر لو وضعت فى جيبك ٢ مليون دولار واعطيت الطرف الآخر ٨ ملايين ؟ مادمت لن تورد شيئا أو تلتزم بشىء .

انا شخصيا كنت فى زيارة لبلد من بلاد الحمير ، ورأيت بعينى صفقة باع فيها بعض الدكاترة اياهم خمسة الاف بادج ، كانت مخصصة لمهرجان الهيبز ، الذى عقد فى لندن فى عام ١٩٦٥ ، وباعوا البادجات ليعلقها اعضاء الوفود الذين اجتمعوا فى عام ١٩٧٥ لحضور مؤتمر دينى !

● ● ●

لقد بيعت كل قطعة من الخمسة الاف بادج بعشرة جنيهات استرلينية ، مع ان الدكاترة النصابين إياهم أخذوا من صاحب البادجات الهيبية عشرين جنيها للتخلص منها ، ولم يفرق السيد الحمار الذى دفع الفلوس بين المؤتمر الهيبى والمؤتمر الدينى .

انا شخصيا توليت ادارة التحرير فى جريدة تصدر فى بلد حميرى آخر ، واكتشفت وانا اتسلم العمل من مدير التحرير السابق انه لا يعرف القراءة والكتابة ، مع ان بطاقته كانت تحوى لقب دكتور ولما سألته دكتور فى ايه ؟ اجابنى بانه دكتور فى لندن !

قالت : اذن ليس لديكم جامعات تمنح درجة الدكتوراه .

قلت : لدينا دكاترة بعدد شعر الراس ، ولدينا دكتور فى السيرة الهلالية ، ولكن لاننا نحب التخصص ، لدينا مائة دكتور فى ابو زيد الهلالى ، ومائة دكتور فى دياب ابن غانم ، ومائة دكتور فى الزناتى خليفة ، ومائة دكتور فى السفيرة عزيزة ، وحتى تكتمل الصورة وتتم المعجزة اصبح لدينا مائة دكتور فى الريس متقال ، الذى ينشد السيرة الهلالية .

قالت : انه تخصص التخصص ، وهى مرتبة فى العلم لم يصل اليها احد من قبل . تتخصصون فى السيرة اولا ، ثم تتخصصون فى كل بطل من أبطالها ، ثم تتخصصون بعد ذلك فى المطرب الذى ينشدها . لو كنت منكم لطرت من شدة السعادة .

قلت : وانا ايضا طائر من شدة السعادة ياخواجاية ، وانا احكى لك عن حالنا كلون من الوان الفخر .

قالت : ولكن ، هل كان لديكم مهندس واحد للاعلام ؟

قلت : بل انهم لكثير ، احدهم كان صحفيا فاشلا ، ثم دفعه نفاقه فصار « مستحفظانا » على امور الاعلام ، وهو ينتمى الى اقلية صغيرة تعيش فى الوطن الحميرى ، ومع ذلك ، نصب من نفسه داعية من دعاة القومية . وبالرغم من كونه سفاحا ، فقد جعل من نفسه داعية من دعاة الحرية ، ولانه امى لا يعرف القراءة والكتابة ، فقد جعل من نفسه سيفا على رقاب الموهوبين .

وفى زمن اشرافه على سنجقية الاعلام ، اصدر قرارا بمنع نشر خبر موت عبدالحليم حافظ ، اشهر مطرب فى العصر الحميرى . ليه ؟ لأنه فى رأى الحمار الاعلامى مطرب رجعى انتهازى انكشارى انشطارى عديم المقاتلة والنضال !! وكانت النتيجة انه جعل من جهاز التليفزيون الذى اخترعوه فى بلادكم للمتعة حوله إياه إلى جهاز للتعذيب .

قالت البنت الفرنساوية : هل قدمتموه للمحاكمة وعرضتموه للمساءلة ؟

قلت : بالعكس ، بل صار عضوا فى مجلس الثورة .

قالت : وهل قامت فى بلادكم ثورة ؟

قلت : الحمد لله فى بلادنا الثورة قايمة والكفاح دوار

قالت : كيف ؟ وهل معقول ان الثورة تقوم فلا تقعد ، وتدور فلا تتوقف ؟ لقد قامت لدينا ثورة هى الثورة الفرنسية كما تعلم ، وبعد ان اكلت بنيها استقر كل شىء واقتصر الامر على الاحتفال بقيامها مرة كل عام .

قلت : هذا عندكم ، ولكن عندنا كل يوم ثورة شكل ، وكل يوم ثوار الوان ، وكل ثورة لها رئيس يرتدى زى المارشال ولأن ثوراتنا يقوم بها فى العادة مارشالات من منازلهم ، لذلك يصبح شكلهم فى بعض

الأحيان الخالق الناطق شكل المارشال . على مجذوب حى الحسين ، وتظل الثورة قايمة فى بلادنا والكفاح دوار مادام الثوار فى الحكم ، واحيانا يمتد عمر الثورة فى بعض اجزاء من بلادنا الى عشرة اعوام ، او عشرين عاما ، ولدينا ثورتان الان فى بلاد الحمير عمرهما ٢٢ سنة ثورة فى الشرق وثورة فى الغرب ، وتستمعينّ الى الاذاعة هنا وهناك فتظنين ان الثورة قامت بالأمس . فالمارشات العسكرية على ودنه ، والاغانى الحماسية على ودنه وقرارات الثورة بعزل فلان وقتل فلان على قفا من يشيل .

قالت : وما المانع من قيام الثورة اذا كان هدفها التنقية والتطهير ؟

قلت : ولكن ثوراتنا ليس هدفها التطهير أو التغيير ، ان هدفها الحقيقى هو بقاء الحال على ما هو عليه ، بل احيانا على أسوأ مما كان عليه ، بدليل أن المواطن تحت ظل بعض هذه الثوارات انكمشت قدرته المالية عن ذى قبل ، وانحط مستواه المعيشى عن ذى قبل . وفقد كل شىء .. أمنه ورزقه وكرامته ، ويعيش المواطن فى العصر الحميرى أغلب حياته فى ظل الوهم وفى ظل الخديعة ، ويعيش فى انتظار الوهم الذى سيتحقق بفضل قيادة وتوجيهات وتعليمات وإرشادات وتخطيطات الزعيم الملهم مارشال البر والبحر والجو ، والوريث الوحيد والأكيد لخالد بن الوليد والقعقاع والظاهر بيبرس وعلى بك الكبير وعلى بيه لوز !

قالت البنت الفرنساوية : وما المانع من ربط الاحزمة على البطون وتقييد حرية المواطن اذا كان الهدف فى النهاية هو التحرير إذ لابد بالرغم من أنكم حمير أن يكون لكم اعداء . ولابد من إظهار العين الحمراء للاعداء ، بتجهيز الجيوش وحشد الطاقات وتوحيد الجهود ، ولابد من الشدة على المواطن لكى يتعود على الشدة وقت الحرب ، فالحرب ليست نزهة وليست حفلة . وعلى هذا الأساس فمارشالاتكم لديهم حق فى أخذ الشعب بالعنف والشدة حتى يتعود المواطن على جو الحرب .

قلت : عندك حق ياخواجاية ، فانت تتكلمين عن عالم طبيعى ، وانا اتكلم عن عالم حميرى . فالمارشالات تبعنا لا يحاربون اعداءنا الا فى الاذاعة . ويتصدون للامبريالية فى الصحف والجرائد السيارة وهم فى أعماق أعماقهم يتمنون أن يبقى العدو لا يبرح مكانه لأن

وجود العدو داخل اراضينا يجعل منه شماعة يعلق عليها المارشالات كل اخطائهم وخطاياهم . وبسبب العدو الذى لم يجرؤ مارشال واحد منهم على التهويب نحو حدوده تضيق السجون بالاحرار وتلتف حبال المشانق حول رقاب المعارضين ، وبسببه ايضا تختفى الديمقراطية ويسحق المواطن المسكين تحت الاقدام .

قالت البنت : عجيبة يرتدون زى المارشال ولا يحاربون ؟ !

قلت : بالعكس بل هم يحاربون فى كل يوم وفى كل اتجاه ولكن حروبهم تدور داخل حدودهم وبين بعضهم البعض . عندنا بلد من بلاد العصر الحميرى تدور فيها حرب اهلية الان ، وهم يحاربون من منزل الى منزل ومن شارع الى شارع . وبالرغم من كل شىء . فقد اثبت المارشالات تبعنا انهم اشجع من عنترة وأكثر إقداما من ابن الوليد ، وقد أثنت الدوائر العسكرية الاجنبية على اداء جميع المتحاربين الحمير ، وأكدت أن هذا الاداء الرائع هو نتيجة تدريب شاق وجاد ورفيع مما جعل جميع المتحاربين الحمير قادرين على التصويب من بعيد ، والدليل هو سقوط قذائف الحمير على بيوت الحمير ، كما أن عمليات الكر والفر جعلت الانتصار مرتين ، مرة انتصر بعض الحمير على بعض الحمير ، وفى المرة الثانية انتصر فيها بعض الحمير على بعض الحمير . فالحمير على الجانبين ، والقتلى حمير ، والجرحى حمير ، والاسرى حمير ، والحمير انهزموا مرتين وانتصروا مرتين . وهى مسالة لم تحدث لأى جنس فى التاريخ قبل ذلك .

قالت البنت الفرنساوية : ياسلام .. معنى ذلك انكم تقومون بمناورات ليس بالذخيرة الحية فقط ، ولكن بالنفوس الحية ايضا ، وهى مرتبة عسكرية لم يصل إليها احد ، حتى ولا الجيش البروسى الشهير ، وان مثل هذه المناورات الحية كفيلة بالانتصار على الاعداء عندما يحين الوقت المناسب .

قلت : عيبنا ياخواجاية ان الوقت المناسب لم يحن عندنا قط ، فالثورة عندنا دايرة والحرب الاهلية شغالة والثوار فى الحكم لا يخلعهم إلا ثوار اخرون ، فتقوم الثورة من تانى ، وتنشب الحرب الاهلية من جديد .

قالت : يبدو ان مصيبتكم كبيرة وقطتكم نميرة واسمها سميرة ،

لقد وجعت قلبي ايها المضروب . وكان حديثنا عن الدكاترة في الاعلام ، وانحرفت بنا في الحديث الى الثورة والثوار . اليس لديكم دكاترة في مجال الاعلام ؟

قلت : بالعكس ، الدكاترة عندنا اكثر من الهم على القلب ، وثلاثة ارباع وزراء العصر الحميري من صنف الدكاترة . ورغم الفشل المتوالي والفقر المتعالي ، الا اننا متمسكون بتوزير السادة الدكاترة ولكن اغرب هؤلاء الدكاترة واحد يتولى مسئولية عموم الجاز وهو دكتور بفلوسه ، كما انه شاعر يقول الشعر في مواجهة الخطوب والازمات ، اذا ارتفع سعر البترول . رقع القصيدة من نوع :

حبـورا او عبـورا لا تبـالى
فـإن الهبر من شيمْ الـرجـال

اما اذا انخفض سعر البترول ، رقع قصيدة من نوع :

صبـورا لا تخف غـدر الليـالى
فبـعـد النقص لابـد الـعـلالى

والاكادة ان اغلب نقاد العالم الحميري وجدوا في القصيدة استنباطات واسقاطات في الباطن المستغلق ، وبعضهم ارجع القصيدة الى مدرسة الاستبطان الاستغلاقي ، وبعض صحف العالم الحميري كتبت القصيدة بماء الذهب ونشرتها على عشرة أعمدة ، والبعض رشحها لنيل جائزة موبل .

قالت : البنت الفرنساوية : ولماذا موبل بالذات ؟ لماذا ليس « شل » او « سوكوني فاكوم » ؟

قلت : لأن موبيل يشترى البترول من صاحبنا وبطريقة شيلنى واشيلك . يعطيها البترول ارخص شوية ، تعطيه الجايزة ومكافاة اكبر شوية ، فليس بين الشاعر البترولي والشركة البترولية حساب ..

قالت البنت الفرنساوية : ما اعظمه من قائد طلبة ، هذا الرجل العظيم الذى هو اغا النفط في بلاده ، والنفط هو المادة الوحيدة التى اثبتت وجودها في هذا العصر ، كما انه مثل الطائرة من علامات القرن العشرين ، هذا الرجل تبعكم يدير الة التاريخ ، ومع ذلك يترك واقعنا الاليم والمرير ويحلق على جناح الخيال الى سموات الفن والشعر الجميل . لابد ان رجلكم هذا مفلس وشريد وهيمان .

قلت لها : صحيح ، هو مفلس ، ولكن ليس بالمعنى الذى في رأسك . فهو اذا سحب رصيده من اى بنك ، يصبح البنك مهددا بالافلاس .

قالت : اذن هو غنى ..

قلت : بل من اغنياء العصر والاوان .

قالت : ولماذا يقرض الشعر ؟

قلت : اى شعر ؟ ان هذا الذى ينطق به ليس من فصيلة الشعر ، ولكنه كلام حلمنتيشى لاضحاك الصغار .

قالت : طيب ، وما دام هو ثريا كما تقول وبنكيرا كما تدعى ، لماذا سعى للحصول على الدكتوراه ؟

قلت : لأن الدكتوراه في بلاد الحمير لها استخدامات كثيرة . فهي تستخدم احيانا للنصب ، واحيانا في الغش ، واحيانا للزينة ، وهي مع صاحبنا « قومندان » النفط للعصر الحميري مجرد حلية تسبق اسمه الكريم .

قالت : اذن كل اصحاب الدكتورهات عندكم من هذا الصنف ، اليس عندكم دكتور واحد بحق وحقيق ؟

قلت : بل هم ايضا اكثر من الهم على القلب ، ولكن اغلبهم استطاع ان يدبر امره فهرب من العصر الحميري ، وذهب الى عصور اخرى واستقر هناك ، بعضهم يشترك في برنامج الفضاء ، وبعضهم يشترك في قواعد الصواريخ وفي برنامج حرب الكواكب ، والبقية التى بقيت داخل العصر الحميري ، ظلت تقف محلك سر ، لا تتقدم ولا تتاخر ، معايشهم يدبرونها بالعافية ، وملابسهم يادوب تكفيهم حر الصيف وزمهرير الشتاء وسياراتهم من ماركة اللى يحب النبى يزق .

قالت : ولماذا لم يهربوا من عصركم الحميري؟

قلت لها : سؤال وجيه فعلا ، ولكنى لا اعرف له جوابا ، ربما لأنهم كسالى ، ربما لأن لديهم بعض الامل في تغيير الأحوال ، والانتقال بالعصر الحميري الى العصر الجاموسي ، فيصبح لهم فائدة على كل حال ، وربما بعض الغلوشات والهلوسات التى تصيب صنف الحمير ، مثل الارتباط بالأرض والالتصاق بالطين والعودة الى مسقط الرأس . والبقاء في ارض الجذور .

قالت البنت الفرنساوية : انا في عجب من امركم . احيانا ترتكبون الهفوات واحيانا تصنعون المعجزات . احيانا تحلقون في الفضاء واحيانا ترحفون على الارض . والغريبة انني لم اسمع منك اسبابا لاى من الحالتين . يبدو انكم تعيشون حياتكم بالقدرة . وتمضون في طريقكم كالشكل . هل انتم مشدودون باسلاك ومربوطون بأزرار ؟ اليس لديكم تخطيط ؟ الا تنفذون خطة خمسية او عشرية ؟ هل لديكم تصور للمستقبل ؟ هل عندكم هدف تسعون اليه ؟

قلت لها : اما عن الخطط والتخطيط والاهداف فما اكثرها في العصر الحميرى ، وهى شغلنا الشاغل وهمنا الحقيقى ومحور اهتمامنا . واغلب مادة صحافتنا واذاعتنا وتليفزيوناتنا . فانتظرى يا خواجاية حتى يصبح الصباح . واحكى لك عن الخطط والتخطيط والاهداف !

١٩٩٠/٦/١

● ● ●

المعرش .. والمكرش

قالت البنت الفرنساوية وهى تتمطع وتتقصع : حدثنى ايها الحمار الصغير عن التخطيط فى بلادكم وعن المخططين عندكم .

قلت لها : أما عن التخطيط فليس فى الدنيا كلها تخطيط مثل الذى عندنا . أما عن المخططين ، فكل الشعب يخطط . أحيانا على ورق ، وأحيانا على حجر ، واحيانا على بلاط . ادخلى أى دورة مياه فى بلاد العصر الحميرى ، ستكتشفين ان كل الرواد تركوا خطوطا على الجدران وعلى الأبواب . البعض يرسم اشكالا ، والبعض يكتب خطوطا . انظرى الى اى سيارة تمشى فى بلاد العصر الحميرى ، ستجدين خطوطا ظاهرة عند المؤخرة (ياناس ياشر بطلوا قر) و(ما تبصليش بعينك الرضية ، بص للفلوس اللى مدفوعة فىَّ) و(الحلوة دى اسمها فوزية) و(الصبر جميل) و(سيرى بأمر الله) و(مع السلامة يا أبو وردة) .

و(الوزة دى بالشىء الفلانى) فى بعض مناطق اخرى من العصر الحميرى ستجدين كتابة من نوع آخر (الى الامام يامحروسة الى الامام) و(يامتعاظم ، اعظم منك الكاظم) و(احسن البلاد فين ، بلد الحسن والحسين) .

قالت : ولماذا يخططون على الحوائط وعلى السيارات ولا يخططون على الورق .

قلت : لان التخطيط على الورق يعتبر فى بعض بلاد العصر الحميرى نوعا من انواع المغامرة . وفى بعض المناطق من العصر الحميرى يعتبر التخطيط على الورق جريمة ، والورقة المخطوطة يسمونها منشورا . ومخطط المنشور يقدم للمحاكمة بتهمة قلب نظام الحكم بالقوة .

قالت : مسالة غريبة . كيف يتهم بقلب نظام الحكم بالقوة ، مع ان كل الذى ارتكبه جريمة التخطيط على ورقة ؟

قلت : جريمة حمل الورقة فى بعض مناطق العصر الحميرى اخطر من جريمة حمل السلاح ، والقاتل فى العصر الحميرى يعامل فى سجنه معاملة افضل من معاملة مخطط المنشور ، ويفرج عنه بنصف المدة اذا كان حسن السير والسلوك . اما مخطط المنشور فهو سيقضى مدة الحكم كلها ، ويوم الافراج عنه لن يغادر السجن الى الشارع كبقية المساجين ، ولكنه سيخرج من السجن الى ادارة الامن فى بعض المناطق ، والى المباحث العامة فى مناطق اخرى ، والى مباحث امن الدولة فى مناطق ثانية ، والى المخابرات فى مناطق ثالثة . وقد يخرج الى الشارع ، وقد يعود مرة اخرى الى سجنه .

قالت البنت وقد اندهشت وانهبشت : هل يوجد قاض فى هذه الأماكن ؟

قلت لها : السجن فى بلاد العصر الحميرى لا يحتاج دخوله دائما الى حكم من القاضى . فلدينا فى العصر الحميرى ابواب اخرى لدخول السجن ، وذلك تيسيرا على المواطنين من الذهاب الى المحكمة والوقوف فى قفص الاتهام ، واستئجار محامين ، وصدور احكام ، ثم استئناف هذه الاحكام . وبدلا من خوتة الدماغ ووجع القلب ، يمكن للمواطن ان يذهب الى السجن بامر من المباحث او بتليفون

من المخابرات ، أو بكلمة من عضو القيادة القطرية ، أو بأمر شفوى من عضو اللجنة الشعبية ، أو لمجرد رغبة ابداها الشيخ . واحيانا ابن الشيخ .

قالت : ويدخل الشخص السجن من أجل هذا ؟

قلت : ويموت فيه احيانا ومن يسال عنه يدخل السجن هو الا[خر]

قالت : وهل هذا الاجراء قانونى ؟

قلت : بل هو القانون ذاته . فلدينا فى بعض بلاد العصر الحميرى قوانين شتى . قانون الطوارىء ، قانون الاشتباه ، قانون التحفظ ، قانون الاعتقال . وبعض قرارات الاعتقال تصدر احيانا وبهذا النص : (يعتقل افراد جماعة كذا أو تنظيم كذا والمتعاطفون معهم والموجودون عندهم لحظة اعتقالهم) ويتصادف ان يكون لدى المقبوض عليه لحظة اعتقاله عمته بهانة وزوجها سيد أحمد وابنها عبدالشكور ، فيلقى القبض عليهم ايضا ويذهبون فى الكازوزة باولاده . فى منطقة من مناطق العصر الحميرى اتهم بعض الوزراء بتدبير انقلاب ضد نظام الحكم .

قالت البنت تستفسر : تقول وزراء ؟ ..

قلت : نعم ، ولعلمك ، لم يكن هؤلاء المتهمون وزراء فقط ، ولكن كان من بينهم اعضاء فى مجلس قيادة الثورة ، وقد قدم بعض هؤلاء المتهمين الى المحاكمة ، وذهب بعضهم الى المعتقل . اما الذين حوكموا ، فقد أعدم بعضهم وذهب البعض الآخر الى السجن ، اما المعتقلون ، فلا احد يعلم مصيرهم حتى الآن ..

قالت البنت وهى تكاد تبكى : ولماذا لم يحتج اهلهم ؟ ولماذا لم يلجاوا الى جمعيات حقوق الانسان ؟

قلت : فى العصر الحميرى لدينا جمعيات لرعاية الحيوان . اما الانسان فليس له جمعية حتى الآن ، باعتبار ان هذا الصنف من المخلوقات يمثل اقلية وسط اغلبية من جميع اصناف الحيوان . ثم ان هؤلاء المعتقلين ليس لهم اهل على الاطلاق .

قالت : تعنى انهم مقطوعون من شجرة ؟

قلت : لا اعنى هذا بالضبط ولكن هؤلاء المعتقلين كان لهم اهل قبل الاعتقال ، وبعد الاعتقال اختفى اهلهم بقدر قادر ..

قالت البنت الخواجاية : هل ذهبوا فى رحلة سياحية للترويح عن النفس ؟

قلت : بل ذهبوا حيث لا يعلم الا الله . وبعض الحكومات فى العصر الحميرى تاخذ بالاحوط . ومادام فرد من الاسرة متهما بالتامر ، فلابد انه من اسرة كلهم متامرون ، ولما كنا نؤمن بنظرية العرق دساس فلابد من أخذ الحيطة حتى لا يتكرر نفس الامر من نفس الاسرة ، وطبقا لهذه النظرية ، تلجا بعض الحكومات فى العصر الحميرى الى القبض على اسرة المتآمر الذى ذهب وراء الشمس . بينما تلجأ حكومات اخرى الى القبض على الأسرة ونسف بيتها من اساسه .

قالت : والى اين يذهبون ؟

قلت : فى السجون مكان لكل مواطن . ومن تضيق به السجون تتسع له المقابر .

قالت البنت وقد داخت وناحت : ولكن لماذا كل هذه الاحتياطات ؟ هل كان ينوى هؤلاء المتامرون اغراق البلاد واحراق العباد ؟

قلت : بل كانوا يريدون ما هو ابشع من ذلك .

قالت : ابشع من ذلك ؟ ما هو هذا الشىء الذى ابشع من اغراق البلاد واحراق العباد ؟

قلت : هناك ما هو ابشع .

قالت : وما هو هذا الابشع ؟

قلت : كانوا يريدون الاستيلاء على الحكم .

قالت : كل هذا من اجل رغبتهم فى الاستيلاء على الحكم ؟ وفيها ايه اذا استولوا على الحكم . ربما كانت لديهم برامج افضل . او حلول للمشاكل أسرع .

قلت : عيبك يلخواجاية ، انك بالرغم من بقائك الى جوارى كل هذه المدة الطويلة ، لا تزالين تعيشين خارج العصر الحميرى ، وتفكرين بعقلية غير عقليته .

قالت : ما الذى تعنيه ؟

قلت : الخلاف حول الحكم عندكم يتلخص فى خلاف بين البرامج . حزب يريد تطبيق الاشتراكية ، وحزب يدعو الى الرأسمالية . حزب ينادى بالتاميم ، وحزب يدعو الى فتح الباب أمام الرأسمال الحر ، ويرفع شعار دعه يعمل ، دعه يمر . ولذلك لا بأس من تداول الحكم فى بلادكم . ناس تحكم وناس تعارض حتى يأتيها الحكم .

ولكن الحكم فى العصر الحميرى يختلف . الحكم فى العصر الحميرى هبر على ودنه . وعلم بلا حدود، ونفوذ الى اخر المدى ، نفوذ لم ينعم به رمسيس او تحتمس أو جلجامش او عمر بن الخطاب أو مروان بن عبدالحكم او هارون الرشيد ، وستجدين فى بعض المناطق من العصر الحميرى خمسين وزيرا فى الحكومة يحملون نفس الاسم وستجدين فى بعض المناطق الوالد رئيسا للدولة والابن رئيسا للرياضة وابن العم قائدا للجيش وابن الخالة رئيسا للمخابرات وجوز العمة رئيسا للمباحث ، واما الميزانية فهى من اسرار العائلة . لا يصح للغرباء ان يطلعوا عليها ، والحكم فى العصر الحميرى لذائذ واطلاق للغرائز ، وتقلب فى النعيم ، ومصمصة فى الصميم ولذلك اغلب حكامنا يعيشون فى حالة الوضع (ياقاتل او مقتول)

قالت البنت وقد لوت بوزها : اذن فالحكم فى العصر الحميرى مشغول طول الوقت بحراسة الحكم .

قلت : مظبوط وأضيف : والذين خارج الحكم مشغولون بالاستيلاء عليه .

قالت : بالرغم من المهالك والقتل والسحل وهدم البيوت ؟

قلت : نعم ، من اجل الحكم يهون كل شىء واى شىء . لدينا فى العصر الحميرى من يقضون الصيف فى اوروبا . والشتاء فى اسيا . ولدينا من يدفع للصحف مليارات من الدولارات لكى يكتبوا عن حكمته وعن عبقريته . عندنا من يهدى الساعات ومن يهدى السيارات ، ومن يهدى القصور والعمارات وعندنا من يسافر ومعه حاشيته ، والبعض يسافر ومعه قبيلته . واحد ابناء العصر الحميرى موجود الان فى اوروبا فى معيته الف شخص وهو فى المنفى الاختيارى يصدر جرائد ويدير اذاعة مع انه قبل ان يصل الى السلطة كان انضف من الصينى بعد غسيله . ولدينا ضباط استولوا على السلطة فى بعض مناطق من العصر الحميرى ولم يستمروا فى السلطة اكثر من عدة شهور ، واحيانا اكثر من عدة اسابيع ، ومع ذلك يعيشون الان فى اوروبا عيشة هارون الرشيد ، الذى كان السحاب الشارد فى انحاء مملكته يمطر فى أى مكان ، فيحصل على خراجه .

قالت البنت وهى شديدة العجب : ومن اين حصلوا على هذه الفلوس ؟

قلت لها : عندنا فى العصر الحميرى يحصل على الفلوس كل حسب نيته ؛ واغلب حكام العصر الحميرى والحمد لله من اصحاب النيات الطيبة . ولذلك يسهل الله لهم طريقهم وينجح مقاصدهم .

قالت : نيتهم حلوة وعرفنا ، ولكن من اين جاءت لهم الفلوس ؟

قلت : لم يسأل احد حتى الآن هذا السؤال ، لأن السؤال فى العصر الحميرى عيب ، واحيانا مذلة .

قالت : ايها الحمار ، دوختنى معك ، وجرجرتنى وراءك . كنا نتحدث فى التخطيط . فأخذتنى معك الى متاهات . ما علاقة هذا الذى يعيش فى الخارج ومعه الف مخلوق ونيته الحلوة حققت له ثروة بعشرة الاف مليون ما علاقة كل هذا بالخطط والتخطيط ؟

قلت : ان العلاقة بينهما عضوية وضرورية . فكل الذين استولوا على السلطة واغتنوا من فضل الله ، خططوا فى البداية للاستيلاء على السلطة ، ثم خططوا للاستيلاء على الثروة . وهكذا كان التخطيط هو الاساس .

قالت : اذن لا يوجد عندكم تخطيط للبناء ، تخطيط لتحقيق الاهداف .

قلت : ياخواجايا : هذا النوع من التخطيط ليس اكثر منه فى العصر الحميرى . والعصر الحميرى كله مشغول بالتخطيط من اجل بناء الهجمات تمهيدا لاحراز الاهداف . ولدينا فى بلادنا من أجل هذا التخطيط عشرات من الخبراء الاجانب ، بعضهم يحصل على دخل سنوى لم يحصل عليه امبراطور الصين . من بين هؤلاء واحد اسمه البيجالو اشتغل عندنا فى عدة مناطق وبالرغم من دخله الكبير وعيشه الوفير ، كان يتكلم مع الحمير تبعنا من طراطيف انفه ، مع ان غاية ما حققه من نجاح هو انتصار فريق حميرى على فريق حميرى آخر . ولدينا مخطط اخر اسمه السايس يجلس فى المدرج ومعه قراطيس واقلام ، ويظل يخطط طوال المباراة . ومع ذلك ينهزم فريقه من الأوليمبى ويخرج من الكاس على يد السكة الحديد ، ولدينا مخطط آخر يشتغل فى التهريب وفى التهليب ، ويستغل فريق الكورة فى التهريب ، أحيانا من بورسعيد وأحيانا من بورتثماوث وعندنا مخطط اخر يتقاضى مرتبا يفوق مرتب أى رئيس جمهورية

فى بلاد الغرب ، ومع ذلك ادى تخطيطه الى هزيمة منتخبه الذى يدربه ، والذى يؤهله لكاس العالم ستة/صفر وخمسة/صفر وسبعة/صفر . وبالرغم من ذلك تنهال عليه المكافات والاكراميات من كل صوب وحدب .

قالت البنت الفرنساوية : عجايب . ينهزم ويحصل على المكافات ؟

قلت : نعم ، لاننا من جنس يستوى عنده الموت والحياة ، والفوز والخسارة ، المهم يستمع المخطط الى اقتراحات الشيخ أو ينفذ رغبات الامير ، أو يطبق خطة الرئيس ، أو يلبى اوامر الوزير ، أو يطيع تعليمات الخفير . المهم عندنا هو اشباع مزاج المتنفذين والمخطط اياه لا يرفض طلبا ولايرد متعشما ولايصد احدا من اصحاب النفوذ .

قالت البنت الفرنساوية وقد غلب حمارها وخاب أملها : انت تتكلم عن التخطيط فى الكورة ، وانا اتكلم عن التخطيط فى الدولة .

قلت : اعوذ بالله من غضب الله . التخطيط فى امور الدولة تجديف وتخريف وتحد للمشيئة . وامور الدولة تمشى بالبركة ، وتسير على فيض الكريم ، والله جاب ، والله خد ، هو الشعار المرفوع . واصرف ما فى الجيب ياتيك ما فى الغيب ، هى الخطة الخمسية ، وخد من دقنه وافتله ، هى الخطة القومية فى العصر الحميرى . ولبس ده طاقية ده ، هى الطريقة المثلى فى التجارة والاقتصاد ، وامش قدام عدوك معرش ولا تمشيش مكرش ، هى حكمة الأمن الغذائى فى بعض مناطق العصر الحميرى . وكل اللى يعجبك والبس اللى يعجب الناس ، هى محور الحياة فى مناطق اخرى من العصر الحميرى . وفى الاقتصاد ، نحن نسير حسب نظرية اقتصادية لا تخر المية ، نظرية لم يتوصل اليها ماركس ، ولم يكتشفها شاخت ، نظرية يابخت من نفع واستنفع . ومن هذه النظرية الحميرية تتفرع نظريات اخرى كثيرة . اهمها نظرية اطعم الفم تستحى العين ، ونظرية تراعينى قيراط اراعيك قيراطين ، ونظرية تشيلنى واشيلك ، ونظرية من خد واعطى صار المال ماله . كلها نظريات اقتصادية اثبتت جدواها ، وفوائدها مضمونة ، وتحت مظلتها نشأ عباقرة اعظم من روكفيلر واحدق من هيلتون ، واذكى من الخواجا بتاع كانتكى فرايد تشيكن .

قالت البنت الفرنساوية مشغوفة وملهوفة : تقول اذكى من كل هؤلاء ؟

قلت : وأعظم من هؤلاء أيضا . لان هؤلاء المليونيرات الخواجات اشتغلوا بالفندقة أو تاجروا بالنفط ، أو افتتحوا محلات لبيع الفراخ ، ولكن المليونيرات الحمير لم يتاجروا فى شىء ، ولم يدخلوا السوق ببضاعة ولكنهم شالوا وشيلوا واطعموا الافواه فاستحت العيون ، ونفعوا الاخرين واستنفعوا بشدة . وصاروا بالشطارة والذكاوة والفهلوة مليارديرات يشار اليهم بالحوالات والشيكات ودفاتر التوفير . الملياردير الريان والملياردير توفيق عبدالحى والمليارديرة الفولاذية وعشرات من نجوم المال والاقتصاد دخلوا السوق وهم افرغ من زجاجة كازوزة مرمية فى صندوق زبالة ، وخرجوا من السوق مثل برميل ويسكى معتق ومحفوظ فى قبو تحت مصنع ويسكى فى اسكتلندا .

قالت : اذن افهم من ذلك انه ليس لديكم وزراء للتخطيط .

قلت : بل لدينا منهم عدد يفوق عدد المشجعين فى مباراة الافتتاح فى كأس العالم .

قالت : ما هى مهمتهم على وجه التحديد ؟

قلت : مهمتهم الاولى هى التخطيط للماضى ! بعضهم يؤيد بشدة العودة الى الوضع الاقتصادى الذى كان سائدا فى عصر سمعان بن كحكوح ، والبعض الاخر يعارض هذا الاتجاه بشدة ، باعتبار ان عصر سمعان بن كحكوح من العصور القديمة . ولذلك يطالب هذا البعض بضرورة الالتزام بالقواعد التى كان معمولا بها فى عصر عباس بن فرهود . البعض منهم متمسك باقتصاد الخلافة ، والبعض ينادى بتطبيق اقتصاد السلطنة . وهناك قلة قليلة تنادى بالالتزام باسلوب بيت المال . ولكن هناك اتفاق بين الجميع على ان البركة هى الاساس ، وان الرك على النية . باعتبار ان الدنيا فى الحقيقة للمسعودين وليست للموعودين ، وتجرى جرى الوحوش غير رزقك ما تحوش . وكل الانهار تصب فى البحر والبحر ليس بملآن ، والغنى غنى النفس ، والقناعة كنز لا يفنى ، ولذلك ستجدين مناطق فى العصر الحميرى اهلها يأكلون البسكويت ، ومناطق أخرى أهلها يأكلون الحندويل ، ناس تلقى بالفلوس فى التراب ، وناس تلحس التراب ناس تستورد كبد العصفور والجبنة الركفورد وعرف الديك الكوكور وناس تفطر بالدود ، وتصطاد الغراب للعشاء .

DVD4ARAB

وهي احوال ناتجة عن تخطيطنا الممتاز ، وجهد المخططين تبعنا الافذاذ . والحمد لله .. الحمد لله .. الحمد لله الذي لا يحمد ـ يالخواجايا ـ على مكروه سواه .

قالت البنت الفرنساوية : يخرب عقلك ، حمار عفريت مجنون وصاحب خيال . شوقتني الى رؤية هذا العصر الحميري ، والغريب الاحوال والاطوار . هل تسمح الان بان تاخذ بيدي وتخطف رجلك معي للعصر الحميري ، بما فيه من احوال واهوال ..

قلت : على مهلك يالخواجايا ، فالدخول للعصر الحميري يحتاج الى تأشيرة والى تامين والى تمهيد . وفي بعض المناطق يحتاج الى تمويل والى تحويل فاصبري حتى الغد ، فان الله مع الصابرين ..

١٩٩٠/٧/١

● ● ●

الحنجوري .. والباطنية

DVD4ARAB

قالت البنت الكركورة : عليك اللعنة حمار وخبيث ، جحش ولئيم ، شوقتني الى العصر الحميرى ، ثم تتخلى الآن عنى ، وتنصحني بالصبر الجميل لماذا لا تصحبني الآن وعلى الفور في جولة في انحاء العصر الحميرى فأنا اتحرق شوقا الى رؤية هذا العالم الجميل ؟

قلت للبنت الكركورة : المسألة ليس فيها خبث أو لؤم ، المسألة ببساطة انك تستطيعين السفر الى العصر الحميرى بمفردك ولكن ذهابي معك سيكون مغامرة خطيرة قد تنتهي بنا الى ما لا يحمد عقباه .

قالت البنت : الست انت من ابناء العصر الحميرى ؟

قلت بل محسوبك من الحمير المعدودين .

قالت : واين المشكلة الآن ؟

قلت : هذه هي المشكلة .. فلو انك ذهبت وحدك لفتحوا لك الابواب والنوافذ ايضا

ولكن وجود حمار مثلى معك يعقد المشكلة ، ويجعل منها جريمة امن دولة بالتأكيد فوجودى معك يجعلنى هدفا لقسم مكافحة الجواسيس ، فبالرغم من عشق النظم الحميرية للاجانب ، الا ان الاتصال الفردى بهم يصبح جريمة . وفي العصر الحميرى كل مواطن خائن حتى لو ثبت العكس !

قالت البنت الفرنساوية : لابد ان لديكم اسرارا تخافون عليها وتحرصون على ان تبقى في الحفظ والصون ؟

قلت : عندنا طبعا ما نحرص عليه . لدينا قاعدة الصواريخ عابرة القارات في ام القوين ، ولدينا قاعدة الغواصات الذرية في ام درمان . وعندنا محطة اطلاق الاقمار الصناعية في ام خنان ، وعندنا ايضا بلاوى متلتلة واسلحة مولولة في بني مزار وبني سليم وبني غازى .

قالت البنت الكركورة : إذن حكومتكم عندها حق في منعكم من الاتصال بالأجانب ، فأسرار خطيرة مثل هذه الموجودة في ام خنان وام درمان ، لابد من الحفاظ عليها كنور العين .

وسكتت البنت الخواجايا وقالت : ما رايك لو ذهبنا في جولة إلى العصر الحميرى ونحن آخر حصانة وفي المضمون ؟

قلت : كيف ؟

قالت نتزوج .. ونسافر زوجا وزوجة ، وعندئذ نضمن الأمان والاطمئنان .

قلت للبنت الفرنساوية : مصيبة العبد في حضرتك انك لن تفهمى العصر الحميرى حتى لو سمح لك بالعيش فيه عشرة اعوام . إن الزواج لن يمنع وقوع الكوارث .. وربما كان سببا في الموت حرقا او رجما بالحجارة .

قالت : ليه ؟

قلت : أولا انا رجل مسلم وسادخل الجنة بإذن الله . وزواجى من امراة مثلك ترتدى الميني جيب ، وتدلدل نصف صدرها وتكشف عن معظم ساقيها سيثير ثائرة المسلمين الذين يولون وجوههم شطر قم وسيحكمون على العبد لله باننى مرتد واستحق الحرق بالنار .

سالتنى البنت : وهل كل الناس في العصر الحميرى من هؤلاء ؟

اجبتها : لا .. انهم في الحقيقة اقلية ، ولكن اصواتهم عالية وايديهم

DVD4ARAB

طويلة وخناجرهم مسمومة وحكمهم نافذ لا يقبل أى نقض أو استئناف . قالت : ماداموا اقلية نستطيع البعد عنهم ونقيم مع المثقفين واصحاب العقول ؟

قلت : اذا فعلنا ذلك نكون كالهاربين من الرمضاء للنار . المثقفون الحمير حالهم اعجب وسلوكهم اغرب . اذا شاهدنا هؤلاء الذين يولون وجوههم شطر موسكو فسيقولون هذا ليس عقد زواج ولكنه عقد شركة لانتاج خدمات تآمرية لخدمة الطبقة البورجوازية ولتحقيق اهداف الامبريالية ..

قالت البنت وهي تكاد من شدة الضحك تتشقلب : ولكن الآن وبعد عمك جورباتشوف لم يعد احد يستعمل هذه اللغة الحنجورية .

قلت : انا اعلم ذلك وانت ايضا ، حتى فى موسكو قبلة العالم الحنجورى سارت المظاهرات تهتف بسقوط لينين ، وتطالب بنبش قبر ماركس ، ولكن دراويش الماركسية فى العصر الحميرى لا يزالون مخلصين للعهد الذى قطعوه على انفسهم .

قالت : غريبة ، لو كان الامر اقتصر على المظاهرات فى موسكو لقلت ناس عندهم مبادىء ومعهم العذر . فالمبادىء يختلف حولها الناس ، ناس معها وناس ضدها ، ولكن الذى حدث لم يكن خلافا على المبادىء . لقد كان انكارا للمبادىء وثورة عليها والدليل على ذلك ان الروس الشيوعيين اللينينيين الماركسيين يقفون الآن فى طوابير اطول من طابور الجمعية الاستهلاكية لكى يحصلوا على قطعة هامبورجر من مكدونالد الامريكى ، ويشفطوا شفطة من مشروب الكولا بتاع العم سام . وبعد سقوط شاوشيسكو فى رومانيا صارت بيوت الدعارة فى بوخارست تنافس فى الكم والكيف بيوت الدعارة فى ستوكهولم وبعد ان اصاب التغيير المانيا الشرقية تضاعف عدد المتعطلين واصبحت الغالبية العظمى من المتسولين ، وشح الطعام فى الأسواق ، وارتفعت الاسعار ، ومع ذلك لم يرتفع صوت واحد ينادى بالعودة الى ايام الحزب الشيوعى الالمانى ، وإن كانت هناك اصوات ارتفعت تطالب بالعودة الى أيام هتلر . والناس فى آلبانيا هربت من الحدود عرايا بلابيص ، وبعض الهاربين هددوا بالانتحار اذا اعادوهم الى بلادهم . فهل لا يزال فى العصر الحميرى احد يدافع عن النظم الشيوعية ؟

قلت : للأسف ياخواجاية ، فى الراية كتب الحناجرة نسبة الى الحنجورى يهاجمون الحمير امثال الذين هاجموا الظاهرة ، وقالوا ان السبب فى الخيبة ليس الماركسية ولكنها النظم التى حكمت باسمها . وان بعض عملاء الامبريالية والرأسمالية الذين زرعتهم المخابرات المركزية الامريكية داخل الاحزاب الشيوعية تمكنوا فى النهاية من الانحراف بالمسيرة الماركسية الى هذه النهاية المفجعة . وقال السادة الحناجرة ان البيروسترويكا هى عملية نقد ذاتى على مستوى عال ، وانها تستهدف اعادة البناء لمصلحة العمال والشغيلة ومن اجل بناء الحنشكونى فى سبيل خيركاسونى وللسماح بالتقابل التضامن على طريق الوعد المتزامن .

قالت البنت الفرنسلوية يقولون من اجل بناء الحنشكونى فى سبيل خيركاسونى . وخيركاسونى كما تعلم كابتن اشترك فى كاس العالم ، فما علاقة كاس العالم بكاس الامم الشيوعية ؟

قلت للبنت الفرنساوية : اصدقاؤنا فرع الحنجورى من الحزب الباطنى ايضا ، وهم لا يهتمون كثيرا بالمعنى الظاهر ، ولكنهم يهتمون على نحو خاص بالمعنى الباطنى . والمعنى الباطنى فى الحقيقة اهم بكثير من المعنى الظاهر للافهام . ولذلك اختاروا جازكاسونى بالذات . اولا لأنه لعيب شهير للغاية ، وثانيا لانه كان السبب فى احراز الهدف القاتل فى مرمى فريق مصر ، والذى كان السبب فى حرمان العالم الثالث من بطاقة الى الدور الثانى . وقالت لان جازكاسونى احاطوه قبل المباريات بدعاية جعلت منه اعظم لعيب فى العالم .

وقالت الدعاية إنه اعظم من بوشكاش واحرف من بيليه واخطر الف مرة من دستيفانو واكثر لياقة ومهارة من مارادونا . ولكن اداء جازكاسونى فى مباريات الكاس لم يؤكد هذا الزعم . كان لعبه (مش بطال) مثل غيره من الكباتن واستخدم العنف بدل المهارة فحصل على انذارين وطردوه من الملعب . وجلس على الدكة الى جانب المدرب فى المباراة الحاسمة على المركز الثالث بين انجلترا وايطاليا وقف بعد المباراة يبكى كما بكت خالتى بهانة بعد ان مات زوجها فى حادث جرار على الطريق الزراعى .

قالت البنت الفرنساوية وقد نفد صبرها : من وصفك ايها الحمـ لجازكاسونى تأكد انك تابعت كاس العالم وعرفت خباياها ولكنك لم تكشف لى عن العلاقة بين جازكاسونى وما حدث فى الدول الشيوعية ؟ ولماذا خلط الماركسيون تبعكم بين البروسترويكا وجازكاسونى ؟

قلت الامر ياخواجاية فى غاية البساطة ، الماركسيون تبعنا لعبوا مع العالم الشيوعى دور الاعلام مع جازكاسونى ، قالوا انه اعظم نظام وابدع نظام واجدع نظام ، وان المواطن فى النظام الشيوعى أفلت بجلده من كل أمراض العصر . فهو يأكل طعاما صحيا وإن كان بلا طعم ، وهو ينام مبكرا ويستيقظ مع العصافير المغردة ، لان لديهم فى الوطن الشيوعى أشغالا لابد من إنجازها ، وفعاليات لابد من إبرازها ، ليس لمصلحة الفرد ، ولكن لمصلحة الشعب . وقالوا انهم هناك نجوا من خبل العصر وجنونه ، فلا موسيقى روك أندرول ولا أفلام جنس ، ولا رسم سيرالى ، الذى هو شخبطة رسمها ذيل حمار !

وقالوا ان المرأة فى المجتمع الماركسى كرامتها مصونة وعفتها فى الحفظ والصون ، ولذلك لم تجد عاهرة واحدة فى العالم الشيوعى ولكن .. اذا حدث لقاء وعناق والذى بالى بالك ، بالانسانية الفياضة المترامية على مدد الشوف . وتاكيد على ان الرجل والمرأة متساويان فى الحقوق وفى الواجبات .

قالت البنت الفرنساوية وقد ارعشت حاجبيها دهشة واستنكارا ولماذا كل هذه اللغة الطويلة ؟ لماذا لم يشرحوا الامر للناس على الفور ؟ خصوصا ان الناس لا تعرف جازكاسونى هذا الذى لعب بعض المباريات فى كأس العالم .

قلت ياخواجاية كل شيخ وله طريقة . وهؤلاء السادة الحمير اياهم يتبعون الطريقة الباطنية .

قالت البنت الفرنساوية تسال : الباطنية نسبة إلى علم الباطن ؟

قلت : بل نسبة الى حى الباطنية ، وهو حى عريق وشهير فى القاهرة المعزية ، وسكانه يبيعون للناس المزاج والخيال والاسلوب الحنجورى المبطونى ، خصوصا ان الصنف المتداول فى الباطنية

من النوع المضروب . وبعد اول نفس يشده الباطنى يخلط على الفوربين الخيال والواقع ويبدأ الباطن فى استخدام لغة الحنجورى . فيقول مثلا : مساء الهنجفة بدلا من مساء النور . والهنجفة كلمة مركبة من كلمتين . ها .. ونجف . اما الها فهى كناية عن المستقبل . يقول الرجل ها .. ناكل . ها .. نشرب . ها .. نسافر . أى انها اشارة الى فعل قادم .

أما النجف فانت تعرفين وظيفته ، وهو التنوير بشدة ، وتكثيف الاضواء فى مساحة محدودة . وهكذا تجدين ان المعنى واحد وإن اختلفت الصياغة .

قالت : ياسلام .. انه علم غويط ، وعريض وهى نظرة الى ما وراء الهيلولة . ونفاذ الى ما وراء الغيب .

قلت : هى بالضبط كذلك . ولذلك ايضا لجأ بعض الماركسيين من صنف الحمير الذين أثروا من عمليات كهربائية مشبوهة فى بلاد العصر الحميرى الى انشاء حزب اطلقوا عليه حزب التنوير .

السذج يتصورون أنهم يقصدون تنوير الامة للابتعاد عن طريق الغمة وسلوك الطريق الصحيح . بينما اصحاب الحزب يقصدون الكهرباء التى كانت قدم السعد عليهم ووش الخير .

اما مدعى الناصرية الكهربائى فقد خرج من الكهرباء إلى المركز العربى للثقافة والمباحث ..

قالت البنت الفرنساوية : وما علاقة الثقافة بالمباحث ؟

قلت : فى الحقيقة هناك علاقة وثيقة بينهما . فالمباحث هنا لا تعنى جهاز الشرطة الذى نعرفه ، ولكنها تعنى البحث العلمى المبرمج على اسس بحثية ودراسات مبنية وملوخية بالتقلية .

قالت البنت الفرنساوية : لقد تركت موضوعنا ودخلت فى موضوع آخر .

قلت : بالعكس ان المواضيع كلها مترابطة ، وسكك ابو زيد كلها مسالك ، واحزاب الكهرباء كلها شيوعية او ناصرية او امريكية تثبت ان المبادىء كلها عظيمة ولكن الذين ينتحلونها يكونون احيانا من أرذل انواع الناس . عمك هونيكر فى المانيا الشرقية عاش مثل السلطان يلبغا المهندار ، كان لديه قصور وحمامات سباحة وبنات

في عمر الورد . وعمك جيفكوف بتاع بلغاريا كان ولده يلعب القمار في لندن ولا عمك الشيخ عجنون بن شنكح والنصاب الناصري عبدالحميد ابن سنفريد ، اثرى بقدر تلاعبه بالمبادىء . وجمع من الفلوس مليون ضعف عدد كلمات الاحاديث النارية التي ادلى بها للجرائد ، وسرق حتى من محلات ماركس اندسبنسر بلندن ، وكتبت بعض الصحف العربية ان التهمة من تدبير الاعداء والصهاينة مع ان ابن سنفريد حرامي ابن حرامية ومسجل خطر في جميع اجهزة الامن العام . المهم ان الانهيار عندما حدث في العالم الماركسي قال الحمير تبعنا انها حركة تطهير تتم من الداخل لمصلحة الاشتراكية والطبقة العاملة الفتية ، فلما اتضح للجميع ان المسألة هي انهيار كامل للنظام وافلاس كامل للنظرية ، لم يسكتوا ولم يكفوا .

بعضهم كتب يقول ان الاستبطان الاستغلاقي المتعانق مع الحواشي والشواشي كان لابد ان يقهر او يتقهقر !

وبعضهم جن جنونه واتهم جورباتشوف بانه دسيسة امريكية وعميل للمخابرات المركزية ، وانه قابض فلوس من جهاز كنتاكي فرايد تشيكن للفراخ المشوية ! ولايزال الحبل على الجرار ، والرفاق يضربون اخماسا في اسداس ، ولا يعرفون كيف يتصرفون بعد ان حدث الزلزال ووجدوا انفسهم بين الانقاض ..

قالت البنت الفرنساوية وهي تكاد تبكي : إنه موقف صعب صدقني . ربما كانوا سذجا امنوا بإله ثم اكتشفوا فجأة انه صنم لا يضر ولا ينفع ، ولو كنت انت مكانهم لحدثت لك نفس الديخوخة وربما اصابتك نفس الشيخوخة . وربما لطمت على خديك بالشبشب من انتاج ايف سان لوران .

قلت عندك حق ياخواجاية ، فهؤلاء الرفاق تبعنا اشبه بوكيل شركة سيارات ، وهو نازل اعلانات عمال على بطال على حلاوة الصنعة ودقة الاداء ، وانسياب الخطوط ، وسعة الصالون ودقة المحرك وقوة الاضواء ، ومتانة الكاوتشوك ، ثم فجأة افلس المصنع نفسه وقال في حيثيات الافلاس ، لقد كانت البضاعة سيئة والصناعة اسوأ ، وكانت السيارة اذا سارت توقفت وإذا توقفت تمزقت وإذا

تمزقت تناثرت . ولكن الناس كانت تركبها وتحمد الله ليس لانها جيدة ولكن لأن وراء كل راكب مخبرا يمسك بخناقة ويكتم انفاسه ويجبره على ان يهتف مجبورا .. ياسلام !

قالت البنت الفرنساوية : الله يخيب حضرتك ، هؤلاء الرفاق هل علينا خطر من الاتصال بهم اذا ذهبنا إلى هناك ؟ هل هناك في بلاد الحمير من نخشى لقاءهم معا غير اصحاب اللحى واصحاب الحنجوري ؟

قلت : ذهابك وجدك إلى بلاد العصر الحميري اسلم واكسب . وربما عادت عليك الزيارة بخير وتصبح زيارة وتجارة لأنهم هناك يحبون اللحم الابيض ، ويعشقون الشعر الاصفر . ويغرقون في بحر العيون الزرق

قالت : عليك اللعنة ، انني باحثة ولست غانية ، وانا اهدف إلى البحث ولا اهدف إلى الخبص . وذهابي مع الضرورة ضرورة حتى أرى بعينيك المعمصتين واشم بأنفك المسدودة واتذوق بلسانك الذي هو مثل المبرد المسنون .

قلت : على كل حال لقد مضى بنا الليل فهيا إلى النوم ، وغدا يا صغيرتي .. يوم آخر !

١ / ٨ / ١٩٩٠

• • •

DVD4ARAB

كل يـوم .. وتـغـيـب

قالت البنت الكركورة وقد بدا عليها الغضب والخصام : اعتقد انك تكذب على وأنك كنت تحكى لى طوال الوقت عن عالم ليس له وجود .

قلت : للبنت الغضبانة ، ولماذا تعتقدين مثل هذا الاعتقاد ؟

قالت : وعدتنى كثيرا ان تاخذنى معك إلى العصر الحميرى الذى تنتمي اليه ، ولكنك فى كل مرة تعتذر عن السفر معي إلى هناك ، وحاجة من اثنين : إما انك كذاب ولا وجود لشىء اسمه العصر الحميرى . واما انك هارب من هناك وتخشى ان تعود مرة أخرى ..

قلت للبنت الزعلانة : أما عن العصر الحميرى فهو موجود وعامر وعال العال ، وبعض اهله هاجوا وماجوا وهجموا على أخرين ، والحرب شغالة الآن فى العصر الحميرى . والجميع فى حالة طوارىء ، واذا نشبت الحرب فسيكون الدم للركب ، والقتلى بمئات الألوف .

DVD4ARAB

بالاضافة إلى العمى والعور والعرج والكتع ، هؤلاء بالتاكيد سيتحولون إلى متسولين ..

قالت البنت مندهشة : ولماذا قامت الحرب ؟

قلت : لا احد يعرف ، ففي عصر الحمير لا احد يسال عن السبب ، لان السؤال عيب ، وهو ايضا قلة الادب ، كما انه مذلة !

قالت : على فرض ان السؤال كما تقول ، فهل يمنع هذا ان اعرف لماذا نشبت الحرب في العصر الحميري ؟ اليس الجميع سواء ؟

قلت : نعم . ولكن بعض الحمير لها حوافر ولها اسنان . فهجمت على غيرها . وهذه الحمير الحصاوي سبق لها دخول الحرب ولمدة طويلة وخرجت من الحرب مضروبة ومعطوبة ، ومع ذلك احتفلت بالنصر ، وانطلقت الزغاريد وانطلقت الصواريخ . وغنى الجميع للمجد الذي بلغوه .

قالت البنت وقد شردت بعيدا : تقول انهزموا واحتفلوا ؟

قلت : نعم ، انهزموا واحتفلوا ، ثم ذهبوا للحرب من جديد !

قالت : اما حكاية ليس لها مثيل ، ومادام انهزموا ، فلماذا يحاربون من جديد ؟

قلت لأن الذين حاربوهم في البداية كانوا من نوع الحصاوي ايضا ، فعضوهم ورفسوهم وبهدلوهم وجعلوهم عبرة للاخرين . وكان لابد للحمير المغلوبين أن يبحثوا عن نصر سهل ، فهجموا على حمير من النوع الوديع واجتاحوهم في ساعات وسبوا حريمهم ونهبوا متاعهم وحصل لهم انبساط عظيم ..

قالت البنت مذهولة : واحتفلوا بالنصر ايضا .

قلت : هذه المرة لا .. فالنصر لم يتم بعد . ويبدو أنه لن يكون له وجود . ففي العصر الحميري فتوات اخرون ، هبوا لنجدة الحمير الطيبين ، والآن يحتشد الحمير على كل الجبهات ، ويستعدون لاطلاق النار .

قالت البنت وهي تخبط على صدرها : أما حمير بصحيح . إنهم عندما يبدأون في إطلاق النار فسيقتلون انفسهم ، ويخربون بلادهم ، لماذا لايهاجمون الا جنسهم ؟ ولماذا لا يحاربون الذئاب التي تاكل الحمير ؟

قلت : آخر حرب للحمير ضد الذئاب كانت منذ حوالي عشرين عاما . بعد ذلك تفرغوا للحرب ضد انفسهم . ومنذ ذلك الحين كلما ظهر زعيم من صنف الحمير فإنه يتصدى للحرب ضد الذئاب في الاذاعة احيانا يهددهم بالنسف ، وأحيانا يتوعدهم بالخنق ، ولكنه لا يفعل اكثر من ذلك . وكان الحمير سعداء بهذا النوع من القتال . فيتظاهرون عقب كل تهديد . ويهتفون للزعيم الذي يقود المعركة في الاذاعة ويرفعون صورته فوق الاعناق . ولكن عندما يحارب الحمير ضد بعضهم البعض فهم يحاربون في الواقع . ويستخدمون كل الأسلحة ، من الدبابة إلى الاظافر والاسنان .

قالت البنت وقد اندهشت وانبهشت : وفي أي منطقة تدور الحرب الآن بين الحمير في العصر الحميري .

قلت : تدور الحرب الآن في منطقة كانت منذ عشر سنوات هي اغنى مناطق العالم . وكان كل اصناف الحمير يقصدونها للعمل والرزق . ويقصدها ايضا الوف من صنف النمور والضباع والذئاب والبقر والجاموس ، للتجارة والزيارة والعمل . وكانت الحياة فيها سهلة والمشاكل قليلة والرزق وفيرا والسوق مفتوحة والاستهلاك على ودنه ، والسعادة والطمانينة ترفرف على الجميع كان ذلك منذ عشر سنوات بالتحديد ، ثم فجاة نشبت الحرب بين الحمير واستمرت ثماني سنوات ، وخلال سنوات الحرب الطويلة حارب الحمير بعضهم بالدبابة وبالمدفع وبالصواريخ وبالغازات السامة وبالحراب وبالسيوف وبالمطاوي ، وقتلوا على الجانبين أكثر من مليون ونصف مليون حمار في عمر الورد ، ومسحوا مدنا باكملها من على الخريطة وخسروا مائة مليار دولار كانت كفيلة بتحويل بلاد الحمير كلها إلى جنة ، وتحويل صنف الحمير إلى أسود .

قالت البنت وهي تكاد تبكي من الغيظ : وكيف انتهت الحرب ؟

قلت : انتهت بعد ان داخ الحمير على الجانبين ، وافلس الجانبان حتى لم يعد معهما ما يشتريان به الخبز ، فوقف القتال لانه لم يعد في مقدور المقاتلين ان يتحركوا .

قالت البنت تستفهم : وتفرغ الحمير بعد الحرب للتعمير والانشاء ؟

قلت : بل تفرغوا لشيء اخر اغرب من الخيال . ففي ايام الحرب . صرخ الحمير من صنفنا يطلبون النجدة من الحمير الاشقاء ، وزحف اكثر من مليون حمار تلبية لنداء الاستغاثة ، وحلوا محل الحمير العساكر في المصانع وفي الحقول وفي المتاجر . وعندما انتهت الحرب عند الحدود انتقلت إلى الداخل ، راحوا يقتلون الحمير الضيوف الذين هبوا لنجدة الحمير الاشقاء ، ضربوهم واستولوا على ممتلكاتهم ثم قتلوهم شر قتلة وحتى جثثهم اختفت عن الانظار .

قالت البنت وهي تصرخ كالمجنونة : ولكن ليه ؟

قلت : بلا سبب ، لانها عادة قديمة عند صنف الحمير كان من المفروض اختفاؤها منذ اربعة عشر قرنا . ففي الزمن القديم كان الحمير من فزارة اذا غضبوا من الحمير من بني تميم ، هاجموا مضاربهم ليلا ، وسبوا نساءهم وغلمانهم وقتلوا رجالهم ، واستولوا على ما لديهم من خيل وإبل وبغال وحمير .

قالت البنت مقاطعة : ولكنك تقول : ان هذا السلوك كان ينبغي ان يختفي منذ اربعة عشر قرنا .

قلت : بل إنه اختفى بالفعل فترة طويلة من الزمان عندما جاءنا رسول برسالة من السماء ، دعانا إلى ترك اخلاق الجاهلية والتمسك بأخلاق الاسلام ، ان نكون اخوة بدلا من ان نكون اعداء ، ان تكون سيوفنا ضد اعدائنا وليس ضد اشقائنا ، ان نمتنع عن سفك الدماء الا دفاعا عن النفس . بعد هذه البعثة السماوية إتحدت السيوف ضد العدو ، وتحولت القبائل إلى امة . ودعوا الاخرين إلى رسالة السماء . ونشروها بالفعل من اقصى الشرق إلى اقصى الغرب ، ومن اقصى الجنوب إلى اقصى الشمال ، واضافوا لتراث البشرية علوما جديدة ، وكشفوا عن عوالم كانت مجهولة ، وكانوا سادة الغابة عندما كانت الوحوش الكاسرة تسكن في الكهوف والمغارات . ولكنهم فجاة عادوا إلى طباعهم القديمة ، وتفرقوا بعد ان كانوا متحدين ، وتنازعوا بعد ان كانوا متفقين . وحتى المخترعات الحديثة حولوها إلى ادوات لأهدافهم الصغيرة .

قالت البنت : مثل ماذا ؟

قلت : الاذاعة مثلا . اختراعها كان بهدف اشاعة المعرفة وإذاعة

الأخبار ونشر الموسيقى والفنون على الملايين . ولكن الاذاعة في العصر الحميرى تستخدم للهجوم على حمير اخرين وبعض الحمير يدعون انهم تقدميون ، ويتهمون حميرا اخرين بانهم رجعيون . والحمير التقدميون يريدون نشر التقدمية في العصر الحميرى ، فإذا لم يكن بالكلام فـ .. بالسلاح .

وقالت البنت وهي تشد شعرها : وهل هناك تقدميون بالفعل في العصر الحميرى ؟

قلت مجرد كلام وهلفطة وضحك على الذقون . فالحمير التقدميون يحفظون بعض العبارات ، ويتكلمون ببعض الرطانات . ويرفعون شعارات ليس لها على ارض الواقع وجود . وهم في الحقيقة اكثر رجعية من الرجعيين . والحمار في ظل النظم التقدمية محروم من الكلام ومحروم من التفكير ومحروم من الاختيار ومحروم من السفر ومحروم من كل الحقوق التي من حق الحمار . الحق الوحيد الذى يمارسه هو التصفيق لقائد الحمير ، وتعليق صورته على الجدران . وابلاغ اجهزته بأى همسة او لمسة يرتكبها الخلان والجيران .

قالت البنت : ولماذا اطلقوا على انفسهم وصف التقدميين ؟

قلت : ربما لأن كل حمار في ظل التقدمية من واجبه ان يتقدم بتقرير إلى المباحث عما يدور حوله من أحوال وما يتردد حوله من اقوال !

قالت : اذن هو موظف في المباحث .

قلت : ابدا ، هو متطوع لعمل الخير ، وليس هناك افضل من الابلاغ عن المعارف والجيران .

قالت البنت : وتسمى هذا خيرا ؟

قلت : عيبك كما قلت لك الف مرة من قبل انك لن تعرفي العصر الحميرى مهما بذلت من محاولات . ان ما تتصورين انه شر بالنسبة لبلادك . هو خير بالنسبة لأهل العصر الحميرى . فالذين يبلغون عنهم ينتزعهم الزبانية على الفور من الدار للنار ، والسعيد منهم من يموت على الفور فيتخلص من عذاب كل يوم . ولذلك فالابلاغ عادة يكون عن الاصدقاء . وهى خدمة يقدمها الصديق لصديقه لكي يتخلص من الحياة !!

قالت البنت وهى تبكى : وهل الحياة سيئة إلى هذا الحد عند الحمير التقدميين .

قلت : اذا قلنا سيئة فنحن نكذب ، واذا قلنا شاقة فنحن لا نقول الحقيقة . فالسوء والمشقة مستوى من الحياة له شكل وله حدود . أما الحياة عند التقدميين الحمير فليس لها مثيل . ولا يوجد وصف يليق بها فى كل القواميس .

قالت البنت وقد بدأت تلطم كما النساء فى العصر الحميرى القديم : هل تشبه الحياة عند الحمير التقدميين ، الحياة عند شاوشيسكو مثلا ؟

قلت : فين الحياة عند شاوشيسكو والحياة عند الحمير التقدميين ؟ عند شاوشيسكو هناك حدود وهناك خطوط . هناك اعداء وهناك اصدقاء . هناك انصار وهناك مناهضون . ولكن الحمار فى ظل التقدميين العرب لا يعرف راسه من رجليه . اذا عارض فهو هالك ، واذا ايد فهو هالك ، واذا قنع بالصف الخلفى فهو هالك ، واذا تقدم إلى الصف الاول فهو هالك . اذا هتف بسقوط الزعيم فهو هالك ، واذا هتف بحياة الزعيم فهو هالك . هو هالك فى اى وضع وعلى كل حال . ولذلك ستجدين فى القسم التقدمى من العصر الحميرى ابتسامات على شفاة الحمير وفى القلوب غصة ، وستجدين العلاقات بين الجميع مقطوعة . والسهرات ممنوعة . ليس بامر من احد ولكنها ممنوعة بفعل النفس ، وحتى لا يقولك احد ما لم تقله ، ويستنطقك احد ما لم تنطق به . وبعض احزاب الحمير التقدمية قتلت من اعضائها اضعاف ما قتلت من اعدائها ، وبعض الحمير التقدميين نبشوا القبور ومارسوا التعذيب على جثث المعارضين ، ثم القوا بها بعد التعذيب فى البحر ، بدعوى ان جثث (الخونة) لا تستحق الدفن فى تراب الوطن .

قالت البنت وقد بدأت تأكل فى هدومها كالمجنونة . وماذا فعل هؤلاء الخونة ؟ هل ارشدوا الاعداء عن ابواب المدينة السرية ؟ هل قادوهم داخل المدينة ؟

قلت : بل فعلوا ما هو اخطر من ذلك ؟

قالت : وهل هناك ما هو اخطر من ذلك ؟

قلت : نعم .. فى العصر الحميرى هناك ما هو اخطر من ذلك . لقد عارضوا افكار الزعيم ، وبعضهم سخر من الكتاب الذى قام بتاليفه .

قالت البنت : وهل الزعيم مؤلف ايضا .

قلت : فى العصر الحميرى اياه ، عندما تصبح زعيما فكل شيء ممكن وكل شيء يجوز .

قالت البنت : ليس هذا سؤالى ، ولكنى اسأل ، هل كان الزعيم يعمل بالتاليف قبل الزعامة ؟

قلت : لا . هذه حالة طارئة جاءت بعد الزعامة .

قالت : التاليف ليس حالة ولكنه صناعة لها صناع وخبراء يعرفون اسرارها ككل صناعة فى العالم . فكيف اصبح الزعيم مؤلفا بعد الزعامة .

قلت : فى الحقيقة يا خواجاية ، فى العصر الحميرى . عندما يصبح الاخ القائد او الاخ العظيم او الاخ الكبير او الاخ الرئيس زعيما يصبح هو الاول فى كل شيء . هو المهندس الاول ، وهو المعلم الاول ، وهو الفلاح الاول ، وهو المفكر الاول ، وهو العسكرى الاول ، وهو المؤلف الاول ، وكتابه سيكون اوسع الكتب توزيعا . ليس فى العالم الحميرى فقط ولكن فى العالم كله . وسيترجم إلى كل لغات العالم حتى لغة هندوراس ولغة كوستاريكا . ونهار « ابوه » ازرق كل مواطن لا يقرا الكتاب ويحفظه ، وسيرزق من وراء هذا الكتاب ويحفظه عشرات (المؤلفين) الارزقية الذين سيدبجون الصفحات عن اثر كتاب الزعيم فى ثورات جنوب افريقيا ، وعن صدى الكتاب فى حركات التحرير بامريكا الجنوبية .

قالت البنت وهى تشهق : معنى ذلك ان سكان هذه البلاد قرأوا الكتاب وحفظوه !

قلت : بل إنهم لم يسمعوا حتى باسمه . صحيح ان ملايين النسخ وصلت إلى هناك ، ولكنها بقيت فى الحفظ والصون داخل سفارة الزعيم . وهذه السفارات نفسها هى التى ستكتب التقارير للزعيم بأن نسخ الكتاب نفدت كلها والناس تقف فى طوابير ولا طوابير الجمعية الاستهلاكية تنتظر الطبعات الجديدة لكى تقرأ ثم تثور ثورة على نهج ثورة الزعيم .

قالت البنت الأروبة : ولكن أليس هناك احتمال ولو ضئيلا ان يصل إلى هذه السفارات مفتشون فيجدوا نسخ الكتاب مكدسة داخل الحجرات ؟

قلت : انهم لن يجدوا نسخة واحدة على الاطلاق . لأن السفارات المدربة بعد ان يرسلوا التقارير للزعيم ، يسارعون إلى بيع النسخ بالأقة ، وهكذا يكسبون مرتين على قفا الكتاب ، مرة يكسبون رضاء الزعيم التقدمي وعطاياه ، ومرة يكسبون ثمن بيع الكتاب بالأقة ، ويكسبون فوق ذلك تأييد باعة اللب والفول السوداني في انحاء العالم !

ولدينا زعماء تقدميون اخرون ليس لهم كتب ولكن لهم احزاب . واذا سألت عن اهداف الحزب سيقولون لك ، الوحدة النضالية الاجتهادية الفورية وغير الفورية ، من أجل الصعود والنهوض والطرود ايضا . وسيطلبون منك شد الحزام على البطن بينما قادة الحزب التقدمي الوحدوى الاشتراكي ياكلون الكافيار في الصباح ، والديوك الرومي في الغداء والبط البكيني في المساء .

قالت البنت وكأنها اكتشفت سرا : عرفت الآن لماذا تدعو هذه الاحزاب إلى الاشتراكية .

قلت أسألها : ليه ؟

قالت : لأن زعماء الحزب يتناولون اطعمة اشتراكية . فالكافيار ـ كما تعلم ـ من الاتحاد السوفيتي .. والبط البكيني من الصين الشعبية !!

قلت للبنت والغيظ يمزق كبدى : لن تفهمي العصر الحميرى ولو انفقت العمر في دراسته .

قالت البنت : ليه ؟

قلت : لأن هذه الاحزاب ليست اشتراكية ، ولكنها مشتراكية ، وهي مشتراكية لأن كل اعضائها مشتركون في دفتر التليفون ، ومشتركون في النوادى الرياضية ، ومع كل منهم اشتراك في وسائل المواصلات ! وهذه الاحزاب في الحقيقة احزاب مشتراكية . ولكنهم يسمونها اشتراكية من باب الدلع والهزار .

قالت البنت وهي تصرخ : خيبة الله عليكم حمير بحق وحقيق .

اشتراكيتكم أذن ليست كما نعرفها (من كل مواطن حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته :

قلت : اشتراكيتنا عكس ذلك على طول الخط . فهي (لكل حسب قدرته ، ومن كل حسب نفوذه والظهر الذى يسنده) وفي العصر الحميرى مثل يقول (يابخت من كان النقيب خاله) فما بالك بمن كان الزعيم خاله أو عمه أو صهره أو من ريحة الريحة ، تصورى ياخواجاية هناك ابناء عم انفقوا مليارات على القعدة والمزاج ، وابناء عم انفقوا مليارات للحصول على معلومات .

قالت البنت : أما الذين انفقوا الفلوس للحصول على المعلومات ، فهؤلاء لا يمكن ان يكونوا من العصر الحميرى . لأن الحصول على المعلومات هي آخر صيحة في هذا العصر . وبدون المعلومات لا يمكن لدولة ان تنهض او تنمو وتستمر . فالمعلومات هي الاساس في السلم وفي الحرب ، والدولة التي تملك معلومات اكثر هي التي لديها فرصة أكبر للنجاة .

قلت وانا اكاد اخبط راسي في الحائط : مستحيل ان تصبحي حمارة في أى يوم من الايام . فالمعلومات التي لديكم ليست هي المعلومات التي لدينا.

قالت البنت الفرنساوية : المعلومات هي المعلومات في أى مكان وزمان .

قلت : ولكن العصر الحميرى ليس في المكان او الزمان . انه يعيش في الهيلولة المطلقة ، ويسبح في اللا نهائي المتفشنخ . واين العم التقدمي المشتراكي ، بعد ان انفق المليارات ، وطاف بالمعمورة وبالمخروبة ايضا ، وتذوق كل انواع البيض الامارة والسمر السمارة ، وبعد ان غنى سواح وماشي في البلاد سواح ، والخطوة بيني وبين حبيبي براح . وبعد كل الذى حصل والذى وصل عاد بمعلومات من النوع الحميرى الممتاز . على رأس المعلومات ان عدد المؤمنين بافكار الزعيم التي وردت في كتابه بلغ ٥ مليارات و٦٠٠ مليون و١٤٢ الف نسمة .

قالت البنت وهي تكركر : وكيف احصاهم هذا المضروب ؟

قلت : جاء في تقرير الحمار اياه ، ان الحصر تم على طريقة حصر

المساجين فى السجون ، وانه اضطر من أجل ذلك إلى الطواف فى الكرة الارضية من حارة إلى شارع ، ومن شارع إلى زقاق ، ومن زقاق إلى ميدان ، ومن ميدان إلى قرية ، ومن قرية إلى كفر ، ومن كفر إلى نجع ، ومن نجع إلى مضارب ، ومن مضارب إلى واحة ، ومن واحة إلى غابة ، ومن غابة إلى نزلة ، ومن نزلة إلى دحديرة ، ومن دحديرة إلى لاشىء ! واضطر من اجل ذلك إلى استخدام كل انواع المواصلات . طيارات وصواريخ ودبابات وسيارات وموتوسيكلات وجمال وحمير واتوبيسات وافيال . ولذلك طلب بدل سفر وبدل مواصلات مائة مليون دولار ، وحصل عليها .. كل دولار ينطح دولار .

قالت البنت وهى تشد شعر راسها : وهل هذه كل المعلومات التى حصل عليها ؟

قلت : لا .. بالطبع ولكنه حصل على معلومات اخرى بالتأكيد .

قالت : مثل ماذا ؟

قلت : جاء فى تقريره ، انه بعد ان لف الكون ، وعرف احوال قبائل الزولو وقبائل الهون ، اكتشف ـ بفضل الله ـ ان الارض كروية ! وان الدنيا مقسمة قسمين ، وعندما تكون الشمس ساطعة على قسم ، يكون الظلام مخيما على القسم الاخر ، واكد ايضا انه اكتشف بعد بذل الجهود وانفاق النقود ان الدنيا حظوظ ومزاجات ، وان الشمس تطلع كل يوم وتغيب !

قالت البنت الفرنساوية : يا له من عبقرى ، اكتشف ما لم يكتشفه احد من قبل ، ولم يقدر على اكتشافه اى جهاز من جهاز المخابرات فى الشرق او فى الغرب . وهو عندما اكتشف ان الشمس تطلع كل يوم ، وضع اصبعه على حقيقة كانت غائبة عنا ، ثم احدث انفجارا خطيرا عندما ختم اكتشافه بان ذلك ينتهى دائما بالمغيب . فهى تطلع صحيح ولكنها تغيب ، ولكنها لا تغيب الا لكى تطلع ، ولا تطلع الا لكى تغيب . ان هذا العبقرى هو وجودى فى الحقيقة ، لانه اكتشف نظرية جديدة هى .. انا اطلع اذن انا اغيب !!

قلت : وتسمين هذه نظرية !

قالت : نظرية ونص . وهو ليس فيلسوفا فقط . ولكنه ثورى ومناضل وعظيم . انه اراد ان يؤكد لزعيمه ان كل شىء يقوم ليسقط ،

ويعيش ليموت ، وينشا ليزول . فالشمس تطلع كل يوم .. وتغيب ، ولكنها بعد ان تغيب تعود ، وبعد العودة تغيب ، فهى تغيب لتعود ، وتعود لتغيب ، وهكذا دواليك .

قلت : ياخواجاية ، قد يكون وراء هذا الكلام فلسفة ، وقد يكون فى باطنه علم يخفى على الكثيرين ولكن هذا الاكتشاف الرهيب ليس بفضل الاخ الحمار اياه ولكنه اكتشاف قديم مضى عليه اكثر من ربع قرن من الزمان ، واول من اكتشفه للحقيقة والتاريخ .. هى خضرة الشريفة تلميذة زكريا الحجاوى ، فهى اول من لعلع صوتها باغنيتها الشهيرة (والشمس تسطع كل يوم وتغيب ، والبطن تحمل كل علم وتجيب .. صعبان على)

هتفت البنت الفرنساوية . ياسلام ـ هذا معنى اعمق وعبارة ارشق . من هى خضرة الشريفة واستاذها زكريا الحجاوى ؟ واين اراضيهما الآن ؟

قلت للبنت الفرنساوية وقد هدنى وغصنى السغب : .. هذه قصة اخرى ، فإلى الغد يافرنساوية واسال الله ان يهدك ويقطم وسطك .. امين يارب العالمين ..

١٩٩٠/٩/١

• • •

DVD4ARAB

٣٠٠ مليون زلمة !

قالت البنت الفرنساوية وقد استيقظت من النجمة : إحك لى ايها الحمار الصغير عن خضرة الشريفة وزكريا الحجاوى ، هل هما من الانتيكة فى بلادكم ؟ هل هما نوع من الاطلال والاثار ؟

قلت : يا خواجاية عمك زكريا الحجاوى كان على هيئة بشر ، ولكنه فى الحقيقة كان مصنعا لانتاج الصياعة . كان يحب الأرض ، لأنه عليها ولد ، وعليها مات ، وعليها يبعث ان شاء الله يوم القيامة ، وكان يحب البشر ، كل البشر ، باعتبارهم اخوة اشقاء من صلب ادم ، وبصرف النظر عن اللغة والدين واللون ، وكان يحب الشجر ويحب الحجر ، ويبلبط فى الطين ، ويتمرغ فى التراب ، ويستنشق فى سرور عرق الناس وروث انعم .

DVD4ARAB

كان يحب الطبيعة . اما خضرة الشريفة ، فهى فنانة مسرحها الحوارى والشوارع ، وهى تغنى كلاما يحتقره المثقفون ايامهم ، باعتباره من كلام السوقة والدهماء والعامة . وهى لاتفهم ما تقوله ، ولكنها بالرغم من ذلك تقول بإحساس ، شعور غريزى لديها ، لأنها تغنى مأساة الناس ومأساتها ، وتلطم على الخدين فى ماتم الانسانية وماتمها .

قالت البنت الفرنساوية : وهل لايزال عمك زكريا وخالتك خضرة يعيشان فى العصر الحميرى ؟

قلت : عمك زكريا مات يرحمه الله ، وخالتك خضرة لاتزال تسرح فى الموالد والاسواق ، ولكن يمكنك اعتبار هذا الصنف من البشر انتيكة فى العصر الحميرى فالعصر تغير والحمير ايضا . فى زمن عمك زكريا الحجاوى ، كان صنف الحمير طيبين ، كان كل حمار يرضى بما قسم له الله ، عود برسيم وحفنة شعير ، وكان كل حمار يراعى خاطر جيرانه الحمير ، اذا مات حمار فى الشارع ، ارتدى كل الحمير السواد واعلن كل الحمير الحداد ، واذا تزوج حمار فى قرية ، رقص كل الحمير وسهروا وغنوا واكلوا وحمدوا الله على ذلك . الآن تغير العصر ياخواجاية وتغير الحمير ايضا ، وستجدين فى انحاء العصر الحميرى حمارا ميتا فى شقة وحمارا اخر يتزوج فى الشقة المقابلة ، اختلطت احزان الحمير بافراحها ، وضاعت المعالم ، وزالت الحدود . وفى العصر الحميرى اجزاء تشبع حتى البطر ، واجزاء تجوع حتى الكفر . وستعثرين على حمار يقتل حمارا اخر من اجل كبشة دولارات ! وهناك حمار ينفق الملايين فى ليلة على موائد القمار ، وحمار يبحث عن عشائه فى الزبالة ، حمار ينام فى قصر ولا قصر التيه ، ومائة حمار مكدسة فى حجرة تحت السلم . انتهى العصر الحميرى الطيب ، وبزغت شمس العصر الحميرى القبيح ، واصبحت الحياة مصالح ومطامع ، وصار الحمار الابن يقتل الحمار الأب للاستيلاء على الشقة . والحمار الحفيد يمزق جسم الحمارة الجدة للحصول على غويشة ذهب تحتفظ بها من ايام المجد القديم ، الدولار هو سيد الموقف الآن . والحمير تبيع كل شىء من اجله .

قالت البنت الخواجاية ، ولكنك لم تقل جديدا ، فنحن ايضا

فى اوروبا نعيش فى نفس الحالة ونعانى منها .

قلت : عيبك ياخواجاية انك دائما تخلطين بين العصر الحميرى واوروبا .

قالت : وما الفرق ؟

قلت : فى اوروبا بشر . ولدينا حمير . وانتم تعيشون فى العصر النووى ونحن نعيش فى العصر الحميرى ، ومثل هذه العلاقات اذا ساءت عندكم ، فلها ما يبررها . اما عندنا ، فليس لها مبرر على الاطلاق . وبعض فلاسفة اوروبا قالوا ان السلوك هو نتيجة علاقات الانتاج فى المجتمع ، ونحن فى العصر الحميرى لانزال نعيش فى العصر الزراعى ، ونحن نزرع الجعضيض والسريس والبرسيم والكنتالوب ايضا . وصناعتنا هى علب كبريت ومشط وحصير ملون وقلل قناوى . لم تتغير وسائل الانتاج . ولكن تغيرت علاقات الحمير بعضها ببعض .

قالت البنت الخواجاية : افهم من ذلك انكم تاخرتم فى وسائل الانتاج ، تقدمتم فى سوء العلاقات .

قلت : بالضبط .

قالت البنت الفرنساوية : ولكن هذه معجزة .

قلت : اما عن المعجزات فى العصر الحميرى فحدثى ولا حرج . حياتنا نفسها معجزة ، واستمرارنا فى الحياة معجزة ، وسلوكنا وتصرفاتنا كلها معجزات فى معجزات . تصورى ياخواجاية ان لدينا حزبا سياسيا اسمه حزب البعث الحميرى وهو قام على اساس بعث امة الخير لتعود كما كانت امة من البغال ، قوية الاحتمال شديدة الصبر . واستطاع الحزب ان يسطو على الحكم فى بلدين من بلاد الحمير ولكنه فى التجربة اثبت انه ليس حزبا للبعث ولكنه حزب للباس . فالمسائل عنده بالعافية ، تخلص من حلفائه بالعافية ، ثم تخلص من انصاره بالعافية ، وتفنن فى اختيار انواع من العافية لم تخطر لاحد من قبل على بال ، اصناف والوان من العذاب تجعل من المرحوم هتلر مجرد هاو مثل اسامة عرابى وتجعل من حزب البعث مارادونا التعذيب . تصورى ياخواجاية اذا وقع حمار فى ايديهم نشروا عظامه بالمنشار . واذا اعتدى احدهم على الحزب بالقول

او الاشارة . فهو مقتول لا محالة . وقد تقولين . وما له واحد اخطا وقتلوه . وانا ايضا موافق وليس لدى اعتراض . فكل مخطيء عليه ان يتحمل حتى ولو كان العقاب لا يتناسب مع الجريمة . ولكن ما رايك ياخواجاية ان المخطيء لا يموت وحده . ولكنهم يقتلون معه الابن الرضيع والزوجة المريضة والجد الكسيح . وتدفع العائلة كلها ثمن خطا ارتكبه فرد منهم . حتى البيت يصبح اثرا بعد عين ، حتى قبورهم مجهولة ومن يستدل عليها يلقى حتفه على الفور ، واثبتت التجربة ايضا ان حزب البعث تحول فى الحكم الى حزب البحث . فكل مواطن مخبر وكل عضو فى الحزب شريط تسجيل ، وكما تحول الحزب الى حزب للبأس وحزب للبحث تحول ايضا الى حزب للبخس . تصورى ياخواجاية ان عضو الحزب يرتقى فيصبح وزيرا او وكيلا او مديرا . ولكن فجأة بقدرة قادر يتحول الى غفير مراحيض ، والى كناس شوارع ، والى مفتش مراجيح .

قالت البنت الفرنساوية وقد ارعشت حاجبيها : ولماذا كل هذه الحكاوى ايها الحمار الصغير عن هذا الذى اسمه حزب البعث ، الذى انقلب الى حزب للبأس ، ثم تغير الى حزب للبحث ، ثم صار حزبا للبخس ؟ ما علاقة هذا كله بالعصر الحميرى الذى كنا نتحدث فيه ؟

قلت : عيبك ياخواجاية انك طالبة علم ومتعجلة ، لأن طلب العلم يحتاج الى صبر ولا صبر ايوب ، ويحتاج الى جلد ولا جلد نلسون مانديلا .

قالت البنت الخواجاية وقد صاحت وناحت : الصبر فى الشدائد ميزة ولكن فى الكلام الفارغ مسخرة .

قلت : حتى فى الكلام الفارغ الصبر مطلوب وصاحبه مثاب ، الم تسمعى عن شفيق جلال ؟ انه مطرب فى عصرنا وهو لا يصبر فقط ولكنه يطلب من الصبر ان يصبر ويعلم الصبر ان يصبر .

قالت البنت الخواجاية : طيب صبرنا . فماذا بعد ؟

قلت : حديثى عن حزب البعث سببه ان حزب البعث الحميرى هو علامة على عصرنا ، وهو قام فى البداية لتوحيد الحمير فمزقهم . وقام لبعثهم بغالا اشداء صابرين ، فتحولوا على يديه الى حمير

مجروحة ومبطوحة ، سارحين فى البرارى كل حمار وحده ، وكل حمار يغنى على بلواه . وهو فى النهاية ارتكب جريمة العصر . فاجتاح شوية حمير غلابة وشردهم واعتدى عليهم . ولم تكن هذه هى جريمته الوحيدة . ولكن جريمته الكبرى ان هذا الحادث كشف القناع عن وجوه الحمير كلها فبانت على حقيقتها . الحمار التونسى وقف من المأساة عين فى المخلاة وعين فى الغدير . والحمار السودانى توصل الى مبادرة تتيح قبض المعلوم وتناول المقسوم ، والحمار الفلسطينى ضاع فى الكازوزة ، وصار كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ، والحمار المصرى سلبوه تحويشة العمر وشلحو متاعه عند الحدود ، وضربوه على قفاه عند الجوازات ، ويواجه الحمير اليوم موقفا صعبا لم يواجهوا مثله من قبل ، والسبب فى المأساة هو حزب البعث الحميرى ، الذى تحول الى حزب للبأس وانقلب الى حزب للبحث ثم صار حزبا للبخس .

قالت البنت الفرنساوية : حتى على فرض ان ما تقوله هو الصح ، فما علاقة هذا كله برحلتنا فى ربوع العصر الحميرى نشاهد ونتفرج ، ونلاحظ ونستفيد ، ونخرج فى النهاية ببحث تاريخى مفيد عن العصر الحميرى وما جرى له وما جرى عليه .

قلت : ولكن كيف الذهاب الان وقد تقطعت السكك وتمزقت السبل ، واصبح التجوال فى بلاد الحمير كالمشى على حبل مشدود ، فالدبابات تسد الافق وطائرات الشبح تحجب الشمس وصواريخ عين القط مشرعة كاسياف تنادى على عاصى الهوى الله اكبر ! وحاملات الطائرات تملأ البحر ومدافعها مسلطة ومسددة على كل انوع الحمير .

قالت البنت الفرنساوية وهى تضرب صدرها بيدها : تصبح كارثة لو قامت الحرب وتم ابادة جميع اصناف الحمير . وتصبح مصيبة لو انتهى العصر الحميرى قبل ان نبحثه وندرسه .

قلت للخواجاية : لا تخافى ولا تحزنى . عمر الحمير طويل وسرهم باتع . وقد تحدث معجزة فى اخر لحظة فتعود الامور الى ما كانت عليه . أخر الاجة واخر هنجفة .

قالت : كيف ؟

DVD4ARAB

قلت : ربما يسقط حزب البعث فيرتاح منه الحمير البعثيون أولا : وهؤلاء في الحقيقة مثل راكب الاسد ، يخيف به الناس وهو اكثر الناس خوفا . واذا كان حزب البعث قد قتل من الاعداء الفا ، فقد قتل من الانصار مليونا .

قالت : واذا لم يسقط حزب البعث ؟

قلت : في هذه الحالة سيسقط صنف الحمير جميعا ، فلن نعثر في العصر الحميرى الا على فلول . وفي هذه الحالة لن يكون عمك زكريا الحجاوى وحده في المتحف . ولكن سيكون معه كثيرون ، وسيلحق صنف الحمير بصنف الهنود الحمر ، وسنحتاج عندئذ لخالتك خضرة الشريفة لكى نسرح بها في ارجاء الكون لتندب العصر الحميرى الذى مضى وانقضى ، وسنحتاج عندئذ الى مؤلف عبقرى لكى يضع كلمات موال يليق بالمناسبة

قالت البنت الفرنساوية وقد سرحت وهامت : الا يوجد في العصر الحميرى مؤلفون من هذا المستوى ؟

قلت : الآن اشك بعد ان مات مرسى جميل عزيز ومات عبدالفتاح مصطفى ومات فتحى قورة وسكت عمنا مأمون الشناوى ، اشك الان في وجود مؤلف في العصر الحميرى يستطيع ان يكتب مثل هذا الموال ، والحق اقول ياخواجاية انه كان لدينا في الماضى كثيرون من هذا النوع ، احدهم تنبأ بالطوفان الذى حدث اخيرا ، وقضى عمره كله يوصى الحمير ويعظهم ويرشدهم ويعلمهم ، ولكن لاحياة لمن تنادى ، وبالعكس ، وانقلب الحمير ضده وسجنوه وطاردوه وطردوه وقطعوا عيشه واذلوه وجردوه حتى من جنسية الحمير ، وبالرغم من ذلك ظل مقيما على حبه لهم ، وظل يرشدهم ويعظهم ويتمنى ان يراهم بغالا او احصنة حتى آخر يوم من حياته

قالت البنت الفرنساوية : وهل تنبأ فعلا بما حدث لهم اليوم .

قلت : تقريبا .

قالت : وماذا قال :

قلت : قال :

يا شرق فيك جو منور
والعقل ضلام

وفيك حرارة ياخسارة
وبرود أجسام
وتلتميت مليون زلمة
لكن أغنام
لا بالمسيح عرفوا مقامهم
ولا بالاسلام
وفيك بهايم تتكلم
وتقول يا سلام

شقهت البنت الفرنساوية وقالت : يا سلام ! هذا شاعر حميرى من الطراز الاول ووصفك لما يجرى على ارض الحمير الان يجعلنى اتمسك بالسفر الى هناك قبل ان تقوم القيامة . لابد ان تبحث لنا عن طريقة الان لكى نذهب الى العصر الحميرى ونتجول فيه ، لان الفرصة اذا فاتت ، فلن يكون هناك اى معنى لحياتى وسأنتحر على الفور ، خذنى الى العصر الحميرى ارجوك ، اتوسل اليك قبل ان يندثر ويصبح تاريخا ، وحتى اكون شاهدة عليه وعلى العصر

قلت : أهمدى الان ونامى وغدا نبحث عن وسيلة ، فغدا يوم آخر .

١ / ١٠ / ١٩٩٠

• • •

DVD4ARAB

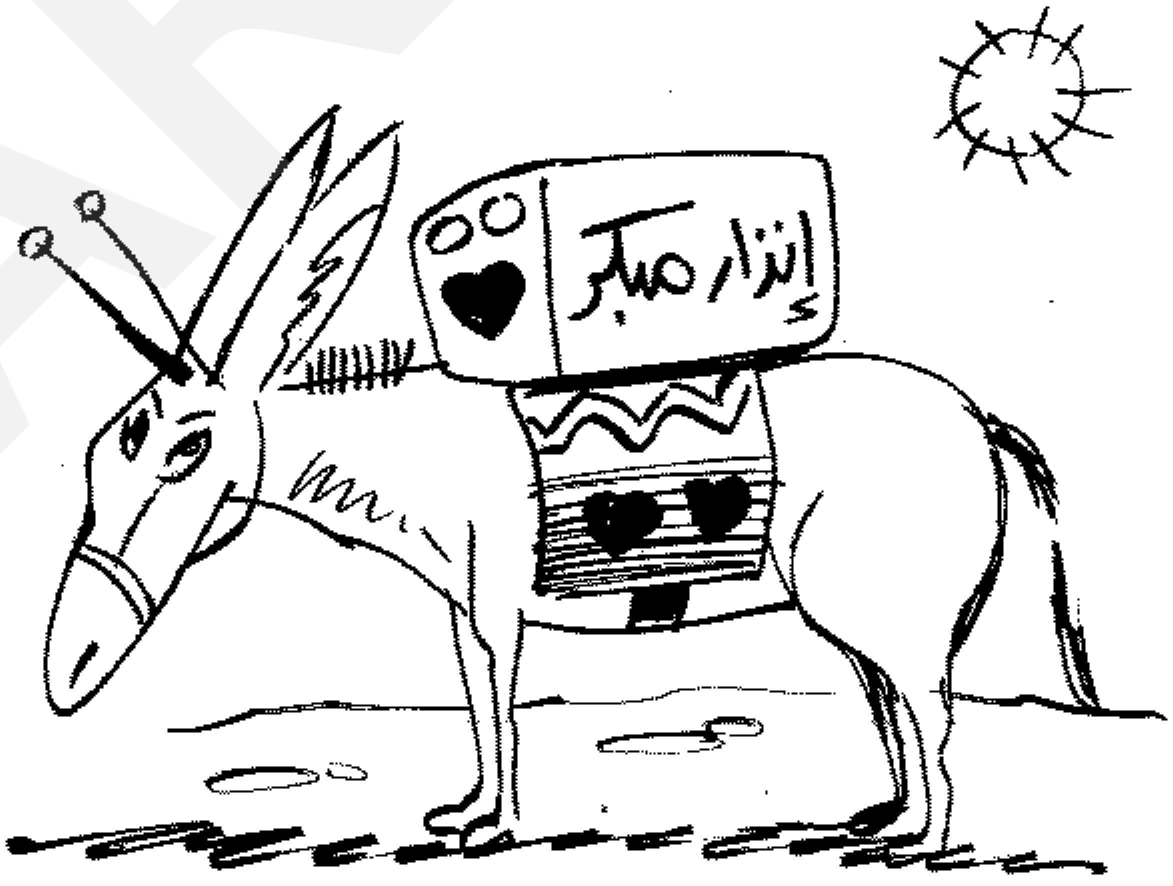

المجنـــون .. وليـــلاه ..

استيقظت البنت الفرنساوية من النجمة، وهزتنى ولكزتنى، ثم سحبتنى من الفراش. وقالت: انهض عليك اللعنة، لابد من اللحاق بالعصر الحميرى قبل ان يلحقه الفناء، فلو انه قضى عليه، فسأقتل نفسى على الفور، وستكون انت المسئول عن كل الاضرار التى ستصيب بنتا مثلى، طموحة وجذابة، وفى انتظار ابن الحلال.

قلت للبنت الفرنساوية وانا اتساءل: ومن قال لك أن العصر الحميرى سينتهى.

قالت: انت .. ألم تقل لى ان الحرب ستقوم واذا قامت الحرب، فستقضى على صنف الحمير، ولن يكون لهم اثر على ظهر الأرض.

قلت: على كل حال الحرب لم تنشب بعد، وحتى اذا نشبت الحرب فلن تقضى على صنف الحمير. فالحمير كثير وانتاجهم وفير، وهم لا يتوالدون، ولكنهم ينقسمون ولذلك هدئى من روعك وحطى فى بطنك بطيخة صيفى، وكونى على ثقة من اننا سنحصل على حمير فى كل زمان، فنحن رغم ضعفنا وخيبتنا وهواننا على الناس، الا اننا انتاج متميز، فنحن من تقاوى فريدة ليس لها نظير.

قالت : افهم من ذلك انك لا تريد ان تاخذنى الى العصر الحميرى

قلت : بالعكس . بل انا شديد الرغبة فى الذهاب بك الى هناك ولكن فى عصرنا الحميرى كل شىء باوان ، وكل امر مرهون بزمن ، وما هو مكتوب على الجبين لازم تراه العين ، وتجرى جرى الوحوش وغير رزقك ما تحوش ، وما دام مكتوبا على جبينك انك ستشاهدين العصر الحميرى ، وتقضين فترة مع صنف الحمير ، فانت باذن واحد احد ومن غير مقاطعة ، سيكون لك حظ مشاهدة العصر الحميرى .

قالت : ولكن هذه اتكالية وانهزامية وتراخ من جانبكم واعتماد على المجهول .

قلت : ميزتنا فى العصر الحميرى اننا نعتمد على المجهول وعلى المعلوم ايضا ، وستجدين فى العصر الحميرى علماء ذرة ، وستجدين فى الوقت نفسه مجاذيب يتصلون بالجان ويعرفون الأخبار من خلال اتصالهم بالعفاريت .

قالت : إذن ليس لديكم ادباء ولا حركة تنوير ولا شعراء يستلهمون الوحي من الطبيعة . ولا فلاسفة يقلبون الامر على كل الوجوه ، ثم يخرجون فى النهاية بسؤال .

قلت : بل لدينا حركة تنوير سبقت حركة التنوير فى اوروبا . فى يوم كان عندنا الفراهيدى وابن الهيثم وابن بطوطه وابن خلدون ، وكان لدينا المتنبي وابو العلاء المعرى ، وكان لدينا الحلاج وبشار بن برد الذى ضربوه بالسياط حتى مات ، ثم القوا بجثته فى نهر دجلة . وكان لدينا المتمرد ابو نواس ، الذى خاف من بطش مباحث الخليفة فادعى العربدة والجنون ، مع انه كان ثائرا قبل ان يعرف الناس الثورة . وكان لدينا ائمة حاربوا الظلم ووقفوا ضد بطش السلطان . الامام الشافعي الذى مد رجله فى مواجهة الوالى ، لأنه لا يمد يده . والامام ابو حنيفة ، الذى يتنازل عن حريته حتى لا يتنازل عن عقيدته . وبعد عصر التنوير دخل الحمير فى نفق مظلم ، ثم جاء عليهم عصر اخر اشرقت فيه شمس المعرفة . وجاء رفاعة رافع الطهطاوى والجبرتى والشيخ العطار وشهبندر التجار المحروقى وشيخ الثوار البصير سليمان الجوسقى وأحمد القرداتى ،

الذى كان يسرح بقرد فى حوارى القاهرة ، والذى كان همزة الوصل بين ثوارها ضد جيش نابليون ، ثم جاء على مبارك والشيخ البشرى ومحمد بك البابلى ، والشاعر شوقى والشاعر حافظ والعمم لطفى المنفلوطى ، وعلى محمود طه الفنان ، والدكاترة زكى مبارك ، صديق ليلى المريضة بالعراق ، والضاحك الساخر ابراهيم عبدالقادر المازنى ، وصاحب العين المقفولة والعقل المفتوح الدكتور طه حسين ، وابو الادب توفيق الحكيم ، وصاحب نوبل عمنا الكبير نجيب محفوظ .

قالت البنت الفرنساوية مندهشة ومنتفشة : تقول لديكم فى العصر الحميرى اديب حصل على جائزة نوبل .

قلت : نعم وحصل عليها بجدارة واقتدار . وهو فى فقه الرواية ـ وباعتراف الكل ـ اعظم من شتاينبك ، وفى المنولوج الداخلى اقدر من جيمس جويس ، وفى السرد احرف من تنسى وليامز . وهو بالنسبة لالبرتو مورافيا خطوة الى الامام .

قالت البنت الفرنساوية : وكيف استطاع كاتب من العصر الحميرى ان يصل الى هذا المقام ؟

قلت : هذا سرنا فى العصر الحميرى ومأساتنا ايضا . لقد كان لدينا منذ وقت قريب ناقد لو ظهر فى أمريكا أو فرنسا ، لاقيمت له فى الشوارع تماثيل ، ولكنه عاش عندنا ومات مطاردا ومذعورا ، الا فى فترات قليلة فى حياته . ومر فى حياتنا مرور السياح ، ولم يستطع رغم عبقريته وذكائه معرفة ما يدور بالضبط فى الشارع الذى يقع خلف منزله . ومات لويس عوض مجهولا من اغلب الناس ، بينما المجد والفلوس والشهرة كانت من نصيب سليم عبدالجبار .

قالت البنت الفرنساوية : ومن هو سليم عبدالجبار ؟

قلت : انه عضو فى شىء اسمه اتحاد الكتاب وهو اتحاد يضم عددا من الكتاب اضعاف عدد العائدين من العراق والكويت . وبعضهم ينشر اسمه ويكتب تحت اسمه (عضو اتحاد الكتاب) وبعضهم يضيف اليها عنوان سكنه ، واحيانا رقم تليفونه ، واحيانا استعداده لتوصيل القصص والمقالات للمنازل بالمجان ، وستجدين فى كل تاريخنا مفارقات غريبة ، الفلوس ستكون من نصيب هؤلاء ،

والفقر من نصيب الموهوبين ، وسيتصدر هؤلاء المراكز والمناصب ، وسيحرم اصحاب الفنون واصحاب العقول ، وسيكسب على برعي عشرة اضعاف ما ربحه نعمان عاشور ، وسيعيش على عويس افضل مائة مرة من يوسف ادريس وسيسقط كاتب مثل فيليب جلاب من الاجهاد لكي يدفع اجرة المسكن وثمن الطعام والهندام ، وسيشيخ لطفي الخولى قبل الاوان ، وسيسكت عمنا احمد بهاء الدين عن الكلام ، بينما سيظهر بالتليفزيون كل مساء من لا يجيد القراءة ولا الكتابة ولا يعرف الفرق بين الالف وعمود النور ، ولن يقع بصرك على صلاح حافظ في أى مكان ، بينما ستقابلين على كل مادبة أو في كل حفلة اصحاب الاصوات الغليظة والاقلام الغبية ، ادعياء الثقافة ، محترفي القشور خريجي مدرسة روايات الجيب ومجلة المختار .

لقد كان لدينا يا خواجاية في يوم من الايام عبقرى لم تلد النساء مثله عبقرى يدعي سيد درويش بدأ حياته عامل بناء ، ثم إحترف قراءة القرآن ، واشتغل بالتلحين والغناء ، ولم يكن للحمير ثروة موسيقية من قبله ، وكل ثروتهم الموسيقية التي حصلوا عليها من بعده ، حصلوا عليها من فضله ، ومع ذلك تركوه يموت في شرخ الشباب ، بينما استطاع نصاب موسيقى اسمه الدكتور جوزيف فوقي ان يحصل من الاذاعة على نصف مليون ثمنا لموسيقاه . مع ان الكل كان يعلم انه كان يؤلف الموسيقى على سلالم الاذاعة ، وكان يقوم بتسميعها للمؤدين داخل استوديو التسجيل وهو ينقر باصابعه على ترابيزة المذيع .

وكان لدينا هرمان احدهما يدعى ام كلثوم والاخر يدعى عبدالوهاب ، الاولى كانت مطربة ، لم تخلق السماء حنجرة في جمال حنجرتها ، ولم تفتل الاقدار حبالا صوتية من نوع حبالها . أما عبدالوهاب فقد تربع على العرش اغلب فترات القرن العشرين ، ومع ذلك عندما ماتت كوكب الشرق قدرت ثروتها باربعة ملايين جنيه حميرى ، وكل خمسة جنيهات من النوع الحميرى تساوى جنيها من النوع الاسترلينى ، كما أن ثروة عبدالوهاب لا تتعدى هذه الحدود .

في المقابل كان هناك فنان خارج العصر الحميرى يدعى الفيس بريسلى ، مات في الاربعين من عمره ، وخلف وراءه ثروة تقدر بثلاثة عشر الف مليون دولار ، مع إن ثروة العصر الحميرى تفوق كل الثروات .

وفي العصر الحميرى كان لدينا قارىء صوته نغمة من نغمات السماء ، عاش ومات في حي البغالة ، كان يحضر ماتم الفقراء قبل الاثرياء ، وعندما مات الشيخ محمد رفعت لم يكن في بيته الا حفنة من الجنيهات ، بينما يوجد الآن قارىء اسمه البشير عنتر لا يعرف اصول القراءة ولا يجيد فن التلاوة ، ومع ذلك فهو لا يقرأ الا اذا تناول اربعة اكياس كل كيس فيه الف محبوب ، أما عشاؤه فلابد ان يكون وزة محمرة وفطيرة مشلتته وبرام رز معمر بالحمام .

قالت البنت الفرنساوية منزعجة : ولكن كيف يمكنه القراءة بعد ابتلاع كل هذه الكمية من الطعام ؟

قلت : انه لايقرأ الا بعد ابتلاعها ، كما ان عشاءه لن يكون مقصورا على الوزة المحمرة والفطيرة المشلتته والارز المعمر بالحمام ، ولكن لابد من وجود حلة البالوظة ثم البطيخة الشلين في الصيف ثم قفص البرتقال في الشتاء ، ثم يشرب دستة كازوزة من نوع الاسباتس ، لكي يتكرع ويطرد الغازات . وهو الآن صاحب عمارة على النيل وعمارة في المهندسين وعمارة في مدينة نصر ، وعمارة على كورنيش الاسكندرية بالاضافة الى عدد من الشاليهات في المعمورة والعجمي وماريتا وشاطىء ابو التلات . بينما عمنا الشيخ رفعت عاش ومات في بيته المتواضع في شارع البغالة على مقربة من السيدة زينب وسيدى على زين العابدين جلبا للبركة وهدوء البال .

قالت البنت الفرنساوية وقد سرحت وشطحت : عرفت الآن لماذا الحرب حتمية في بلادكم .

قلت : ليه ؟

قالت : لاصلاح الخلل الذى يهدد جهدكم ويدفع بالذيول الى المقدمة ، ويجرجر الرؤوس الى الخلف .

قلت : واهمة انت وعبيطة يا خواجايا ، قلت لك الف مرة ان مقاييس بلادكم لا تصلح للتطبيق في العصر الحميرى ، والحروب

ستعود بنا أكثر الى الوراء ، وستجعل من الذيول ائمة ومن الائمة مجرد كومبارس .

قالت : لا غير معقول .

قلت : معقول ونص . فبعد حرب ١٩٤٨ التي ظهرت فيه الاسلحة الفاسدة . وانكشف فيها المجتمع الحميرى ، فإذا به ملء بالثقوب والثغرات وكان لابد حسب نظريتك ان تتولى الحرب تغييره الى الافضل ، ولكن التغيير حدث الى الاسوأ . قام اول انقلاب عسكرى فى العصر الحميرى فى مكان يقال له دمشق من ضواحى العصر الحميرى ، وقضى الانقلاب العسكرى على الديمقراطية الهزيلة التى كانت هناك .

وعرف العصر الحميرى بعد الحرب نموذج الجنرالات الذين يظهرون بوفرة فى جمهورية الدومونيكان وجمهورية شركة الموز فى جواتيمالا ، وجمهورية شركة القنال فى بنما . وجمهورية شركة التليفونات فى السان سلفادور . ثم جاءت حرب ١٩٥٦ وثبت من خلالها ان القيادة العسكرية غير مؤهلة وليست على مستوى المسئولية ، وبدلا من تغييرها ثبتوها فى اماكنها واعطوها كل السلطات ، ثم كانت الخيبة الكبرى فى حرب ١٩٦٧ ، وانهزمت جيوش العصر الحميرى كلها امام جيش المرتزقة والصياع ، ولعلها كانت الحرب الوحيدة التى حصل خير من بعدها ، غيروا القيادة ودفعوا الى الصفوف الامامية اصحاب المواهب واصحاب الكفاءة . ولذلك كان الاداء رائعا فى حرب اكتوبر ، ولكن المعجزة التى صنعها العسكريون بددها السياسيون ، وعدنا خلفا در من جديد ، انقسم المجتمع الى قسمين بحجة الانفتاح والانبطاح ، قسم الذين عبروا ، وقسم الذين هبروا .

اما الذين عبروا . فقد بذلوا الدم ، واما الذين هبروا ، فقد جمعوا ما تيسر من الاموال بالرغم من عدم رؤية احد منهم على المعابر وقت الحرب ، اما الذين عبروا فقد تاهوا فى الزحمة واختفوا فى الظلام . واصبح للعصر الحميرى ابطال من نوع جديد . البطل توفيق عبد الحى ، الذى كان بطلا فى التايكوندو . وصاحب الرقم القياسى فى بيع الفراخ الفاسدة والسمك المعفن ، ووسيلته فى ذلك شركة اسمها

أراك ، لا أراك الله مكروها فى عزيز لديك . والبطل رشاد عثمان الذى اوصاه الوالى بان ياخذ باله من اسكندرية ، فاخذ باله فى اسنانه وهات يا استيلاء على اراضى وهات ياهبر فى فلوس ، وكله فى سبيل التنمية الشعبية . والبطل الحاج عصمت السادات ، صاحب الكرامات والحيازات والشقق والموتيلات ، الذى استولى على الشنابر المسحوبة على البارد والشنابر المسحوبة على الساخن . وهات يا بيع فى السوق السوداء ، والبطل الحاج محمد لطفى المليونير الثرى ، الذى برر تضخم ثروته بانه عمل فى ليبيا لمدة عام وبمرتب قدره مائة دينار فى الشهر ! ولذلك ياخواجايا اذا قامت الحرب ، فسيدخل العصر الحميرى بالتاكيد فى متاهات جديدة وستسوء احوال الجميع اكثر ، وقد يعودون من جديد الى الصحراء والخيام وصيد البر والبحر ، وغزوات القبائل ، والفخر بالأصول والانساب .

قالت : ياله من عيشة حلوة ، واتمنى لو عشتها معهم اذا عادت تلك الايام .

قلت : الصحراء هى سخرية الطبيعة من الاقدار ، وفى الصحراء لا مكان للخديعة او الكذب او الزيف او البهتان . فكل شيء مكشوف وواضح وعلى عينك ياتاجر . لا يستطيع احد فى الصحراء ان يدعى الثراء لانه لا توجد فى الصحراء بنوك ، مالك على جسمك او داخل بيت الشعر ، أو سارح فى حالك داخل الصحراء . وفى الصحراء لا يستطيع احد ان يدعى الشجاعة . لأن الصحراء واسعة ومكشوفة ، وسيراك الجميع لحظة نشوب المعركة اذا اخذت ذيلك وهربت كالفار الجربان . الصحراء هى الصدق وهى الشرف وهى اسمى مراحل الحياة .

هكذا كانت الصحراء فى عصرنا الاول واخشى الآن إذا عدنا الى الصحراء ان نعود بكذبنا وغشنا وخداعنا وقيمنا البالية التى تهرات من كثرة الاستعمال ، واخشى ان نعود اليها ومعنا ابطالنا الجدد ، توفيق عبدالحي ، ورشاد عثمان ، وعصمت السادات ، ومحمد لطفى .

قالت : وما له ، على الاقل يبنون بيوتا ويفتحون منافذ لبيع اللحم الفاسد والسمك المعفن ويقيمون فى الصحراء سوقا سوداء .

DVD4ARAB

قلت : فى هذه الحالة سأتركك تذهبين لوحدك الى العصر الحميرى الجديد . اما أنا فبرىء منهم الى يوم الدين .

قالت البنت الفرنساوية : لا والف لا . رجلك على رجلى وقدمك قبل قدمى . ورحلتنا ستكون معا . وقد نصبح يوما ما مثل المجنون وليلاه .

قلت : انخمدى ونامى فورا ايتها الخواجايا . فانا المح فى عينيك الان انك ستصبحين حمارة فى وقت قريب ان شاء الله .

١٩٩٠/١١/١

• • •

كـوز المحبة انخـرم ..!

DVD4ARAB

قالت البنت الخواجايا وقد تنعكش شعرها وتبعزق بعضها : أخبرنى ياحمارى الصغير ، كيف تقضون وقتكم الان وانتم فى فترة الانتظار ؟

قلت : اى انتظار ؟

قالت : انتظار الحرب . الم تقل لى انكم فى انتظار الحرب التى اذا نشبت قد تعود بكم القهقرى الف عام الى الوراء .

قلت : لاشىء . نحن فقط ننتظر .

قالت : اعرف انكم تنتظرون . ولكنى اسال كيف تقضون وقتكم فى فترة الانتظار هل لديكم موسيقى مثلا ؟

قلت : الموسيقى عندنا على قفا من يشيل ، من الطبل البلدى الى اوركسترا القاهرة السيمفونى .

قالت : ولكن هل تستمعون اليها ؟

قلت : نستمع اليها احيانا ، خصوصا اذا كان يصاحبها غناء .

قالت : وأى نوع من الغناء عندكم ؟

قلت : عندنا يا ست هانم غناء على كل لون . عندنا غناء شعبى لزوم افراح الفقراء وللترفيه عن رواد الاسواق ، وقليل يحمل حكمة الشعب الحميرى وفلسفته ، وكثير غث ومضروب ويقدس القيم العالية والعلاقات غير الصحية بين الناس .

والمصيبة ان هذا اللون من الغناء هو الذى فرض نفسه فى النهاية ، والسبب هو التكنولوجيا .

قالت البنت الخواجايا : كيف ؟

قلت : بعد اختراع الراديو كاسيت اصبح الغناء فى متناول الجميع ، عشرة من الحمير يحصلون على نص قرش حشيش وعدة كاستات من النوع المضروب ويسهرون سهرة تمتد حتى الفجر . ولذلك ظهر فى الأونة الاخيرة مئات المطربين والمطربات ، ونشأت ايضا عشرات الشركات لتعبئة هذه الكاستات . واصبح لدينا مشاهير من عينة سيد فكرى والبحر ابو جريشة والريس بيرة وام امام السنجلفية نسبة الى كفر سنجلف من اعمال مركز الباجور .

قالت البنت الفرنساوية : وهل يتغنون بالحب مثل مادونا ؟

قلت : بالرغم من شهرتهم وانتشارهم ، الا ان احدا من المستمعين لم يستطع ان يتبين حتى الآن ، بماذا يتغنون ؟ أو لماذا يغنون ؟ فكلامهم بالرغم من انه هابط فهو ايضا غامض ، لا يعرف له احد راس من رجلين ، مثلا ، كوز المحبة انخرم ، اديله بنطة لحام ، وغزالة شاردة عاوزة اللى يصطادها . وخد الحبيب قشف ادهلنه زيت حار ،ومين الاستوك ده ؟ اللى ما شى يتك ده .

قالت : ومن الذى يؤلف هذا الكلام ؟

قلت : لا احد يدرى . فيكفى الان اسم المغنى ، والشرط الوحيد أن يكون متمتعا بجاعورة من النوع الممتاز .

قالت البنت الفرنساوية : ربما هى موجة جديدة وحركة تغريب مقصودة ، هدفها الاحتجاج على ما فى المجتمع من انحراف واعوجاج .

قلت : فى الحقيقة ياخواجايا هى حركة تجريد للمعانى وتجريح للذوق . وهى هوجة مثل هوجة الموالد ، كما انها نكسة ووكسة ، وانحطاط وانحدار ، وهى للاسف الشديد جاءت بعد موجة سبقتها كان الغناء الشعبى فيها يحكى قصص غرام شريفة وعفيفة . حسن ونعيمة ، وسعد وانصاف ، وأحمد ووجيدة ، وكان المغنى الشعبى يغنى للوطن فى افراحه وفى اتراحه ايضا . غنى السابقون لثورة ١٩ ولثورة يوليو ، وساهموا فى تعبئة الناس فى حرب ٤٨ وفى حرب

DVD4ARAB

٥٦ .. والنار ولا العار ولا استعمار في بلدنا . و .. الله يخلي الجيش وعساكره منصورين ، قال ياواد ياعليش خدلك خمس فدادين ، طول عمري لابس خيش ما كنت يوم جالعه ، ما كنت لاجي العيش ، والقمح أنا زارعه .

قالت البنت الفرنساوية : ولكن هذا لون من الغناء تحريضي وظهر مثله ابان الثورة الفرنسية .

قلت : فلتطلقي عليه أي وصف ، ولكنه كان غناء له معنى وله هدف ، وكان المغني من دول يبحث عن كلام معقول لانه لايستطيع ان يواجه جمهوره في الشارع بكلام من الذي يقال هذه الايام .. من نوع يامجمع المساطيل بالليل .. و .. قالوا الحشيش لألا ، ان كان حلال ادى احنا شربناه ، وان كان حرام ادى احنا حرقناه . لازمتها ايه قوله اه ولا .

قالت البنت الفرنساوية : وهل هذه هي كل الاغاني التي عندكم ؟

قلت للبنت الفرنساوية : الاغاني عندنا على قفا من يشيل . لدينا اغاني من نوع لولاكي ، ومن نوع دنا ، وبعض المطربين الان يغنون بالرومي وبالهندى وبالجريجي . ولدينا مطرب انتحل اسم مطرب هندي . لذلك سئم الناس الغناء الى درجة ان مطربة الشباب في هذه المرحلة رحلت عن دنيانا منذ خمسة عشر عاما ، أما مطرب اللحظة فقد مات منذ ثلاثة عشر عاما ، أما مطرب جميع الاجيال فاطر بها حتى سن التسعين .

قالت : ولكن لماذا ترفض هذه الموجة الجديدة من اغاني الشباب ؟

قلت : انا لا ارفض شيئا ولكن هم الذين يرفضون ، تصورى مطرب شباب يغنى لجيله .. جيل ١٩٩٠ ، فيغنى نفس المعاني التي كان يتغنى بها المطربون في جيل ١٩٠٠ ، ياحبيبي يللى راح ، ياحبيبي يالى ضاع . ياحبيبي يللى العوازل سلطوه عليه . يا رايح وانا قاعد استناك . ياتقيل وانا مدلوق عليك . يامصهين وانا سهران اناجيك .. يا من يجيبلى حبيبي . ان حد شاف حبيبي سلمولى عليه . ساكن قصادى وباحبه . جت واحدة ثانية لهفته منى . ياخرابي على بختي المنيل . وادى قسمتي ونصيبي . وفلاح كان ماشي بيهرش من جنب السور . معان وكلمات كانت تصلح ايام الحبرة واليشمك والعربية الحنطور والمشربيات التي تحجب الجمال

عن عيون الفضوليين ، ولكن الكلمات نفسها مازلنا نستعملها في زمن اصبح فيه الحب على المكشوف . البنات في الشارع اكثر من الاولاد ، وفي التعليم اشطر من الصبيان ، وفي الوظائف عد على قد ما تقدر .

في القاهرة وحدها الوف من البنات يسكن وحدهن ، وفي بيروت يوجد ضعفهن ، وفي الدار البيضاء نادرا ما تجدين بنتا تعيش مع اهلها بعد سن الستاشر ، وفي تونس اغلب البنات هاجرن الى لندن وباريس ، ومع ذلك نتناول الحب في الاغاني بنفس الطريقة التي كنا نتناولها بها عندما كانت غاية الحب ان يختلس نظرة الى الحبيبة ، وهي واقفة خلف المشربية ، اونازلة تدلع تملا القلل . وعندما كانت وسائل الاتصال بين المحبين معدومة ، فلا اجهزة تليفون ولا اجهزة فاكس ، وكانت اقصى امنية للحبيب ان يهرش في شعر راسه وهو فايت على بيت الحبايب ، فتدرك الحبيبة انه يرسل اليها بالتحية والسلام .

اعرف واحدا من الحمير سافر الى اوروبا حديثا ووقف في النافذة في عاصمة اوروبية كبرى يحملق ويبحلق في بنت خواجايا تقف في نافذة امامه ، ووقع صاحبنا في الحب من اول نظرة ، واراد ان يعلمها بحبه ، هرش في شعر راسه ، فلما لم ترد السلام بالهرش في رأسها ، راح يهرش عمال على بطال حتى اقتلع بعض شعر راسه ، وبعد أسبوع من البحلقة والهرش ، التقى بالبنت على رصيف الشارع فحدق فيها وراح يهرش ففتحت البنت شنطتها واخرجت زجاجة دواء وقالت له : خد هذه الزجاجة ففيها دواء يقضى على كل الحشرات التي في شعر راسك . لان الهرش في الراس ليس من ادوات الحب في بلادكم . ولكنه في بلدنا اول درجة من درجات الحب .

قالت البنت الفرنساوية اليس لديكم شعراء ؟ يبتكرون المعاني ويحلقون على اجنحة الخيال .

قلت : كان لدينا من هذا النوع كثيرون ، كان امير الشعراء احمد شوقي يؤلف الاغاني ويحتضن المواهب الشابة من المطربين ، وكان الشاعر احمد رامي يبتكر المعاني ويخترع المواقف ويحلق على اجنحة الخيال الى النجوم ، وكان على محمود طه يربط الحب بالحضارة القديمة ، وكان محمود حسن اسماعيل يجد صلة بين الغرام والنيل ، وكان الشاعر احمد فتحي يغني للحب

على طريقة روميو وجوليت ، وجاء بعد هؤلاء الشعراء عشرات من مؤلفي الاغاني ، كان لديهم احساس وعندهم ذوق ، وخلفهم ثقافة شاملة وتجربة عريضة . مرسي جميل عزيز ومامون الشناوي ويا امة القمر ع الباب ، و .. ادي الربيع عاد من تاني . اختفى هذا الصنف الآن ، واصبح مؤلف الاغاني لا يفكر ولا يحس ، يؤلف الاغنية وهو في الكافتيريا واحيانا وهو في السيارة ، وغالبا وهو في بوفيه الاذاعة ، لم يعد لديهم وقت ينفقونه في التفكير أو في اصطياد المعاني واغلبهم لم يقرا ديوان شعر في حياته وهؤلاء يتصورون ان المعرى كان فقيرا لا يجد ما يستر جسده ، وان المتنبى كان عرافا يفتح المندل ويوشوش الودع . ولذلك لدينا في العصر الحميرى ظاهرة لا اعتقد انها موجودة في مكان اخر على ظهر الارض .

تصورى .. لدينا ياخواجايا اغنية عمرها الف وخمسمائة عام كتبها شاعر مقاتل قضى نصف عمره على ظهر الحصان . اغنية تقول :

ولقد ذكرتك والسيوف نواهل
منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

قالت : اغنية عمرها الف وخمسمائة عام وتستمعون اليها في الوقت الحاضر ؟

قلت : وسنستمع اليها في المستقبل ايضا .

ولدينا اغنية عمرها الف عام ، انتشرت انتشار الوباء في حقبة لسبعينات . الأغنية تقول :

لما إناخوا قبيل الصبح عيسهم
وحملوها وسارت بالهوى الابل
ياحادى العيس عرج كي اودعهم
ياحادى العيس في ترحالك الأجل

لدينا اغنية ثالثة عمرها الف ومائتان عام . الاغنية تقول

اقول وقد ناحت بقربى حمامة
ياجارتا لو تعلمين بحالى
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى
ولا نزلت منك الهموم ببال

والناس تستمع لها وتطرب . ربما لم يفهموا المعنى على وجه التحديد ، ربما غمضت بعض الكلمات عليهم ، ولكنهم شعروا باحساسهم الدفين انها اغان راقية وتحمل زخما من المعاني السامية ، فهذا الفتى المحارب كان يدعى عنترة وكانت له حبيبة اسمها عبلة ، والمعنى الذى جاء في شعره لم يصل اليه احد من قبله ، ولم يرتفع اليه احد من بعده . ولقد ذكرتك والسيوف نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى ، فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم ، تصورى ياخواجايا وهو في عز المعركة وفي اتون المعمعة تذكر حبيبته ، بينما السيوف تنهش في لحمه وتصطبغ بلون دمه . ما الذى فعله الشاعر وهو في هذا الكرب العظيم ؟ لا شيء سوى انه تمنى لو انه طبع قبلة على السيف الذى ينهش لحمه ، لانه يلمع لمعان فم حبيبته التى كانت تتمتع بأسنان كاللؤلؤ وفم كخاتم سليمان ، وبعد ان مات الشاعر ومضى عليه الف وخمسمائة عام في التراب ، جاء شاعر عابث اسمه حسين شفيق المصرى . فاراد ان يسخر من الشاعر القديم فقال : ولقد ذكرتك والحمار معاكس فوق الشريط وقد اتى الوابور !

وفي الحقيقة ياخواجايا . الشاعر العابث لم يكن يسخر من الشاعر القديم ، لكنه كان يضيف اليه . فالموقف الذى اختاره ولم يتذكر شيئا فيه الا حبيبته كان اصعب مائة مرة من الموقف الذى وجد الشاعر القديم نفسه فيه . فالشاعر القديم بطل وشجاع قلبه كالحديد ، والحرب عنده متعة والقتال هواية ولم يدخل معركة في حياته الا انتصر فيها ، ولم يصارع احدا الا قتله ، وهو في المعركة كانه في حوض سباحة . او في كازينو على شاطيء النيل .

اما الشاعر الحديث فهو فلاح قفل يركب حمارته العرجا ويحاول ان يعبر بها شريط السكة الحديد ، ولكن الحمارة تعثرت وانحشرت حوافرها في الشريط ، بينما الوابور قادم يطلق صفيرا وينفث دخانا ويحمل معه الموت الأكيد . وبالرغم من ذلك تذكر الفلاح القفل حبيبته وهو مدرك تماما انه هالك لا محالة ، وانه ضايع في الكازوزة بدون شك ، حتى العابثون زمان كانوا يعبثون من خلال الفن ، وكانت مواهبهم تساعدهم على ذلك .

اما مؤلفو هذه الايام فلا فن ولا موهبة ولا وقت عندهم للعبث ، لانهم مشغولون طول الوقت ، احيانا فى الاذاعة لامضاء عقد ، واحيانا فى مكتب بيع اغنية ، واحيانا فى بيت لتحفيظ مطربة لا تعرف القراءة ولا الكتابة .

اذكر ان ملحنا شهيرا اسمعنى ذات يوم قصيدة من تلحينه . كان المذهب يقول : مر بى ، أوما لى ، وبعد ان استمعت الى الاغنية كاملة ، اسند العود على الحائط المجاور وسالنى سؤالا فى غاية الغرابة والسذاجة : أوما لى .. يعنى ايه واجبته : أومالى ، يعنى هات سيجارة وضحكت ، وضحك هو الآخر . واندهشت . كيف يلحن كلاما لايفهم معناه ؟ مع ان التلحين هو مزيد من التفسير للمعنى الذى يحمله الكلام أو يخفيه بين السطور . ولكن كل شىء فى العصر الحميرى جائز ، وكل شىء ممكن ، حتى تلحين الكلام الذى لا يفهم الملحن معناه .

وضربت البنت على صدرها وقالت : يخرب عقلك . لقد فهمت الآن من كلامك انكم حمير صحيح ، ولكن اصحاب حضارة ، وكان لكم تاريخ من الوف السنين ، وعندكم اغان عمرها الف وخمسمائة عام .. مع ان الانجليز لا يفهمون لغة اجدادهم التى كانوا يستعملونها منذ اربعمائة عام ، وانت يامضروب مازلت تحفظ الاغانى القديمة ، كانك انت الذى قمت بتاليفها الآن . لقد شوقتنى لرؤية العصر الحميرى ، فمتى تذهب بى الى هناك .

فقلت لها : نامى الآن ، وغدا يحلها الف حلال .

قالت : واذا لم يحلها ؟

قلت لها : اتخمدى ونامى ، وغدا ياتى الفرج مع تباشير الصباح .

١٩٩٠/١٢/١

• • •

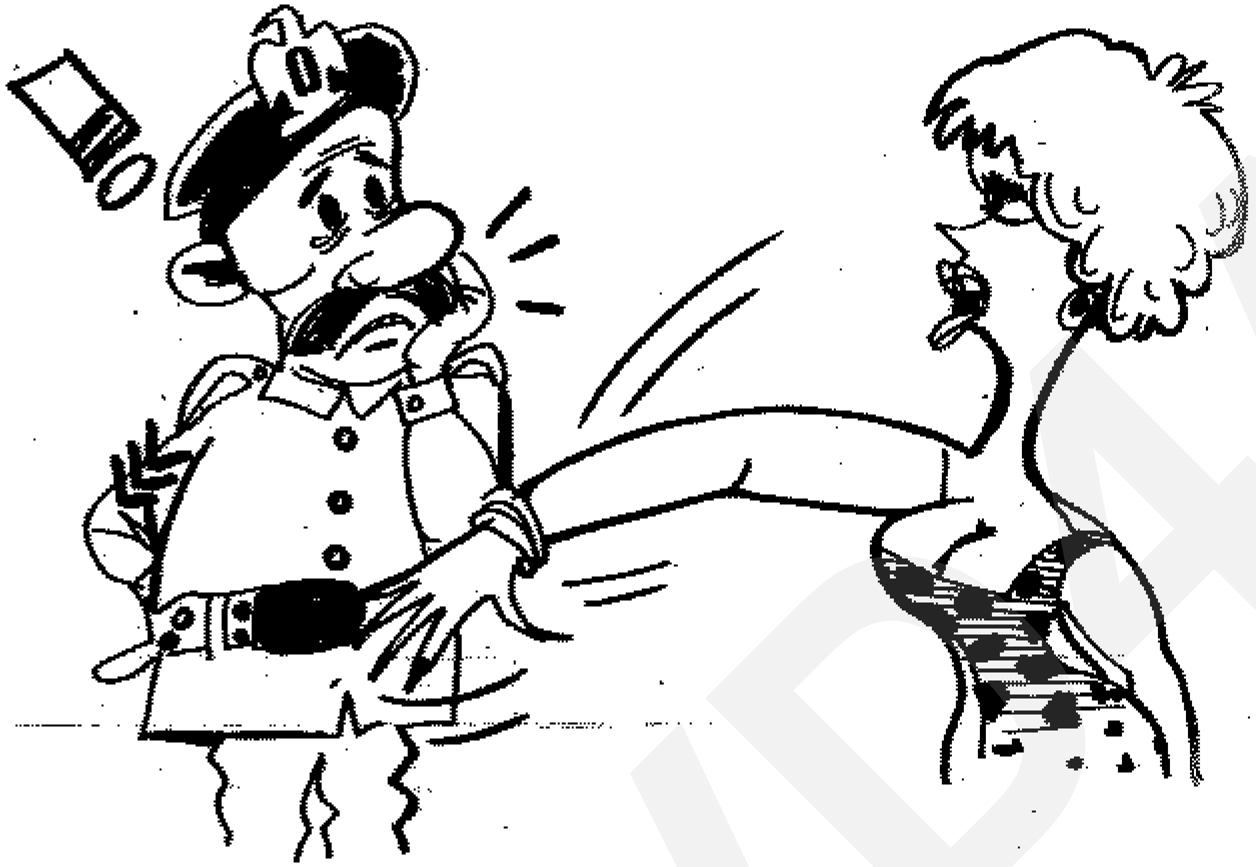

الوعـــد والمكتـــوب ..!

استيقظت البنت الخواجايا مذعورة ، والقت نظرة على ساعة الحائط ، ثم برطمت وتعزرنت وسبت الاخضرين ، وتحولت فجاة الى اعصار مدمر ، وانطلقت الكلمات من فمها الرقيق كأنها دانات مدفع ميدان ، وراحت تجمع ثيابها وتجمع متاعها ، وارتدت فردة حذاء وبحثت عن الفردة الاخرى ، فلما لم تجدها ، شوحت ولوحت ، وفتحت الباب وخرجت لا تلوى على شيء . على رأى الشيخ طاهر مدرس اللغة العربية ، وخرجت وراءها بالشبشب والجلباب ، ولحقت بها عند محطة الاتوبيس ، وعكمتها من قفاها وجرجرتها على الافريز ، ولكنها عصلجت وصوتت ، فالتف حولنا جمع غفير ، من صبي صغير الى امراة عجوز دردبيس ، ثم جاء العسكرى عتريس ، ومن قفايا عكمني ، وعلى الارض جرجرني وبكمية من الشتائم اتحفني ، فلما اعترضت على هذه المعاملة الحقيرة والاهانة الكبيرة .

اندهش الشاويش لجراتي ، وكاد يجن من شدة وقاحتي ، وقال ع القسم لابد ان تذهب ، ومحضرا لابد ان تعمل ، وسجنا لابد ان تدخل فلما اخرجت له البطاقة ، وعليها صورتي في منتهى الشياكة والاناقة . قال : طبعا ، هذا لبس نشالين ، فلو انك موظف حكومة ، لخرجت من بيتك بالفانلة واللباس ، اما ملبوسك الى وظيفتك ، فلن يزيد على شوال بدون اكمام ، وفي قدمك مجرد مداس ، ولو كنت صاحب دكان لعانيت من وقف الحال . ولو كنت خريجا فانت منتظر خطاب القوى العاملة ، ولكن صورتك في البطاقة كشفت حالك ، فانت متقمش ومتمرمش ، وبالطبع معك فلوس وعندك غموس ، وانت نشال قرارى ، ولابد لهفت محفظة الست الامورة ، ولابد من سجنك لترتاح منك المعمورة . قال قوله هذا واستغفر الله وهبدني قلما على قفاى ، وركبة في حشاى . . .

وعلى الفور انطلقت البنت الفرنساوية كالمدفع وهات ياتلطيش في الشاويش . واندهش الشاويش غاية الاندهاش ، وحصل في عقله انهباش ، وقال مزمجرا ! اضربه علشانك وانت ولا على بالك ، لابد انك زميلته ، وفي الحرفة وكيلته ، وانت ولية سوابق ، ونهار ابوك غامق . فلما اخرجت باسبورها وعرف هيئتها ، انسحب على الفور وقال : عجايب ظننته من صنف النشال ، فاذا هما عاشقان ، وفي حاجة الى موال ، وها هي البنت تبوسه ، وتضع فلوسها على فلوسه ، وفي الوقت نفسه ترمقني بعين بصاصة تندب فيها رصاصه .

وانصرف الشاويش ، وتفرق الناس . فعدنا الى البيت واكلنا الفول بالزيت ، وسالتها على الفطار ما الذى حولك من ملاك الى عفريت .

قالت : لعنة الله عليك ، وعلى اليوم الذى شكلك فيه رايت ، ولد كذاب واونطجي . وانت خدعتني وجرجرتني ، وبكلامك المهبول اقنعتني ، ووعدتني بالذهاب لرؤية العصر الحميرى ، ولكنني معك منذ عام ولم اشاهد من الحمير الا انت ، وبذلك صحت نظريتي ، فانت الحمار الوحيد ، وما عدا ذلك فهو خطرفة وهلضمة . ومنذ عام وانا الف وراك ، واذهب معك من هنا لهناك ، وانت تهرش مخي باساطير وخرافات ، وتلحس عقلي بحكايات وروايات .

DVD4ARAB

عام كامل يا نصاب ضيعته من عمرى ، عام كامل ، واستطاع جورباتشوف فى زمن مثله ان يحول روسيا من دولة شيوعية الى دولة راسمالية ، وتم خلاله بناء نفق تحت المانش يربط بريطانيا باوروبا لاول مرة فى تاريخ البشرية .

عام كامل ، استقلت خلاله ناميبيا ، وتطورت فيه قضية السود فى جنوب افريقيا ، وسقط فيه حسين حبرى مرتين وعاد الى الحكم مرتين ، وانت تسرع بى بعيدا الى عالم حميرى ليس له وجود ، والى ناس حمير ليس لهم مثيل . والمصيبة انى صدقتك ، وانا معذورة على كل حال . فشكلك والحمار سواء ، ولكن عقل الحمار افضل . فهو على الاقل يعرف طريقه ، وفى الشغل يفيد فريقه .

قلت للبنت الخواجايا :اما فى شكلى والحمار سواء ، فهذه حقيقة . ولكنى لم اخدعك ، بل انت التى ورايا جريت ، وعلشان تتشرفى بصحبتى بكيت ، وانا وعدتك بالذهاب الى العصر الحميرى ، وساذهب بك حسب وعدى لك ، ولكنك يا خواجايا لا تعرفين ان هناك فرقا بين الوعد والمكتوب . فالوعد من فعل البشر ، والمكتوب من صنع السماء العالية ، نحن نعد دون ان نعلم ما هو المكتوب . احيانا يتفق الوعد مع المكتوب ، ولكن هذا يحدث احيانا ولمدة قصيرة . وصحيح انا وعدتك يا خواجايا ، ولكن الوعد غير المكتوب كما شرحت لك من قبل .

اما المكتوب ياخواجايا فهو كما نراه الان على الطبيعة . العصر الحميرى اشتعلت فيه النار ، البوارج تملأ البحر ومدافع الميدان تمتد نحو الافق ، والطائرات الشبح تسدعين الشمس ، وهناك لغط حول قنابل ميكروبية ، وهناك شك حول قنابل ذرية ، واذا قامت الحرب ، قد ينتهى العصر الحميرى قبل ان تكتحل برؤيته عيناك الجميلة ياست البنات .

قالت البنت الخواجايا وهى تكاد تنفجر من شدة الغيظ : اذا انتهى العصر الحميرى او راح فى ستين داهية ، فلا لوم عليك ولا تثريب ، لان هذه ليست هى المشكلة ، المشكلة يا حمارى هى الوقت الذى اضعته . عام كامل وانا الف وادور خلفك . عام من عمرى ومن عمر الحياة يا مفترى ، البنى ادم يعيش على هذه الارض ، ربما ستين عاما اذا كان سعيد الحظ ، وبعض الناس ماتوا

فى سن الاربعين ، وكل الجنود ماتوا ما بين العشرين والثلاثين ، وانا افقد من عمرى عاما كاملا دون فايدة وبلا اى عايدة .

قلت : يا سبحان الله ، طبعك حامى ياخواجايا وامرك غريب ، تبكين من اجل عام ضاع من حياتك ؟ وفى بلاد الحمير يبددون القرون والدهور ولا نشعر بشىء . هل تسمعين عن جامع نفق شبرا ؟ منذ الاربعينات وناس يذقون تجمع من ركاب الترومای والاتوبيس اموالا لبناء جامع نفق شبرا . لا الجامع ظهر ولا التبرعات انقطعت . ومع ذلك لم يحتج احد ولم يعترض احد .

وفى المغرب العربى مشروع مد خط سكة حديد من طنجة الى الاسكندرية ، وقد فكروا فى المشروع منذ استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ . وقد الفوا لجنة لدراسة المشروع . ثم الفوا لجنة ثانية لدراسة مشروع اللجنة الاولى . ثم الفوا لجنة ثالثة للتفتيش على اعمال اللجنتين ، ومنذ عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٩٠ لا تزال اللجان تتالف والمشاريع تعاد والميزانيات تدبر ، ولكن بالنسبة لخط السكة الحديد لاحس ولا خبر . ومع ذلك لم يغضب احد ولم يحتج احد .

بعض الدول فى بلاد الحمير وعدت شعوبها بضرب البيروقراطية واشاعة الديموقراطية وتطبيق الديناميكية وضرب الاستاتيكية ، وبعضها وعد شعبه ببندقية لكل محارب ودواء لكل مريض ووظيفة لكل صايع وبالطو لكل بردان وعشوة لكل جوعان ومعاش لكل فلسان ، ومضت على هذه الوعود عشرات السنين . ازداد خلالها عدد المرضى وتضاعف عدد المفلسين ، وصار البردانين والجوعانين هم حزب الاغلبية ، وبالرغم من ذلك لم يغضب احد ولم يحتج احد .

وهذا الموقف ـ ياخواجايا ـ من الشعب الحميرى . ليس نتيجة يأس لا سمح الله . ولكن ايمانا منا بان الوعد غير المكتوب . فالحكومات وعدت ، ولكن المكتوب لا يتفق مع الوعد . وايضا يا خواجايا .. لان العجلة من الشيطان ، وفى التانى السلامة وفى العجلة الندامة ، وتجرى جرى الوحوش وغير رزقك لم تحوش ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، ولو عرفتم الغيب لاخترتم الواقع . وهذه الاقوال ياخواجايا قد لا تعجبك ، ولكنها عصير حكمتنا من خلال تجربتنا الطويلة فى الحياة .

وتصورى ياخواجايا لو ان مشروع خط سكة حديد الشمال الافريقي نفذوه على الفور ، لكان عمره الان ربع قرن ، ترى كم من الاقدام كانت ستفرم تحت العجلات ؟ وكم من النفوس كانت ازهقت بفعل الاصطدامات والانقلابات ؟ وكم من المآسي كانت ستحل بالبلاد والعباد ؟ ولو ان الحكومات نفذت ما وعدت به . لحدث في بلاد الحمير ما لا يحمد عقباه .. على رأى اموج البور سعيدى فالناس اذا جاعت هدات ، واذا تعرت سكنت ، واذا صاعت انزوت واذا مرضت انطوت . اما اذا شبعت وارتوت وتلمضت فيا داهية دقى . سيصبحون آخر افترى وآخر بجاحة ، وقد يطالبون بالمزيد . وبعد الحصول على الديمقراطية قد يطالبون بالمشاركة . وقد يفترون اكثر فيطالبون بالمساواة في الحقوق والواجبات .

اعرف ثورة قامت في بلاد الحمير منذ عشرين عاما . كان لديها في الخزانة فائض اموال يكفي لكى يعيش كل حمار في الارض الحميرية في مستوى المواطن الايطالى . ولكن الثورة اياها آثرت التريث . ووعدت الحمير بمستوى يفوق مستوى المواطن السويدى . وبعد مضى عشرين عاما على هذا الوعد ، انحط مستوى الحمير الذين يعيشون في ظل الثورة اياها حتى صاروا يحلمون بمستوى المواطن السويسى ، وبدلا من عمل لكل مواطن ، وحققت الثورة هدفا اخر هو لجنة لكل مواطن .. واللجان في كل مكان ، بينما الطعام ليس له وجود في اى مكان . ومع ذلك لم يغضب احد ولم يحتج احد ، باعتبار ان كل شيء قسمه ونصيب . وما هو مكتوب لازم تراه العين ، واقدارنا بيد السماء القاسية يا نهر البنفسج على رأى عمنا زكريا الحجاوى يرحمه الله .

وعندنا ياخواجايا حزب اسمه حزب البعث العربي الاشتراكى . والبعث معناه اعادة الحياة ، ومع ذلك تسبب في قتل الامة . ولم يضرب من صنف الناس الا العرب ، بدد شمل البعض وخرب مصالح الجميع ، ومع انه اشتراكي ، الا انه بعد عشرين عاما في السلطة باع القطاع العام وحل اتحاد العمال وقتل كل صاحب رأى . ومع ذلك لم يغضب احد ولم يحتج احد . على أساس تهرب على فين ياعبد من المكتوب .

قالت البنت الخواجايا وهى تصرخ : مالى انا وهذا الكلام

الفارغ . لقد وعدتنى انت بان اذهب الى العصر الحميرى واتفرج عليه ، ولكننى انفقت من عمرى عاما ولم نذهب الى اى مكان ولم اتفرج على اى شيء . واضعت من حياتى عاما دون ان نحقق فيه شيئا على الاطلاق .

قلت : ما اعبطك يا خواجايا . وما اشد سذاجة حضرتك . انت منذ وضعت يدك في يدى وانت تعيشين في العصر الحميرى . وعليك ان تلتزمي بقواعده وان تخضعي لقوانينه . وانت تغضبين من اجل عام ضاع من حياتك ، والعبد لله غادر ارض الحمير ذات مرة لمدة عشر سنوات وودعت بعض الناس الذين كانوا جلوسا على القهوة ، وعندما عدت بعد عشر سنوات وجدتهم جلوسا على القهوة في نفس الوضع والهيئة ، ولم يندهش احد منهم لرؤيتى ، ولم يسألنى احد منهم أين كنت ؟ وما دمت يا خواجايا اصبحت صديقتى . واخترت الحياة على طريقتى . فلا بد من اعتقاد ما نعتقده وقبول ما نقبله واحتمال ما نحتمله . والا اذا كنت ستعترضين على كل هايفة وتلطمين في كل نايبة ، وتفرجي علينا طوب الارض علشان عام واحد مر من حياتك بدون فايدة أو عايدة . فسيكون هذا ـ يابنت الفرطوس ـ فراقا بيني وبينك .

وعلى الفور على الارض البنت سقطت . وبدموع غزيرة بكت ، وعلى طراطيف صوابعى باست ، وقالت ارجوك اتوسل اليك لا تطردني . ولا تفارقني . لن اسألك في المستقبل عن أى شيء . ولن اخوت دماغك باى موضوع . ساعيش معك حميرية من جذور الحمير ، وستجدنى بعد فترة اتفوق على صنف الحمير ، لا اسأل ولا اتشكك ، لا اغضب ولا احتج ، وسأستمع الى الوعد ولكنى سأخضع للمكتوب .

قلت : خيرا وبركة ، حميرية تعيشين ان شاء الله ، حميرية تموتين بفضل الله ، حميرية تبعثين مع صنف الحمير باذن الله ، اما اذا تبرمت او شكوت او صرخت او لطمت ، فليس عندى الا البرطوشة على بوزك .

قالت : خدامتك وجاريتك يا حمارى العزيز .

قلت : دعينا الان من الكلام الفارغ وتعالى الى الفراش .. *

يناير ١٩٩١

DVD4ARAB

خرساء اليمامة .!

استيقظت البنت الفرنساوية من الفجرية وقالت : والآن .. وحتى يستجيب العراق لمطالب المجتمع الدولى ، ويخرج من الكويت بسلام ، ماذا تقترح ياسى السيد أن نفعل حتى تحين اللحظة الحاسمة ونتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود ؟ قلت : سنفعل ياخواجايا كما يفعل الحمير فى بلادنا . سنقضى الوقت فى قزقزة اللب وطرقعة الصوابع وفى تقليب صفحات الصحف وفى النوم بعد الظهر ؟ ، وفى الدردشة بعد العشاء حتى مطلع الفجر ثم النوم حتى العصر.

DVD4ARAB

قالت البنت محتجة : انت تفعل ذلك .. آه . ولكنى انا لا افعل ذلك ولو انطبقت السموات على الارض .

قلت للبنت الخواجايا في هدوء : انت طبعا لن تفعلى ذلك ، فهذا السيناريو الذى عرضته عليك ، هو حق الرجال ، اما صنف الحريم فلهن روتين اخر . ساقدمك لبعض السيدات الحميريات لزوم قضاء الوقت معهن والدردشة في احوال الجيران ، والنميمة في حق الاصدقاء والخلان ، ثم قرطفة الملوخية وتقليب التقلية ، وتخليل القوطة المجنونة ، وقدح الزبدة المدهونة ، وغسل الهدوم المركونة ، ثم الاستحمام بالماء الساخن والصابون ، ثم دعك الكعوب وطرد القشف المدموك ، ثم النوم وانتظار السيد حتى يعود .

قالت البنت الفرنساوية : وهل تتصور اننى ساطبخ لك ملوخية واقلب لك التقلية ثم اجلس انتظر تشريفك لكي اقوم لك بدور شهر زاد ؟ اذا كنت تعتقد ذلك ، فهذا بعيد عن شنبك !

صرخت في وجه البنت الفرنساوية : لقد اتفقنا يا بنت القرطوس على انك حميرية تعيشين ، حميرية تسلكين ، والا فسيكون فراق بيني وبينك . وانا رجل من بلاد الحمير ، وارغب في الحياة مع امراة من نفس الماركة .

تراجعت البنت الفرنساوية وتنحنحت ، ثم بكت ونهنهت . وقالت : لا تلجا في كل مناسبة الى سلاحك البتار ، ولا تهددنى بحرمانى من العيش معك ايها الحمار ، فانا اخترت الحياة معك لهدف .. هو مشاهدة العصر الحميرى ، والحياة مع صنف الحمير ، وساحقق هدفي حتى ولو اضطرتنى الظروف الى الحياة معك ايها الحمار ، والصبر على ما ابتلتنى به الاقدار ، حتى قرطفة الملوخية وتحبيشها بكل انواع الافاوية والبهار .

قلت : على خيرة الله ، اتفقنا . وعلى بركة الله ننفذ الروتين الذى اتفقنا عليه ، انا في السلاملك وانت في الحرملك ، انا مع العمد والاعيان وانت مع الهوانم والستات .

قالت البنت تتساءل : معنى ذلك اننا لن نلتقى ابدا ؟

قلت : بل سنلتقى بالتاكيد ، وسيكون ذلك في السرير .

قالت البنت الفرنساوية وقد ارعشت حاجبها ، وفي حركة تؤكد ان الكلام مش عاجبها : ومتى اذن نلتقى لنتناقش ونتفاهم ونرسم خريطة حياتنا معا ونراجع خطواتنا السابقة ونتفق على مسيرتنا المقبلة .

قلت وانا اتنحنح واخبط بيدى على الترابيزة واتبجبج : ولماذا كل هذا العناء ؟ وما جدوى هذا الشقاء ؟ ان اجتماعنا سيكون للمناغشة وليس للمناقشة ، وماذا تجدى المناقشة مع مثلك ؟ وكيف اناقش امراة والنساء ناقصات عقل ودين ؟ وكما قال سيدنا دهمان بن دحبور .. المراة اولها نتن واخرها نتن ! وكمان قال بمباز بن كعبور .. الشيطان امراة ، والجنة لا يدخلها شيطان !

ونحن في بلاد الحمير لا نناقش صنف الحمير. ولا نستشيرهن . نحن نامر فنطاع ، ونحكى فيستمعن ، ونصمت فيشعلن النار لعمل الشاى والكركديه .

قالت البنت الفرنساوية : معنى ذلك اننا لن نخرج معا نتمشى على شاطىء النهر ونتناول الافطار معا في الكافتيريا او نخلع وننزل نبلبط معا في حمام سباحة ؟

قلت للبنت الخواجايا : امرك عجب وسلوكك شغب ، وحتى اذا اضطرتنا الظروف للمشى معا ، فلابد ان يكون بينى وبينك فرسخ وقيل فرسخان ، فالمراة عورة والرجل الحمش لا يمشى جنبا الى جنب مع المعاور ، ولكنه يمشى وحده وتمشى المعاور وحدها ، لا يقتربان ولا يتكلمان .

قالت البنت الفرنساوية وقدفشخت بقها حتى بانت نواجذها : ولكن اليس هناك احتمال ان يتكلم غريب مع المعاور ؟

اجبتها : افرضى ان هذا حدث ، وان الغريب للمعاور همس ، فلا ضرر ولا ضرار ، مادمت لا ارى ولا اسمع ولا ادرى بما يدور ووائى في الخفاء . فالعيب في بلاد الحمير ليس العمل السيىء او الفعل الشائن ، ولكن العيب هو ان يعرف او يذاع او يشاع بين العالمين . في بلادكم ايتها الخواجاية تصنعون كل شىء واى شىء على البهلى وعلى عينك يا تاجر ، واذا اعتقدتم بأن هذا الشىء عيب ، فإنكم لا تفعلونه ، واذا اقتنعتم بالشىء ولو كان عيبا ارتكبتموه ولو في ميدان عام ، واما عندنا فنحن نصنع كل شىء في الخفاء فإذا

قالت البنت مندهشة : اذن لا جناح على من يزور المعاور فى خفية من العيون ، ولا عتاب على المعاور اذا مالت هنا او هنك فى السر وبعيدا عن النور .

قلت للبنت الخواجايا : الله يحب الستر ، ومن ستر بنى ادم ستره الله يوم القيامة .

قالت : افرض اننى رضيت بشروطك وقبلت الحياة بقيودك ، ثم اشتقت اليك وقت جلوسك مع العمد والاعيان ، فكيف اراسلك ؟ واين القاك ؟

قلت : هذا العمل مكروه ، ومن يوافق عليه معتوه ، وانت فى عالم وانا فى عالم ، فإذا التقينا كل ذلك فى الحرملك فى وقت معلوم . اما اى اتصال غير ذلك ، فهو سعى مذموم وفعل محموم ووقت معدوم .

قالت البنت الفرنساوية : اعرف من هذا انه فى بلد الحمير لا تجتمع الاتان والذكور .

قلت : عفارم عليكى يابنت الفرطوس . لقد صرت حميرية ورب الكعبة . لقد نطقت كلمة اتان كما نطقها عمروش بن جحشان ، والاتان هى انثى الحمار ، وهذا دليل على انك على الدرب تزحفين وحذو النعل بالنعل تمشين ، اما جوابى عن سؤالك .. فلا تجتمع الاتان مع الذكور الا ساعة المناجاة ولحظة الملاغية ، فنحن فى الحقيقة لا نعيش فى مجتمع ولكننا نعيش فى منفصل . كل جنس يعيش وحده . كالسجون .. عنبر للرجال وعنبر للحريم ، التطلع من بعيد مباح ، والبصبصة من الشبابيك تجوز ، وتبادل الرسائل عبر النبتشية ماشى ، ولكن الاختلاط ممنوع ، والاجتماع حرام ، حسب فتوى الشيخ تمبك ابن زربون ، ولذلك كل نكتنا فى العصر الحميرى جنسية ، وكل تفكيرنا فى غرف النوم ، وكل اعشابنا مقويات ، واكثر الكتب رواجا فى بلادنا هو اعادة الشيخ الى صباه ، واغلب اغانينا تأوهات وشهقات وحركات لا تليق الا خلف الابواب المغلقة ، والستائر المسدلة .

وفى بلادنا يعشق الحمير صنف المراة الاوروبية لانها شخصية ، وفى مجلس الرجال تتكلم ، اذا دخلت مجتمعا انحنت الشنبات والصلعات ، واذا ارادت الجلوس قدموا لها الكراسى وعليها الشلتات ، واذا وضعت السيجارة بين شفتيها تقدموا اليها بالكبريت والولاعات ، وتراقص الف

والصلعات ، واذا ارادت الجلوس قدموا لها الكراسى وعليها الشلتات ، واذا وضعت السيجارة بين شفتيها تقدموا اليها بالكبريت والولاعات ، وتراقص الف رجل ولا كلمة انتقاد واحدة ، وتقبل كل رجل يصافحها ولا كلمة عتاب واحدة من بعلها ، وتخرج وقت ان تشاء وتعود وقت ان تشاء وتقابل فى البيت وحدها من تشاء ، وترتدى المايوه قطعتين واحيانا قطعة واحدة واحيانا نصف قطعة . واحيانا تنزل البحر زلط ملط ، ولكن لا احد ينظر ولا احد يبحلق ولا احد يهتم .

ولكن فى بلاد الحمير اذا سارت فى الطريق اتان مقشفة ، طاردها اكثر من حمار ، وغازلها اكثر من جحش ، ولقبوها بالباشا ، ووصفوها بالقمر ، وتعقبوها حتى يحول بينهم وبينها عسكرى الدورية او بوليس النجدة او ولاد حتتها ، وتصبح عركة ولا عركة ابو زيد الهلالى ، وهوجة ولا هوجة عرابى ، وحرب ولا حرب البسوس .

ويجلس المستوظف عندنا فى مكتبة وفكره شارد فى امرأة رآها ذات مرة تنشر الغسيل فى البلكونة ، واغلب الروميوهات تبعنا يؤلفون الشعر فى جوليت شاهدوها مرة واحدة فى اتوبيس نمره سبعة . اما نسوان الحمير فحدثنى عنهن ولا حرج ، الحمارة منهن تحب ابن الجيران ممنوع تتزوج من تحب .. لا والف لا . وتجلس فى البيت تنتظر ابن الحلال ، ويأتيها ابن الحلال ، وفى اغلب الاحيان لا يعرفها ولا تعرفه . ويتزوجان وتبدا المشاكل . مشاكل من كل صنف وعلى كل لون . وفى الغالب لاينفصلان ولكنهما يعيشان مثل ناكر ونكير . بلا حب وبلا مودة ، واحيانا بلا حوار . واحيانا تقبع الحمارة فى بيت الوالد ، ولا ترى احدا ولا يراها احد ، ثم تقبل الزواج من اول طارق على الباب .. وغالبا ما يكون فى سن جدها . ولكنها تتشبث به كما يتشبث الغريق بالقشة . ولكن بعد عام أو عامين تصبح الحمارة ارملة . وتقضى بقية العمر تنتقل من فراش الى فراش ، احيانا تحت يفطة الزواج واحيانا بدون !

قالت البنت الفرنساوية : ومالى انا والتاريخ الاسود لصنف الحمير والحميرات ؟

قلت لها : مادمت اصبحت حميرية ، فلابد من الاحاطة بالتاريخ

DVD4ARAB

الحميرى كله ، حتى تهدى وتتخمدى وتسكتى وتنكتمى ، والا .. فليس لدى الا البرطوشة وعلى نافوخ حضرتك .

قالت غاضبة : تضربنى بالبرطوشة ؟

قلت : وما هو اقل من ذلك لو توفرت . ولمعلوماتك ياخواجاية ضرب الزوج لزوجته مشروع ، وهو وسيلة من وسائل التاديب والتهذيب ، والمحاكم تقره وتوافق عليه ، باعتبار ان الادب فضلوه على العلم ، ولانه لا يضر صنف النسوان ، وكما اكد الفيلسوف عمر الجيزاوى .. اكسر للبنت ضلع يطلعلها اربعة وعشرين .

قالت البنت الخواجاية : الى هذا الحد تحتقرون صنف الحريم ؟

قلت للخواجاية : المسالة لا علاقة لها بالاحترام والاحتقار ، المسالة ياخواجاية ان بعض الحمير فى منطقتنا يعيشون فى القرن الخامس ، أما الحمير المتطورون فيشعون فى القرن الثامن ، وفى بلاد الحمير المتاخرين ، يعتبر وجه البنت عورة ، وكعب رجلها عورة ، وهى لا ترى زوجها الا بعد حفلة الزفاف وفى غرفة النوم . أما قيادة السيارة بالنسبة للبنت فهى حرام ، ومصير كل سواقة الى النار ، ولان صوتها عورة فهى تنكتم لا تتكلم مع احد ، وان كلمها احد لا ترد عليه ، وحتى فى الجامعة لا تتلقى العلم من استاذ . ولكنها تتلقى العلم من جهاز تلفزيون . وحتى سائق السيارة يكلمها من قفاه ، وهى لا ترد عليه بالكلام ولكن بالاشارة . مع انه زمان كان يوجد لدينا امراة فى تاريخ الحمير اسمها زرقاء اليمامة ، حمت اهلها وقومها من شرور الاعداء ، حمت حدودها من الغزو .

زرقاء اليمامة هذه تحولت فى هذا العصر الى خرساء اليمامة ، يحدث فى بلاد الحمير المتطورة ؟ يحدث ما هو العن وما هو اسخم ، بالرغم من اننا نعيش فى القرن الثامن ، الا ان البنت عندنا تتعرى مثل البنت التى تعيش فى القرن العشرين ، ولكن دون تجربة ودون عقل . اذا مشت تقصعت كالزمبلك ، واذا وقفت اهتزت كالغصن العيان ، واذا كلمتها اشاحت ، واذا غازلتها نظرت اليك باشمئزاز وقالت ياسم ، واذا تزوجت تريد ان تسيطر ، وهى لا تحب ولكنها تريد أن تمتلك . وفى بلاد القرن العشرين ، اذا مارامت المرأة الغرام مع من تحب ، شكرت وحمدت فضل بعلها .

وعندنا يتمنعن وهن الراغبات ، ويعرضن وهن المقبلات ، ويعذبن وهن المعذبات مشكلات ولخبطات ولعبكات ، وربك عالم بالحاجات والمحتجات .

قالت البنت الفرنساوية وقد سرحت وهجعت : وماذا بعد ؟

قلت : لا شيء تنتظرين فى حمى سى السيد حتى السلام ، وحسك عينك شباك لا تفتحى ، غريب لا تكلمى . باب لا تخرجى ، خضار لا تشترى ، لحمة لا تقطعى ، طلباتك مجابة وحاجتك واصلة لحد عندك ، ومهمتك الوحيدة انتظار سى السيد حتى يعود اخر الليل بعد القعدة مع الصحاب والاحباب ، وفى الصيف ساجلب لك البطيخ الشليان والعنب البناتى ، والمشمش اللى الهوى هزك يامشمس ، وفى الشتاء ساحمل معى عند العودة ورقة اللحمة وكيس الطرشى البلدى والبرتقال ابو سرة وبرطمان المفتقة لزوم الهلاضيم والتختخة . ولو استمرت الاحوال ، ستصبحين كالمحمل .. وهز يلوز ، ويا ارض احفظى ما عليكى وتصبحين مثل رفيعه هانم والعبد لله مثل السبع افندى ، وسيصيبك السكر وضغط الدم والنقرس ، لكن كل داء وله دواء ، وكل الامراض دواؤها موجود عند الست عزيزة العمشة ، حيث العمل جاهز ويمكن ربطه فى ذيل قرموط او دفنه فى تربة ميت .

قالت البنت صارخة : تربة ميت ؟ وعمل ؟ اى عمل هذا وانا لا عمل لى الا دراسة السلالات ومعرفة اصل الاجناس . وتخصصى فى العصر الحميرى بالذات .

قلت : ما حكيته لك الآن هو سر العصر الحميرى ولغزه ومفتاحه وسحره وورنقه وعزه ، ومادمت اصبحت الآن حميرية ، فعليك الغوص فى العصر الحميرى حتى القاع .

قالت : من اجل العلم كل شيء يهون ، وكل امر مطاع .

قلت : اتفقنا .. تعالى الان الى الفراش ، وغدا يوم اخر !

فبراير ١٩٩١

● ● ●

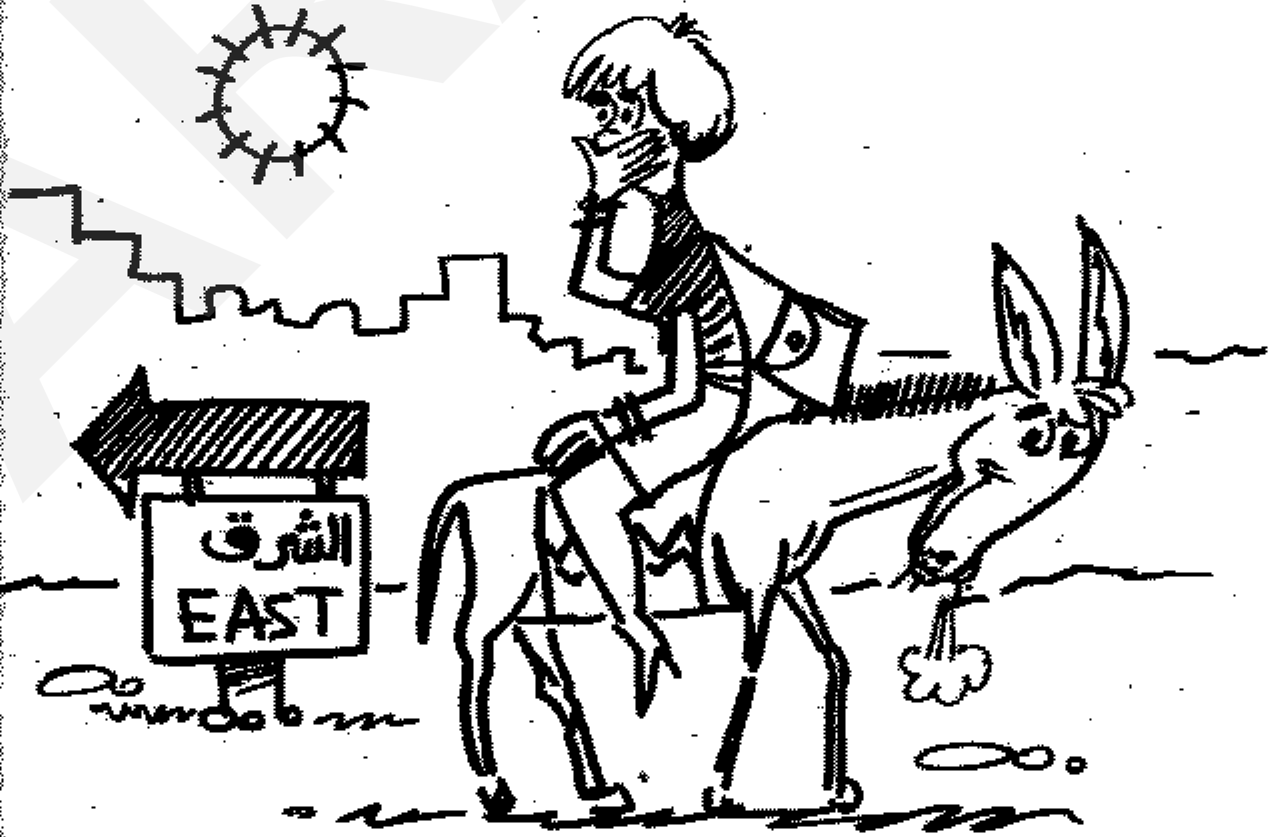

... أولاد كاليـــونى !

قالت البنت الفرنساوية وقد نفخها الغيظ فصارت كالبطيخة الصيفى : حجتك سقطت ايها الحمار ، وعاصفة الصحراء انتهت . وعمك بوش أعلن امام العالم كله اندحار العدوان وانتهاء الحرب ، ونستطيع الآن ان نذهب الى العصر الحميرى نتمشى ونتمشكح ، نتجول ونتحول ، نبشر وننكش ، وبالتأكيد سنصل الى جذور العصر الحميرى ، وسنعرف اصوله وفصوله ، وسأصير عالمة يشار اليها بالبنان ، وسأحصل على الدكتوراه والبيل باه ، وستدخل التاريخ معى رغم انفك ، باعتبارك الحمار الذى ركبته وطفت به العصر الحميرى من ادناه الى اقصاه .

قلت : نقبك على شونة ايتها البنت الفرنساوية ، فزيارة العصر الحميرى قبل الحرب كانت صعبة ، وبعد الحرب اصبحت مستحيلة .

DVD4ARAB

قالت البنت الفرنساوية وقد ارعشت حاجبيها : ها انت تحاول خداعي مرة اخرى ، ولكنى لن اسمح لك . فالحرب انتهت والمدافع سكتت ، والسفر الى هناك سيكون متعة مشروعة ، وستكون زيارة وتجارة سياحة وصياعة اذا اردت ان تاتى معى كان بها ، واذا رفضت ، او تملحكت ، او تملعنت ، ففى ستين داهية حضرتك ، واستطيع الاستعانة باى حمار من الذين تعرفت عليهم من خلالك ، ولا تنس اننى تعرفت على مائة حمار من اقاربك ومعارفك وكلهم فى الحمورية اكثر منك باعا واطول منك ذراعا .

قلت لها : حذار ايتها الفرنساوية ان تفكرى فى مثل هذا الامر . اذا اردت الذهاب الى العصر الحميرى ، فاذهبى وحدك وطوفى وحدك ، اما اذا حاولت الاتصال باحد من اقربائى او احد اصدقائى فقسما عظما لابد ان اكون بمطوة قرن غزال قاتلك : ومن شعرك على الارض اجرجرك ، حتى اغسل عارى ، وانقذ الشرف الحمارى . فنحن يابنت المديوبة ابناء العصر الحميرى الاصلاء الذين انحدروا من اصلاب حمير حصاوية وحمير مصرية وحمير يمانية ، نحظر تماما اتصال زوجة حمار بحمير آخرين .

قالت البنت الفرنساوية وقد مطت شفايفها ودكت الارض بكعبيها : عندما ابدا الاتصال بالحمير الاخرين لن اكون زوجتك ، ساكون قد حصلت على الطلاق ، وسيكون من حقى ان اتصل بمن اشاء وفى الوقت الذى اريد .

قلت للبنت الفرنساوية وانا اكتم الغيظ فى قلبى : اسهل لك الصعود الى الفضاء بدون صاروخ من الحصول على ورقة الطلاق وعليك الآن ان تنصتى وتفهمى .

قالت البنت الفرنساوية وهى تشيح بوجهها : انصت لايه وافهم ماذا ، انك لا تقول شيئا يستحق الانصات ، ومن ينصت لك لا يفهم شيئا .

قلت لها : اسمعى يا بنت الناس ، فلنفترق فى هدوء كما التقينا .

قالت البنت : عظيم ، هذا اول كلام تقوله له معنى .

قلت لها : وبغض النظر عن سلاطة لسانك وسوء ملافظك ، فانا اريد ان اؤكد لك ان دخول العصر الحميرى الان صار مستحيلا ،

صحيح ان الحرب انتهت ، ولكن الفتنة ازدادت والعصر الحميرى انقسم بعد الحرب الى قسمين ، قسم ينتمى الى عائلة ام المعارك ، وهؤلاء هم الاشاوس والنشامى والصناديد .. والجزء الثانى ينتسب الى عاصفة الصحراء .. وبين القسمين بحور وجبال وهضاب وتلال . وانت يابنت المديوبة فرنساوية وخواجاية وجنسك من المشاركين فى عاصفة الصحراء .

قطعت البنت الفرنساوية حديثى وقالت فى استعلاء : هذا يسهل الامر ، فانتسابى لعاصفة الصحراء يجعلنى موضع الترحيب والتكريم فى نصف العصر الحميرى ، ويجعلنى أخر مهابة واحتراما فى النصف الثانى .

قلت للفرنساوية : هذا تحليل خاطىء سيؤدى فى النهاية الى قرافة سانت تريزا . اذا وقعت فى ايدى الاشاوس والنشامى فسيمزقون جسمك اربا اربا . وسيدقون عظامك قطعة قطعة . وسيشربون دمك نقطة نقطة ، لان هزيمة الاشاوس فى أم المعارك ستجعلهم يحاولون تحقيق النصر فى اخت المعارك أو بنت المعارك او بنت خالة الست ام المعارك وسيعتبرون هزيمتك هزيمة للامبريالية والكمبرادورية والشواشى العليا للبرجوازية وسيؤلفون الاغانى ابتهاجا بالانتصار على حضرتك وستغنى ام الاذاعات .. الفرنساوية جاتلنا والنصر اتحقق لنا .. وسيعقد الفريق البشير مؤتمرا صحفيا فى الخرطوم يهنىء فيه الاشاوس على النصر فى اخت المعارك ، وستهدد موريتانيا بضرب باريس بالصواريخ اذا عاودت ارسال فرنساوية اخرى الى ارض النشامى .

قالت البنت الفرنساوية : اطمئن لن اذهب فى جولتى فى العصر الحميرى الى القسم الخاضع للاشاوس والنشامى ، ساكتفى بزيارة القسم الاخر الذى ينتمى الى عاصفة الصحراء .

قلت للبنت الفرنساوية : ان زيارتك للقسم الاخر لن تؤدى الى اى خير ، وقد تلقين مصيرا ابشع من المصير الذى تتعرضين له فى القسم التابع لأم المعارك .

قالت البنت الفرنساوية : هذا كلام مضحك ، فكيف يكون مصيرى بشعا عند حمير عاصفة الصحراء تماما كمصيرى عند حمير أم المعارك ؟

قلت : ايتها البنت الفرنساوية هذا شيء طبيعي ويتفق مع طبائع وسلوك الناس . سيتصور البعض منهم انك حضرت للمن عليهم بعد معروفك الكبير ، وسيتصور كل منهم عندما تخاطبينه انك تشمخين عليهم بانفك . فاذا لثغت لهم لثغاتك الفرنسية .. قالوا تكلمنا من طرطوفة لسانها ، واذا ضحكت لهم ، قالوا تسخر منا لضعفنا وهواننا على الناس .. اذا سألتهم اى شيء قالوا جاءت تقبض المعلوم نظير وقوفها الى جانبنا ساعة الشدة .

قالت البنت وهي تشخط وتنطر : الى هذا الحد انتم معقدون ؟

قلت : معقدون .. هذه كلمة بسيطة . فنحن فى الحقيقة لا نعانى من عقد نفسية كبقية خلق الله ، ولكننا نعانى من غدد نفسية . ولدينا قصة فى تاريخنا مضحكة للغاية ، اذ يحكى ان الخليفة نزل النهر للسباحة فادركه التعب فكاد يغرق ويجرفه التيار ، ولما كان الخليفة وحده ، فقد صرخ طالبا النجدة من الاشاوس اولاد الحلال ، وهرع لنجدته فلاح طيب كان موجودا فى ارضه المحاذية لشاطىء النهر ، خلع الرجل الشهم هدومه وقفز الى النهر واستطاع انقاذ الخليفة وجره الى البر . ووقف الخليفة على البر عريانا بلبوصا يرتعش من شدة البرد ويبكي من شدة الخوف . وراح الفلاح البائس الغلبان يواسيه ويطيب خاطره ، وعندما حدق فى وجهه اكتشف انه الخليفة . فقال له : انت الخليفة ؟ حمد لله على سلامتك يامولاى .

قال الخليفة للفلاح : نعم انا الخليفة واشكرك بشدة .. وساصلك بجائزة تعينك على الشيخوخة وتقيك غدر الزمان ، فقط انتظر حتى ارتدى هدومي واصلح من شاني واضع عمامة الملك على راسى ، ثم ادبر لك امرك مما يجعلك آخر امان وطمان . فلماارتدى الخليفة هدومه ووضع عمامة الحكم على جبينه استل سيفه وقطع رقبة الفلاح الغلبان الذى انقذه من الغرق ونجاه من الموت .

قالت : هذه قصة فردية وهذا الخليفة مجنون بدون شك وهذا الفلاح سيىء الحظ .

قلت : هذا هو التفسير الفرنسى للتاريخ . اما التفسير الحميرى وهو الاصدق . فيقول : ان كل الحمير يسلكون سلوك الخليفة ، ويا ويل من يراهم فى موقف ضعف او يضبطهم فى وضع ذليل او مهين ،

سيضربونه بالاحاذى (جمع حذاء) حتى ولو كان قد عرض نفسه للموت من اجلهم ، او باع عياله لاكرامهم ، فالأشاوس يكرهون ان يراهم احد فى حالة بعيدة عن الأشوسة . فهم يحبون الظهور دائما متاشوسين ومتنشمين بينما العالم كله ركش . ولذلك فوضع طبيعي ان يلقى كل من عاون او ساعد او ساهم فى نصرة الحمير المستضعفين ، طبيعي جدا ان يلقى الاهانة اذا ما ذهب فى زيارة او فى جولة او فى رحلة الى بلاد الاخوة الذين كانوا اشاوس ثم هجم عليهم حمير اخرون اكثر اشوسة . انها مسالة معقدة صحيح ، ولكن هذا هو سلو اهل العصر الحميرى ، ومهما حاولنا افهامك حقيقة احوالنا فإنك لم تفهمي ، لانك لكى تفهمى لابد ان تكوني حمارة من صلب حمير .

قالت البنت الفرنساوية متحدية : وعلى فرض انهم سيقتلونني ويمزقونني ويشربون من دمى ، فهل سيحدث ذلك فى اول يوم من زيارتى للعصر الحميرى ؟

ولم تنتظر البنت جوابا ولكنها اجابت بنفسها قائلة : اذا حدث لى ما تحذرني منه فسيكون ذلك بعد شهر من زيارتي ، وربما بعد شهرين وربما بعد اسبوعين ، وسيكون هذا وقتا كافيا ادون فيه ملاحظاتي ومشاهداتي وتحليلاتي . وهذا الذى سادونه سيفتح الطريق امام العلماء والباحثين لفهم العصر الحميرى والغوص فى اعماقه ، وحتى لو مت بعد ذلك فسادخل التاريخ من اوسع ابوابه ، ولن يذكر العصر الحميرى الا ويذكروني قبله ، ولن يكون للعصر الحميرى اى ذكر الا اذا جاء ذكرى معه .

قلت للبنت الفرنساوية : خيبتك يا خواجاية انك تحسبين الأمور بمقياس عصرك ، ولكن الأمور فى العصر الحميرى تجرى بلا مقياس . خيبتنا الحقيقية فى العصر الحميرى اننا بلا مقياس ، وبلا حدود وبلا ضابط وبلا رابط ندخل معركة لا نطلق فيها اى طلقة ونسميها ام المعارك ، ندوخ دوخة الأرملة ثم نعلن اننا كنا على موعد مع القدر ، ترتفع الأسعار كل يوم فى بلادنا لتصل الى أرقام فلكية ثم نعلن اننا دخلنا فى عام الرخاء ، ناكل ضربا لا ياكله حرامي فى مولد ونصدر عملة عليها علامة الانتصار ، تقوم مظاهرة فى مدينة صغيرة فنضربها بمدافع الميدان ثم نتهم المشتركين فيها

بالخيانة ونؤكد ان كل فرد فى المظاهرة حصل على عدة ملايين من الدولارات ، مع ان اغلب المشتركين فى المظاهرة بناموا من غير عشاء ، واغلبهم كان يهرش فى جسده اثناء المظاهرة من وخز الدمامل وتقيح الجروح ، واى معارض لنا نتهمه بالخيانة وكل من يخالفنا الراى جاسوس ، وكل من ليس معنا فهو ضدنا ، وليس فى الدنيا اصوب من احكامنا ولا احكم من قرارتنا ولا اشرف من اخلاقنا ولا اطهر من ارومتنا ، وصنفنا خلق للريادة والسيادة ، وحنا للضيف وحنا للسيف . وشاعرنا هو الذى قال :

اذا الملك الجبار صعر خده
مشينا اليه بالسيوف معاتبينا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا !

كلام وطق حنك ودردشة ورغى عمال على بطال ، لا احد يستطيع ان يعرف جدنا من هزلنا ، فنحن نجد فى ساعة الهزل ، ونهزل فى ساعة الجد . ماساتنا اعمق من مأساة ابناء كاليونى ، وهى المأساة التى حددها كاليونى نفسه حين قال .. مأساة اولادى انهم يتكلمون حين يجب ان ينصتوا ، وينصتون حين يجب ان يتكلموا ، ماساتنا اعمق من ماساه اولاد كاليونى ، لأن الحمير تبعنا يحاربون حين يجب ان يتفاوضوا ، ويتفاوضون حين يجب ان يقاتلوا . انها سمة حياتنا وعلامة على جنسنا ، نحكم بالحديد والنار ونصدر المجلدات فى فوائد الديموقراطية ، ننشىء مجالس نيابية ونمنع اعضاءها من الكلام او المناقشة ، فان تكلموا او تناقشوا ، قدمناهم لمحكمة العيب او مجلس قيادة الثورة او اللجنة الشعبية . فالأسماء عندنا لا تعنى شيئا ، وابلغ دليل على عبقريتنا ان لدينا مؤسسات متشابهة واسماء مختلفة وعندنا فى العصر الحميرى نظام واحد وشعارات مختلفة ، ويتصور الخواجات امثالكم ان لدينا فى العصر الحميرى نظما تقدمية ونظما رجعية ، مع انه لا يوجد على وجه الأرض ما هو اسوأ من النظم الرجعية فى بلادنا الا النظم التقدمية ، ولذلك اذا ذهبت وحدك ياخواجاية الى العصر الحميرى فلن تفهمى شيئا ولن تخرجى بشىء . ولن تذهبى الى هناك مع احد اقربائى او احد اصدقائى .

لأننى اقسمت بسيدى الطرطوشى انك لو فعلت ذلك لاقتلك واشرب من دمك ، لا مناص الا بالذهاب معى ، وستذهبين معى بإذن الله ورغم انفك ، وسنطوف بالعصر الحميرى ، كما نشاء وفى الوقت الذى نريده ، ولكن سنختار الوقت المناسب عندما تهدأ الأمور وتطيب النفوس ويضيع الاثر السيىء الذى تركته عاصفة الصحراء فى حربهامع ام المعارك .

قالت البنت الفرنساوية وقد بدات تنصت وتفهم ايضا : ومتى يكون ذلك يا حمارى العزيز ؟

قلت فى الجزء الثانى بإذن ربى . واعدك يا خواجاية بان نتجول فى العصر الحميرى كعابى وعلى مهلنا وبراحتنا ، ومن طنجة الى صنعاء .

قالت البنت الخواجاية وقد بدا عليها الاقتناع : آه ياحمارى العزيز .. غلبت ولم يغلب حمارى ، وساصبر وانتظر ، وارجو ان يصل العصر الحميرى قريبا الى حالته الطبيعية ، لكى نتمكن من التجوال معا .. من طنجة الى الشارقة ، ومن عطبرة الى القنطرة ومن الكوفة الى الشلوفة ومن تونس الى خان يونس ومن اليمامة الى وادى سلامة ، لنشاهد كل شبر فى العصر الحميرى ، ونلمس كل حجر فى العصر الحميرى ونتكلم مع اكبر عدد من الحمير من ابناء العصر الحميرى هذا وعد على ومكتوب ايضا .. وبإذن واحد احد سنجوب العصر الحميرى معا فى يوم فى شهر فى سنة .. قولى ان شاء الله .. قوليها ولو بالفرنساوى .. فالسماء مفتوحة تقبل كل الدعوات بكل اللغات !

والى اللقاء فى الجزء الثانى بإذن واحد احد ..

مارس ١٩٩١

● ● ●

DVD4ARAB

■ المحتويات ■

	ص
● سبحان الذي أعطى :	٣
● الكفاية والعدل :	١٢
● أعلى مراحل الاستحمار :	٢١
● لك هذا .. والشاويش حمدان :	٣١
● المجوس والجاموس :	٣٩
● أكلنا هو نفطنا :	
● من الورق إلى الدوسره إلى الطاجن :	٤٦
● فخامة الجنرال اليكتريك :	٥٦
● حمير .. ولكن كرماء :	٦٦
● النشوء .. والانحناء :	٧٥
● عن الخطط والأهداف :	٨٦
● المعرش والمكوش :	٩٥
● الحنجورى .. والباطنية :	١٠٥
● كل يوم .. وتغييب :	١١٤
● ٣٠٠ مليون زلة :	١٢٦
● المجنون وليلاه :	١٣٤
● كوز المحبة انخرم :	١٤٣
● الوعد والمكتوب :	١٥١
● خرساء اليمامة :	١٥٨
● أولاد كاليونى :	١٦٦

رقم الايداع بدار الكتب ٤٧٧٧ / ١٩٩١

الترقيم الدولى ISBN 977 - 08 - 0133 - X

● لضمان حصولك على كتاب اليوم شهريا ●

أخبار اليوم (إدارة الاشتراكات)

ارجو إرسال كتاب اليوم لمدة ١٢ شهرا على العنوان التالى :

الإسم : ....

العنوان : ....

....

✂ ----------------------------

● الاشتراك السنوى

جمهورية مصر العربية ١٦ جنيه مصرى

البريد الجوى :

دول اتحاد البريد العربى والافريقى ١٥ دولار امريكى

وباقى دول العالم اوروبا والأمريكيتين

وآسيا وكندا واستراليا ٢٠ دولار امريكى

يمكن قبول نصف القيمة عن ٦ شهور .

مرفق شيك مصرفى مسحوب على أحد البنوك العالمية لأحد اشتراكات مؤسسة أخبار اليوم .

AKHBAR EL-YOM SUBSC. DEPT.

أرسل هذا الكوبون على العنوان التالى :

مؤسسة أخبار اليوم (إدارة الاشتراكات)

١٣ (شارع الصحافة ـ القاهرة)

AKHBAR EL-YOM SUPSC. DEPT.

3A SAHAFA St., CAIRO

DVD4ARAB

■ هذا الكتاب ■

« قالت البنت العصفورة الكركورة الفرنساوية : أعتقد أنك تبالغ يا حمارى العزيز .

قلت : بالعكس ، بل أنا متواضع ، والحقيقة أسوأ من هذا بكثير . فمثلا نحن نعيش فى رقعة واحدة ، ونتكلم لغة واحدة ونعبد إلهاً واحدا ، ومع ذلك فكل عشرة أمتار نحتاج إلى تاشيرة دخول ، وتغيير عملة ، وإقامة من دوائر الشرطة وأحيانا نحتاج إلى كفيل » ..

● ● ●

هكذا يمضى الحوار بين محمود السعدنى ، حمار من الشرق ، المنتمى إلى العصر الحميرى ، بينما تحاول البنت السنيورة الفرنساوية إقناعه بأنه رغم هذا الانتماء الحميرى ، فإن له قيمة فى تاريخ الانسانية .

● وهكذا يقدم الساخر العظيم محمود السعدنى أعنف هجائية ساخرة لأوضاعنا فى العالم العربى المعاصر .

انه كتاب فريد ، وثيقة أدبية تضاف إلى فن السخرية والهجاء العربى .. كتبها فيلسوف أديب وشاعر وحكواتى ومتكلم عظيم ..

انه كتاب يضحكك إلى حد البكاء !

جمال الغيطانى

١٥٠ قرشا

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم

DVD4ARAB